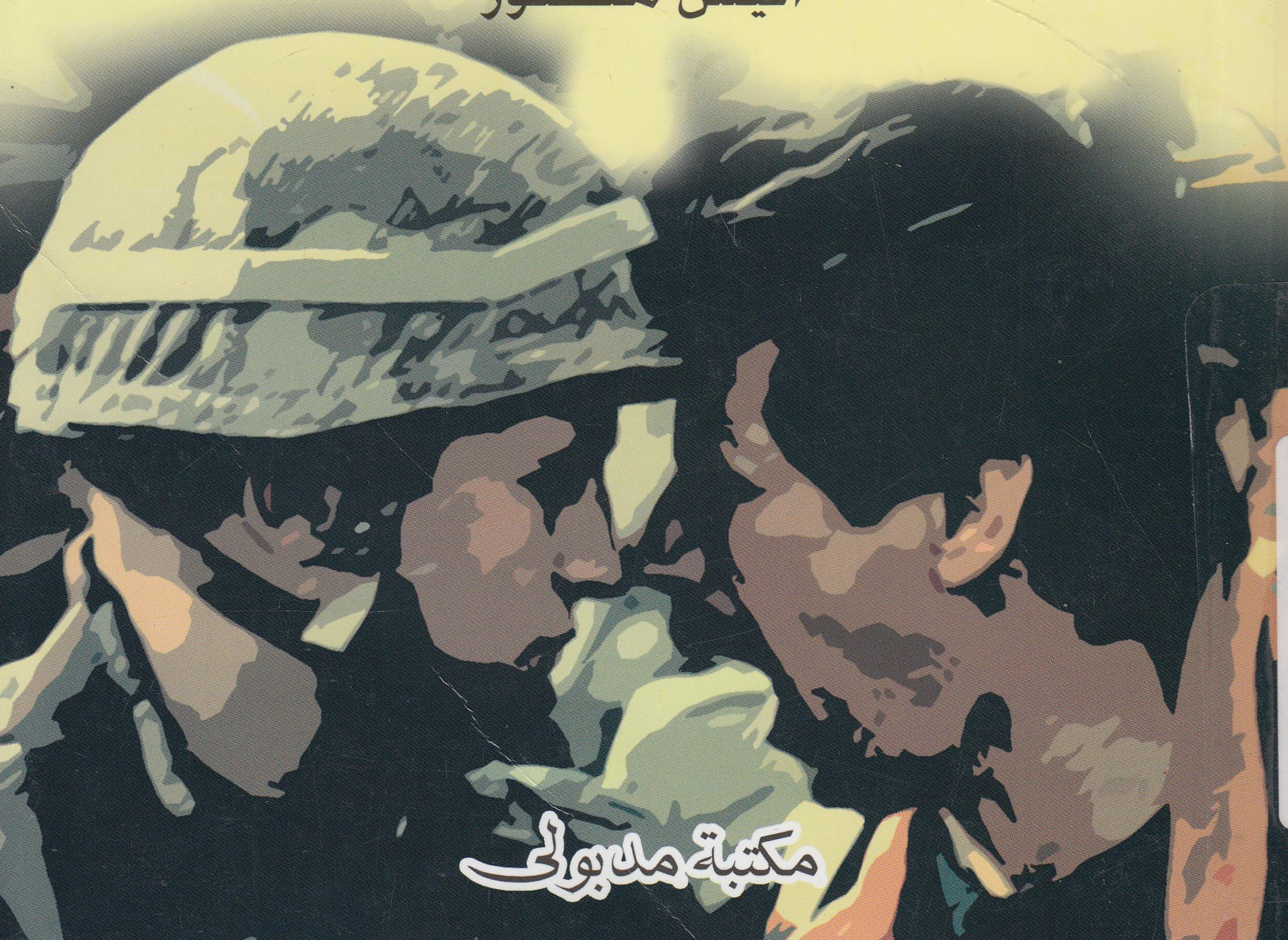
لواء دكتور
محمد فريد حجاج

الفرص الضائعة في الصراع العربي الإسرائيلي

إعادة ترتيب أوراق الصراع

تقديم الكاتب الكبير
أنيس منصور



مكتبة مدبولي

إهـــــداء ٢٠١١
دار الكتب و الوثائق القومية
جمهورية مصر العربية

الفرص الضائعة فى الصراع العربى الإسرائيلى

إعادة ترتيب أوراق الصراع

الكتـــــــاب : الفرص الضائعة فى الصراع العربى الإسرائيلى
إعادة ترتيب أوراق الصراع
تألــــــــيف : لواء دكتور محمد فريد حجاج
تقديم الكاتب الكبير : أنيس منصور
الطبعـــــة الأولى : عـام ٢٠١١
النــاشـــــــر : مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة
تليفون : ٢٥٧٥٦٤٢١ – فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤
الـبريد الإلكـتروني : www.madboulybooks.com
Info@madboulybooks.com
رقـــم الإيــداع : ٢٠٧٥٧/ ٢٠١٠
الـترقــيم الـدولي : 978-977- 208- 872- x

الفرص الضائعة فى الصراع العربى الإسرائيلى

إعادة ترتيب أوراق الصراع

تأليف : لواء دكتور

محمد فريد حجاج

تقديم الكاتب الكبير

أنيس منصور

الناشر

مكتبة مدبولي

2011

كلمة أولى

كان وفد الأدباء يضم نجيب محفوظ ويوسف السباعى والشاعر صالح جودت والشاعر محمود حسن إسماعيل وأنا . وكنا عائدين إلى مصر ، وجلسنا نتناقش ونحاول أن نفهم ما الذى حدث فى اليمن ولماذا نحن هناك وما الهدف وما النتيجة من هذه الحرب الدموية بين القوات المصرية والقوات الوطنية اليمنية ، وكان اليمنيون لا يخفون ضيقهم بنا ويقارنون بين مصر وروسيا فى التعامل مع المواطن اليمنى ، يقولون إن المصريين أتوا إلينا ببسكو مصر بينما الروس أتوا بالأرز والسكر .. المصريون يقتلوننا والروس يجففون دموعنا ودماءنا .

يعنى إيه ؟ يعنى أننا أخطأنا عندما جئنا إلى هذه البلاد التى لا ناقة لنا فيها ولا جمل ، ويجب ألا يكون .. يعنى حرب تعيسة البداية والنهاية ، إن كانت لها نهاية .

وفى هذه الأثناء وجدنا على ظهر الباخرة عددًا من المقاتلين المصريين فطلبنا أن نجلس إليهم .. وكان أكثرهم حديثًا المقاتل الضابط محمد فريد حجاج ، فقد شرح لنا ما حدث وقدم لنا صورة موجزة ولكن ذات معنى كانت غائبة عنا تمامًا ، فالذى رآه مختلفًا عن الذى رأيناه .. إنه قام بتصحيح كل المفاهيم العسكرية والسياسية وكان كلامه موجزًا ، ولم يجد صعوبة فى تشكيل هذه الصورة الصعبة .

والمقاتل الضابط محمد فريد حجاج مؤلف هذا الكتاب الهام والخطير ، قد ارتاد مساحة هائلة من خريطة الشرق الأوسط ورغم المشكلات الكثيرة والمعقدة ، إلا أنه أفلح فى ارتيادها بنجاح ، ونجاحه كان بسبب فهمه العميق لما حدث ،

ولذلك فهذا الكتاب يعتبر وثيقة هامة .. فالمؤلف رجل عسكرى جامعى اشترك فى كل حروب مصر ، وعرف ما لم نعرف وفهم ما لم نفهم ..

أما أسلوبه فهو جاد موجز بليغ . وما كتبه اللواء محمد فريد حجاج فى صفحة يحتاج من المحللين العسكريين إلى صفحات ، ولكن لأنه يعرف ما يقول وأكثر ، وأنه نظر إلى المواقع من بعيد ، كانت نظرته أشمل وأعمق فى وقت واحد ..

أنيس منصور

مقـــــدمة

كان الصراع العربى الإسرائيلى هو محور الحياة والأحداث السياسية طيلة الستين عامًا السابقة وأصبح محور الأحداث فى المنطقة العربية والشرق الأوسط وكانت مصر لاعبًا رئيسيًّا فى هذا الصراع وتحمَّلَتْ كثيرًا من نتائجه التى أثرت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى مصر ، فمن سقوط الآلاف من الشهداء عدا الجرحى والمعاقين بجانب الإنهاك الاقتصادى لمصر الذى أثر على الاقتصاد المصرى بالسلب وعلى البنية التحتية بها .

ولقد حمَّل العرب مصر العبء الأكبر فى هذا الصراع وكانت النظرة العامة فى المنطقة العربية أن مصر هى التى يجب أن تتحمل العبء الأكثر فى الصراع .

ولما كُنت قد عاصرت هذا الصراع شابًّا ورجلاً كنت أحد رجال القوات المسلحة الذين اشتركوا فى حرب اليمن وحرب ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ، وحرب أكتوبر كجندى فى خدمة الوطن ، وقد لاحظت وحفظت ذاكرتى كل الأحداث التى مرَّت فى هذا الصراع والتى كان لها تأثير كبير على الوطن .

لقد عاصرت وجيلى قيام ثورة ٢٣ يوليو وانبهرنا بها كمثال لعودة المصريين لحكم أنفسهم وكانت أولى المحطات التى اشتركت فيها عمليًّا هى حرب اليمن ، حيث كنت فى مقتبل العمر قائد إحدى الوحدات الفرعية الصغرى فى سلاح المدفعية ، وكانت ضمن الوحدات الأولى التى سافرت إلى اليمن فى أكتوبر ١٩٦٢ وكانت هذه المدة الزمنية فى حياتى هى البداية للتساؤلات ومعرفة ما يجرى لوطننا ، وكانت الأسئلة كثيرة بدون أجوبة أحيانًا وبدون إجابات مقنعة فى أحيان أخرى . لماذا جئنا إلى اليمن ؟ هل هذه الحرب لصالح وطننا مصر ؟ هل هذه الحرب لصالح الصراع العربى الإسرائيلى ؟ وهل نشارك فى حرب ميدان قتالها مختلف عن الميدان المنتظر فيها أن تلاقى الجيش الإسرائيلى ؟

وبعد قتل لمدة أحد عشر شهرًا فى ربوع اليمن كنت مع وحدتى وبعض الوحدات الأخرى عائدين إلى أرض الوطن فى رحلة تستغرق أربعة أيام ، وفى مساء أحد الأيام تلقينا

دعوة من وفد كبار الكتاب الذى كان يضم يوسف السباعى ونجيب محفوظ ود. مهدى علام وصالح جودت وأنيس منصور ، وكان الوفد قد قضى قرابة عشرة أيام فى ربوع اليمن وكانت المفاجأة الكبرى لى عندما بدأنا الكلام عن حرب اليمن وجدناهم جميعًا لا يعرفون ماذا تم على أرض اليمن ، ولا مجرى الأحداث ، ولا ما هى ثورة اليمن وظروف قيامها ، وعندما تحدثنا نحن عما رأيناه وعايشناه كانت مفاجأة أخرى لهم لدرجة أنهم صرحوا أن ما قلناه قد قلب كل الأفكار التى كانت فى عقولهم ، وساد الصمت بينهم ، ومن هنا كانت البداية لى أن أدرك أن الحقائق والأحداث غير واضحة لِكَم كثير من المصريين ، وللأسف لم يتكلموا عن هذه الأحداث ، ولعل لهم العذر للظروف التى كانت تمر بها البلاد فى ذلك الوقت .

كانت الصدمة الكبرى وهى حرب عام ١٩٦٧ وما جرى فيها من أحداث تركت آثارًا عميقة نفسية بين أفراد القوات المسلحة بجانب الشعب المصرى . ثم كانت المرحلة التالية وهى حرب أكتوبر ١٩٧٣ والتى أعتبر أنها الصراع الحقيقى والعملياتى الذى تم بين مصر وإسرائيل ومن وجهة نظرى أن ما تم قبل ذلك أو بعد ذلك لا يندرج تحت بند الصراع المسلح بين قوتين ، وكانت الفرحة بين الجميع لنجاح العبور وكسر الغرور الإسرائلى والهالة التى نجح فى تسويقها ، كل هذا جعلنى أدرس ما وقع وأحفظه فى ذاكرتى لَعَلِّى فى وقت ما أتمكن من أن أخرجه لأعرف كيف أدرنا هذا الصراع .

ومع مرور الزمن والعمر ومع قراءة التاريخ والأحداث ونضوج الفكر مع مراجعة لما حدث ودراسة المذكرات والكتب التى تناولت هذا الموضوع ، لاحظت أن توثيق التاريخ فى هذه الفترة (أى بمعنى الصفة الوثائقية) والرأى المحايد لم يكونا موجودين ، فأغلب توثيق هذه المرحلة تم بواسطة مذكرات شخصية أو كتب كان موقف كتَّابها بين مؤيد لأحد محركى الصراع أو مختلف معه حتى أن نجد وصف الخيانة وصفًا سهلاً تم استخدامه مع وجود كُتَّاب استخدموا ما لديهم من نفوذ ووجود وثائق وإمكانيات كبيرة لِلَى الحقائق لتؤيد وجهة نظر أو تصفية حسابات مع الشخصيات التى اختلفوا معها ، وقد ضاع بين هؤلاء أن تصفية الخلافات هذه كانت على حساب مصر والإساءات إلى نقاط مضيئة للأمة المصرية .

لهذا أقدم على كتابة هذا الكتاب الذى يركز على الصراع العربى الإسرائيلى ، ليس من ناحية العمليات العسكرية بل بنظرة تاريخية أعم تشمل الصراع بشموله العام من حيث قوى الدولة الشاملة ؛ وذلك لأن هذا الصراع مستمر حتى هذه الأيام وفى المستقبل ، وما يزال يؤثر فى هذه المنطقة وأسلوب معالجتها حكماً تم فى الماضى ، ولعل تجربة أحد الأفراد من الذين اشتركوا فى هذا الصراع على المستوى التنفيذى قد تفيد جيل المستقبل فى معرفة ما حدث لنا فى الماضى .

وهذا الكتاب ليس بكتاب تاريخ يسرد ما تم ، بل هو إعادة فى ترتيب أوراق الصراع والتركيز على ما تم فيه من إيجابيات وسلبيات .

إن الاهتمام بالتاريخ الوطنى الحقيقى بدون انحياز يؤدى إلى مزيد من الانتماء الوطنى ومعرفة السلبيات والإيجابيات والافتخار بالأمة والوطن بجانب ذلك أن عدم معرفة الثقافة العسكرية العامة فى مصر وعدم وجود قنوات شرعية لها من كتب أو صفحات فى الجرائد أو أفلام وثائقية حجبت الرؤية الصحيحة للثقافة العسكرية بين شعب مصر ، وأصبحت هذه الثقافة موسمية فى الأعياد لمدة أيام قليلة وتختفى بعد ذلك ، ومن أهم بنود تلك الثقافة العسكرية هى كيفية إدارة الصراع الذى أصبح فى محيط المختصين فقط . إن إدارة الصراع العسكرى بين قوتين من أكثر الموضوعات الصعبة نتيجة للتطور الشديد فى نظم التسليح والتكنولوجيا بجانب أن أصبح الصراع فى الحروب الحديثة ليس فقط فى ميدان القتال ، بل هو بين كل قوى الدولة الشاملة ، ولهذا فإن الاستعداد للحرب يحتاج تجهيز الدولة للقتال لجميع قواها الشاملة إلى جانب ذلك قلة المعرفة عن عملية إدارة العمليات القتالية وندرة الاطلاع على كتب التاريخ العسكرى بالنسبة إلى القارئ ، ولعل هذا الكتاب قد نجح فى توضيح ذلك الأمر من خلال إعادة ترتيب أوراق الصراع ، وظهرت الفرص الضائعة التى لم يستفد منها العرب فى إدارة الصراع ، وكمثال : الموقف العربى فى إدارة الصراع من قرار التقسيم لفلسطين وعدم إنشاء دولة فلسطينية بعد الجولة الأولى من الصراع ، ومواقف أخرى كثيرة تعرضت لها خلال فترة الصراع .

إن الفرص الضائعة تعنى عدم الاستفادة من مواقف يمكن أن تُبنى عليها خطوات فى طريقة الحل للصراع العربى الإسرائيلى ، وهو الحل الذى يحقق الأهداف العربية فى تلك المنطقة وفى صالحها .

وقد تناولت فى هذا الكتاب كيف أدرنا الصراع العربى الإسرائيلى والفرص الضائعة به ، ووجدت أنه من الضرورى الربط التاريخى والجغرافى لتبيان إدارة هذا الصراع ، فقد كان لزامًا علىَّ أن أوضح أهمية الشرق الأوسط والميدان الرئيسى الذى أدير فيه الصراع ، ثم كان لا بد أن تشمل الفقرة التاريخية منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى الثلاثينيات من القرن العشرين ، حيث كان التجهيز والتحضير لولادة دولة إسرائيل ثم أعقب ذلك الجولات الأربع التى تم فيها الصراع ، مع التركيز على أهم الأحداث التاريخية التى أثرت على هذا الصراع ، وصولاً إلى معاهدة السلام ، وتوقفت ولم يتوقف الصراع حتى يومنا هذا يطلب جزءًا ثانيًا يوضح ما تم من أحداث بعد ذلك .

ويجب علينا عندما نقرأ مسيرة هذا الصراع أن نعىَ الدرس ولا نقع فى خطأ قد نكون فعلناه وأن تدرس طرق النجاح فى المواقف التى نجحنا فيها لكى نستفيد منها ونطورها للأحسن . إن دراسة كل تجربة يمر بها الوطن والخروج بالدروس المستفادة هى أول الطريق للوصول إلى الهدف لكى نحقق مستقبلاً زاهرًا لمصر . لهذا أستطيع أن أحدد الهدف من الكتاب ، وهو دراسة الصراع السياسى العسكرى منذ أوائل القرن الماضى دراسة تحليلية للأخطاء والحسنات - إن وجدت - فى الصراع العربى الإسرائيلى بدون الدخول فيما تم خلال الصراع المسلح مع دراسة الدروس المستفادة ، وما كان من المفروض عمله لإقرار نتائج أكثر إيجابية ويهدف أساسًا إلى دراسة للأجيال القادمة بدون تصفية حسابات مع أحد ، بل ذكر الحقائق مجردة ، لعل وعسى قد تنصلح الحال ، فقد يقرأ بعض من الأجيال القادمة هذه الدراسة فيتلافى الأخطاء المريرة .

لقد دوَّنت فكرى ورؤيتى فى هذا الصراع وبخاصة أنه ما زال مستمرًّا حتى يومنا ، فقد يفيد شباب اليوم فى مستقبلهم فهم قادة المستقبل ، وأتمنى من الله أن أكون قد أصبت فيما رأيت ، لأن فى هذا الصراع سقط الآلاف من الشهداء وتكبد وطننا الحبيب مصر الكثير من الصعاب وإنهاك اقتصادنا ، وأتمنى من الله أن يحفظ مصرنا العزيزة ويبارك فى شعبها .

اللواء أ.ح. الدكتور

محمد فريد حجاج

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الشرق الأوسط في العصر الحديث

الشرق الأوسط :

لقد أصبح الشرق في عصرنا الحالي ميداناً للصراع الدولي، وعند تحديد الشرق الأوسط يطوف بنا هذا اللفظ حول رقعة منبسطة متصلة الرحاب بين أفريقيا وآسيا وأوروبا. وقد اختلفت مقاييس التعريف لتلك المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى، فكان يقصد بها تلك المنطقة الواقعة في جنوب غرب آسيا ، وهي إيران والعراق والشام والجزيرة العربية.

وكانت هناك منطقة متاخمة لها أطلق عليها منطقة الشرق الأدنى، تناولت منطقة آسيا الصغرى وتركيا ومصر وجنوب البلقان (اليونان) والجزر الواقعة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. ولكن تغيرت النظرة في التعريف للشرق الأوسط عقب الحرب العالمية الثانية، وتحددت بوضوح عندما أجمع العرف الدولي على حدود هذه المنطقة فأصبحت تشمل المجموعات الإقليمية الآتية[1]:

أ - المجموعة الإفريقية:

وهذه تتضمن كل من:

١ . وادي النيل، ويشمل مصر والسودان والحبشة.

٢ . ليبيا.

---

(١) محمد كمال عبد الحميد: الشرق الأوسط في الميزان الإستراتيجي، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥ ، ص١٧.

ب - المجموعة الآسيوية:

وتتضمن:

(١) الجزيرة العربية وتشمل كل من (المملكة العربية السعودية - جمهورية اليمن - دولة الإمارات العربية - دولة الكويت - دولة قطر - دولة البحرين - سلطنة عمان).

(٢) سوريا ولبنان والأردن والعراق وإسرائيل.

(٣) إيران.

جـ - المجموعة الأوروبية:

وتشمل:

(١) تركيا: وقد اعتبرت ضمن المجموعة الأوروبية لوقوع جزء من أراضيها في أوروبا ولإشرافها على مضايق البوسفور والدردنيل، ويعتبران في العرف الدولي مضايق أوروبية. وكذلك لارتباطها رسمياً من النواحي العسكرية والسياسية لحلف الأطلنطي.

(٢) قبرص: وتعتبر جزيرة قبرص في هذا التقسيم ضمن الشرق الأوسط.

أما دول شمال أفريقيا فتشمل تونس والجزائر والمغرب ، فأطلق عليهم الآن دول شمال أفريقيا.

وخلال الفترة من الستينيات وحتى نهاية الثمانينيات اقتصر التعريف الجغرافى على أن الشرق الأوسط هو مجموعة الدول العربية ، ولكن بعد مؤتمر مدريد في عام ١٩٩١ واتفاق أوسلو عام ١٩٩٣م، ظهر مصطلح الشرق الأوسط الجديد ، وكان مكان انطلاقه هو إسرائيل بالتحديد ووزير خارجيتها "شمعون بيريس" من منطق أن الحروب لم تضمن لها النصر النهائي أو الأمن ؛ ولهذا فإن الدعوة إلى السلام

لشعوب المنطقة هى الأوفق من خلال توسيع الشرق الأوسط، وضم إسرائيل وتركيا إليه ، مما يؤدي إلى تعاون اقتصادي وازدهار للمنطقة ، ولكن فشل في دعوته واتجهت الأنظار إلى إمكانية توسع الشرق الأوسط لعدد آخر من الدول.

ثم ما لبث مع بداية القرن الحادي والعشرين في عام ٢٠٠٥م أن ظهر مصطلح الشرق الجديد من منظور أمريكي ، وبشكل آخر قد سرب هذا المشروع بواسطة الصحف الأمريكية وقام أساساً على تفتيت دول الشرق الأوسط وبخاصة العربية إلى دويلات صغيرة القوة[١] والحجم مما يؤدي إلى مزيد من التفرقة والنزاعات ، وخصوصًا أن أساس هذه السياسة هو الفصل بناء على العرق والديانة وما زال العراق مهدداً بهذه السياسة ، وبجانب ذلك دول الخليج، وقد تتغير هذه السياسة التي لم تنجح في عهد الرئيس "بوش" وفي عهد الرئيس "أوباما" ويعود الهدوء مرة ثانية إلى الشرق الأوسط شريطة إيجاد حل عادل للصراع العربي الإسرائيلي.

أهمية منطقة الشرق الأوسط:

وبجانب أهمية منطقة الشرق الأوسط الجيوبوليتيكية فإنه يتميز بعدة خصائص عامة إذا اعتبرنا هذه المنطقة وحدة استراتيجية لها طابعها التقليدي الخاص، وأهم هذه الخصائص ما يلي:

أ - وقوعها في ملتقى القارات الكبرى للعالم القديم (آسيا - أوروبا - أفريقيا).

ب - إشرافها على أكبر مجموعة مائية مكونة من:

١. البحر المتوسط ، البحر الأسود، بحر العرب ، بحر قزوين ، المحيط الهندي، الخليج العربي.

٢. نهر النيل ، نهر دجلة ، نهر الفرات ، نهر الأردن.

(١) خريطة رقم ١ : توضح الشرق الأوسط الجديد حسب رؤية الولايات المتحدة.

٣. ممرات باب المندب ، قناة السويس ، مضايق البوسفور والدردنيل وجبل طارق .

جـ - اتساع رقعتها بما يكفل توفير العمق سواء بالنسبة إلى التخطيط الإنتاجي وتوزيع مناطقه ضماناً لتأمينها أو بالنسبة إلى توزيع القواعد العسكرية.

د - تعدد المحاصيل الزراعية وإمكان التوسع فيها بما يجعل المنطقة قادرة على إعاشة نفسها والاعتماد على إنتاجها إذا تم التعاون والتنسيق بين دولها.

هـ - وفرة موارد الثروة مع إطراد التوسع في استغلال هذه الموارد ، وعلى الأخص البترول ، إذ يوجد بها أكثر من ثلثي احتياطي البترول في العالم.

و - وفرة القوة البشرية بها وتجانس عناصرها وإمكان تجنيد قوة ضخمة من الأيدي العاملة الماهرة بأجور زهيدة.

ز - صلاحيتها طوال العام للطيران والملاحة.

ح - إمكان توليد القوى المحركة من الطاقة الشمسية طوال العام تقريباً لتكون وسيلة تبادلية أو وسيلة معاونة للقوى المولدة من البترول المحلي.

ط - صلاحية المنطقة طوال العام لحشد القوات المسلحة وتدريبها على كل أنواع الأراضي من جبلية ، وزراعية ، وغابات ، وصحراوية.

ى - سكان المنطقة أداة استهلاكية ضخمة لكل المنتجات مما يضفي على المنطقة صفة السوق الاستهلاكية المثالية لأية دولة أو منطقة منتجة يتعامل معها.

ك - تعتبر المنطقة بمثابة قنطرة العبور للأراضي ومناطق المرور البحري والجوي بين أقصى الشرق وأوروبا (بين أكثف مناطق الخامات العالمية وأكثف مناطق الإنتاج والتصنيع).

ل - تقام مجموعة وحدات سياسية بالمنطقة لها حقوقها وأثرها في تكييف السياسة الدولية.

بجانب هذه المميزات فإن للشرق الأوسط أهمية جيواستراتيجية كبيرة ، ولهذا كان للشرق الأوسط نصيبه الكبير في اهتمام النظريات الإستراتيجية التي أبرزت أهمية بعض المواقع الجغرافية من الناحية الإستراتيجية، وألخصها في الآتي[1]:

(أ) فقد أشار "جاكن" في كتابه: The Geostrategic Uniqueness of The Middle East. إلى أن الشرق الأوسط موقع جيواستراتيجي فريد في العالم، وهو من المواقع التي تعمل بصورة فعالة وطبيعية على خدمة المناطق لبلوغ أهدافها وغاياتها في جميع المجالات الحيوية.

(ب) كما أشار "السير هالفورد ماكندر": إلى أهمية الشرق الأوسط باعتباره جسراً يربط بين القلب الشمالي (الرقعة الجغرافية الممتدة من الفولجا حتى شرق سيبيريا)، والقلب الجنوبي (أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى)، وفي رأي "ماكندر" أن بلاد العرب هي تلك التي تمتد من النيل غرباً إلى ما وراء الفرات شرقاً ، وهي مساحة تبلغ الألف وثمانمائة ميل مربع. وتمتاز هذه المنطقة بوجود ثلاثة طرق بحرية رئيسية هي البحر المتوسط والبحر الأحمر ثم الخليج العربي، كما أن بلاد العرب نفسها تكون طرقاً برياً بين القلب الشمالي والقلب الجنوبي.

وكان ماكندر قد وضع الشرق الأوسط ضمن الهلال الداخلي الذي يشمل سواحل أوروبا والجزيرة العربية وسواحل جنوب شرق آسيا والهند، وقسماً كبيراً من البحر الصيني، المحيط بمنطقة الارتكاز التي تشمل نطاق الاستبتس من التركستان الروسية حتى جنوب شرق أوروبا. كما أنه وفقاً لمعادلة "ماكندر" التي نشرها في كتابه المعروف"المثل الديموقراطية والحقيقة":

إن من يحكم شرق أوروبا يسيطر على القلب .

---

(١) د. نافع القصاب، د. صباح محمود، السيد عبد الجليل عبد الواحد: الجغرافية السياسية ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٣٥٠.

ومن يحكم منطقة القلب يسيطر على جزيرة العالم .

ومن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم.

وحيث أن جزيرة العالم تشمل قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا، وبما أن الشرق الأوسط يقع في قلب جزيرة العالم، بين القارات الثلاث تلك ، لهذا فإن موقعه الجغرافي ذو أهمية إستراتيجية عالمية بسبب تحكمه في قارات العالم القديم.

مصر والشرق الأوسط في القرن ١٩:

مع بداية القرن التاسع عشر كان الشرق الأوسط ما زال تحت سيطرة الحكم العثماني المتمثل في الدولة العثمانية، وكان من أهم الأحداث في بدايته هو الحملة الفرنسية على مصر التي أثرت في مصر وكذلك في دول الشرق الأوسط، لأن الدولة العثمانية أغلقت الحدود على الدول الإسلامية في الشرق الأوسط بعدما غيرت اتجاهها من استكمال فتح أوروبا إلى التوجه إلى دول الشرق الأوسط لفتحها والسيطرة عليها.

وتميز هذا الحكم بالانغلاق والجمود الفكري الذي ساد في أنحاء الدولة العثمانية ، فبعد أن كان حكام الدولة الإسلامية يبادرون في جمع الكتب وتجميع رجال الأدب والفكر في مجالهم في دمشق وبغداد والقاهرة ومدن الأندلس ، أصبحت قاعات الحريم ومجالس العبيد والخصيان هي المقر الرئيسي لسلاطين آل عثمان ، فالطبيعة الفكرية للدولة العثمانية نفسها هي التي منعت الدولة الإسلامية من المشاركة في عصر النهضة التي شهدته أوروبا منذ القرن الخامس عشر . ومثال ذلك لما تولى أحمد باشا[1] ولاية مصر وكان من أرباب الفضائل وله رغبة في العلوم الرياضية. ولما وصل إلى مصر واستقر بالقلعة قابله العلماء في ذلك الوقت وعلى رأسهم الشيخ عبد الله الشبراوي - شيخ الجامع الأزهر وآخرون ، فتكلم معهم

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي ، ج٢ ، ص ٧١ ، ٧٢.

وناقشهم وباحثهم ، ثم تكلم في الرياضيات فأحجموا وقالوا لا نعرف هذه العلوم ، فتعجب وسكن ثم سأل الشيخ عبد الله النفروي عن علوم الرياضيات فقال له لسنا أعظم علماء مصر ، وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم ، نحن أرباب الدولة والحكام وأغلب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى سلم الفرائض والمواريث.

وفي كتاب مراد ويلفريد هوفمان[1]، قال إنه في زمن الحكم العثماني أصبح التركيز على علوم الفقه واللغويات ، أما العلوم الحديثة كالرياضيات والهندسة والفيزياء فاعتبرت بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ويركز الحكم العثماني على الجزية والخراج على دول الشرق الأوسط مع وضع نظام حكم يكفل لهم السيطرة على البلاد بتوزيع حكم البلاد على القوى المحلية ، فعانى أهالي هذه الدول من الظلم وبخاصة مصر من غطرسة وظلم المماليك.

وفي أواخر العصر العثماني[2]، انتشر طغيان الحكام وبغى الجنود وأرهقت الضرائب الجمهور وأخذت منه أكثر من مرة وكثرت الإتاوات التي تُفرض على الفلاح المسكين والتاجر البائس ، بينما كان الضنك والظلم يتمشى في البلد طولاً وعرضاً ، كانت الدولة تستجيب لمطالب شيوخ الطريق في إعفاء القرى التي في حوزتهم من دفع الضرائب وطلب الأموال لتعمير الزوايا والإنفاق على مجاوريها.

وفي نفس الوقت[3]، لا ينعم الفلاح بثمر أتعابه ونراه ينصرف إلى العمل كارهاً. حيث لا ضمان لحرية الاستمتاع ، فلا صناعة قائمة والعقول بدائية وحيثما لا تُجدي المعارف نفعاً فلا ينشط الناس إلى اقتباسها وتبقى العقول على وحشيتها ، وهذه حالة مصر ، فإن معظم أراضيها في يد البكوات والمماليك ورجال الشريعة. أما أصحاب

(١) مراد هوفمان: الإسلام هو البديل ، ص ٨٣.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٢ ، ص ٤٩٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٩١٨.

الأملاك الآخرون تعدادهم حد محدود فضلاً عما يصيب أملاكهم من التكاليف وما ستعاقب عليها من الضرائب والمكوس. والفلاحون آلات مأجورة لا يُترك لهم للمعاش إلا ما يقيهم من الموت.

في تلك الظروف جاءت الحملة الفرنسية على مصر ، وبالرغم من أنها قوة احتلال ارتكبت كثيرًا من الأخطاء ، ولكنها كان لها الأثر الكبير في إعادة الصحوة والنهضة في دول الشرق الأوسط وخاصة مصر ، وذلك على النحو التالي:

١. القضاء على السلطة المملوكة العثمانية أيقظت المصريين على أمرين أساسيين ، التشبث بالاستقلال ومقاومة الغزو العسكري الفرنسي من ناحية ، والحفاظ على آثار الغزو الثقافي من ناحية أخرى، وكانت الجماهير المصرية هي القوة الراسخة لتحقيق هذين الهدفين.

٢. الاهتمام بالعلوم الحديثة ، وكان وجود المجمع العلمي له الأثر في ذلك.

٣. بداية التعرف على الديمقراطية وأخذ رأي الشعب، وكان الديوان هو البداية الحقيقية لذلك ، وأدى إلى فتح الأعين على نمط جديد من التعامل بين الحكام والمحكومين.

٤. اعتماد المصريين على الطوائف وأفراد الشعب وحمل السلاح وصناعته لمقاومة المحتل كما ظهر خلال ثورتي القاهرة الأولى والثانية.

٥. نزع الغشاوة من على أعين المصريين للآداب والفنون والعلوم وطريقة أخرى للمعيشة في المدن ، واكتشاف المصريين لحضارة أخرى مختلفة عن حضارتهم .

٦. رفع المستوى الصحي من تنظيم الحالة الصحية وإقامة الحجر الصحي ومنع دفن الموتى في البيوت.

٧. أهمية تسجيل الأفراد والمواليد والوفيات في سجلات.

٨. ظهور أهمية الشام بالنسبة إلى مصر كمنطقة أمن قومى لها.

٩. كان من نتائج الحملة الفرنسية تحولات بالغة الأهمية على مستوى البنية السياسية، وهي التحولات السياسية التي يمكن تحديدها في نمطين أساسيين: الأول يتعلق بخريطة القوة السياسية، والثاني يتعلق بوزن القوى السياسي ، وبالنسبة إلى التحولات فإن القوى السياسية التي تشمل المماليك والأرستقراطية القبلية وكبار رجال المؤسسة الدينية لم تصبح في نفس تأثيرها السابق بالرغم من محاولة السلطة العثمانية إضعافها لاستمرار السيطرة على مصر، أما من ناحية تأثير القوى السياسية فقد تدهورت قوة البيوت المملوكية وتحللت قوة وسلطة الأرستقراطية القبلية ، أما كبار رجال المؤسسة الدينية فلم يرجع لهم تأثيرهم القوي إلى سابق عهده ، وانتشر النزاع بينهم، مما أدى إلى تدهور نفوذهم ، إلى جانب ذلك بدأت الطوائف المختلفة ورؤساؤهم وأفراد الشعب لأول مرة كقوة رأي في الحياة المصرية مع بعض رجال المؤسسة الدينية.

١٠. وضوح معنى المواطنة والمواطن والفرق بينهما يبين كلمة الرعية التي تعتبر مرادفة لكلمة العبيد في السلطة العثمانية[١] .

١١. أظهرت الحملة الفرنسية أهمية موقع مصر بالنسبة إلى دول الشرق الأوسط والطريق إلى المستعمرات الغربية في آسيا.

عصر محمد على :

تولى محمد على حكم مصر في مايو ١٨٠٥ ، وذلك نتيجة لنمو الدور السياسي لكبار رجال المؤسسة الدينية، ويمكن القول إن الحركة السياسية لعلماء الأزهر، قد تأثرت في حدود معينة بالوعي السياسي الجديد. ذلك أن هناك مؤشرات تدل على أن وعيهم بالمبادئ الجديدة بصدد علاقة الحاكم بالمحكوم، ومبدأ سيادة القانون، ثم وعيهم بالهوة العظيمة الفاصلة بين المؤسسات السياسية الفرنسية والمؤسسات

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج٤ ، ص ٦٨٤ .

المملوكية، وفي النهاية خبرتهم السياسية المكتسبة في إطار مؤسسات الحكم الفرنسي، كل ذلك قد ساهم بدرجة ما في توجيه حركتهم السياسية، ولعب دوراً حاسماً في الجولة النهائية للصراع في مايو ١٨٠٥م.

ويضاف إلى ذلك وجود عاملين ، ساهما في تقوية التأثير السياسي لهذا الوعي الجديد: أولهما أن فترة ما بين ١٨٠١م - ١٨٠٥م قد شهدت انهيار توقعات العلماء، لنتائج عودة السلطة العثمانية المباشرة إلى مصر ، فالتجربة أثبتت أن المؤسسات العثمانية العائدة، ليست أكثر صلاحية من المؤسسات المملوكية القديمة. وبالتالي وجد العلماء أنفسهم مجبرين على البحث عن بديل، وعلى ممارسة دور سياسي أكثر جذرية. وهي النزعة التي كانت ملائمة تماماً لأن يفعل الوعي الجديد فعله. وثانيهما أن بنية الأيديولوجيا الإسلامية التقليدية - وذلك من المنظور التراثي أساساً - كانت تتيح إمكانية تبني بعض المفاهيم الوافدة، وذلك عبر توسط إحياء المفاهيم الإسلامية المناظرة لها.

لقد كان لمحمد على مشروعه السياسي ، وهو تكوين دولة مستقلة ذات حكم وراثي، وفي الحقيقة فإن محمد على يعتبر هو باعث نهضة مصر وبداية الانطلاق نحو الدولة العصرية، وكان من أهم العوامل التي ساعدته هو تكوين طبقة جديدة وحاكمة، وكان لزاماً عملية هدم الطبقة القديمة وكانت تتركز في طائفتين هما:

١. **البيوت المملوكية**: لقد تمت عملية القضاء على البيوت المملوكية فيما بين ١٨٠٥-١٨١٥ ، وقد استخدم محمد علي في ذلك أساليبًا متعددة ، فقد لجأ إلى إشاعة الانقسام والصراع بينهم، في الوقت الذي عقد تحالفات جزئية مع فريق ضد آخر، وبمقتضاها كان هذا الفريق ينتقل ويقيم في القاهرة، بينما يستمر الباشا في صراعه ضد الفريق الآخر. كما لجأ أيضًا إلى عقد صلح عام مع بكوات الصعيد. وانتهت بمذبحة القلعة في مارس ١٨١١م وبذلك انتهت هذه الطائفة التي تمثل مراكز القوى وإشاعة الفوضى والفساد والطغيان.

٢. المؤسسة الدينية: فقد أنهى محمد علي على سيطرة المؤسسة الدينية على عامة الشعب وعلى الموضوعات السياسية في مصر وساعده على ذلك أن القيادات الجديدة التي ظهرت لم تعتمد على انتمائها إلى المؤسسة الدينية على أي مستوى من مستوياتها ، ولكن كان انتماؤها إلى الحرفيين وصغار ومتوسطي التجار ، وكانت لها سمتها وهي الطابع الجماهيري العام ، حيث أنها ليست محض قيادات طائفية ومرتبطة بأحياء معينة.

كما أن صعود السيد عمر مكرم إبان الحملة الفرنسية ودوره خلال ثورة القاهرة الثانية ، حيث أن كبار العلماء توجهوا توجيهاً دينياً ودعم ذلك مكانة السيد عمر مكرم وتدهور مكانتهم جماهيرياً ، بما ساعد وأنجح محمد على في القضاء على نفوذه السياسي . وبنفي السيد عمر مكرم تمكن من السيطرة على الأحوال السياسية في مصر ، وبعدها انطلق في إنشاء مصر الحديثة ، حيث اهتم بالتعليم والصناعة والتجارة وكون الجيش والبحرية المعتمدة على أحدث النظم في ذلك العصر، واعتمد على العنصر المصري ، واستمر في نجاحه وكان أول من اتجه إلى الشام كمنطقة تحقق أمن مصر.

حتى تكالبت عليه الدول الأوروبية بزعامة بريطانيا وانتهت بتوقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠م وتبعتها التسوية لها بمعاهدة عام ١٨٤١م . وبالنظر إلى هذه المعاهدة يمكن أن نستخلص الآتي:

أن الدول الأوروبية الخمسة النمسا وروسيا وإنجلترا وفرنسا وبروسيا كانت ، ستراتيجيتها هى الحفاظ على الدولة العثمانية ككيان مريض ، لعدة أسباب ، أهمها أن لا تسمح لروسيا بالسيطرة على الدولة العثمانية وبسط نفوذها ، وإن بقاء الدولة العثمانية بهذا الشكل من الضعف ، يجعل التوازن الدولي مطلوب ، وإبقاء الشرق الأوسط تحت سيطرة الدولة العثمانية مع مزيد من الهيمنة والتخلف والضعف مما لا يسمح لأي من الدول الأوروبية بالانفراد بدول الشرق الأوسط ؛ ولهذا فقد تألفت هذه الدول عند ظهور قوة جديدة في الشرق الأوسط (هي مصر) عسكرياً

واقتصادياً تمكن لها أن تحل محل الدولة العثمانية وقد تخل بالتوازن الدولي وتوجد قوة مناوئة لهم ، لذلك عملت كل هذه الدول مجمعة أو منفردة على الحفاظ على الدولة العثمانية وتحجيم القوة الغنية الناشئة من التقدم إلى الأمام ، ومزيد من القوة.

ولهذا فقد حاربت هذه الدول مصر الجديدة لتنفيذ معاهدة لندن ١٨٤٠م وأجبرتها إلى الرجوع إلى محيطها واستمرار تبعيتها للدولة العثمانية ، وحرمت الشرق الأوسط من ظهور كيان قوي يستطيع الدفاع عن هذه المنطقة .

واستمرت هذه السياسة وتمحورت بين إنجلترا وفرنسا خصوصًا بعد الحملة الفرنسية ، وفشل الإنجليز في حملة "فريزر" عام ١٨٠٧م في السيطرة على مصر وتسابقت الدولتين على الفوز بمصر ، وعند ظهور ملامح نهضة ثقافية عسكرية لمصر في عهد الخديو إسماعيل، الذي كان يحلم بأن يجعل مصر أو القاهرة بالذات مثل باريس ، ونشط الجيش المصري ، وأصبح الجيش على ساحل البحر الأحمر في زيلع وهرر وحدود أوغندا ووصل إلى رأس حدفرى في الصومال مما حدا الدولتين أن يعملا على إيقاف هذه النهضة ، وقد غاص الخديو إسماعيل في الديون وأرجح أن هذه الديون والفوائد غير المنطقية ، كانت باباً للدخول والسيطرة على مصر ، وذلك باستغلال الخديو إسماعيل في العمل على تقدم مصر فقدمت له القروض ذات الفوائد غير المنطقية، أدت إلى وقوع مصر في يد الدائنين ، وبدأ تدخل إنجلترا وفرنسا حتى تمكنت إنجلترا من احتلال مصر عقب الثورة العرابية عام ١٨٨٢ وبدأت السيطرة على مصر إحدى ركائز منطقة الشرق الأوسط.

وقد كان تخطيط سياسة بريطانيا وفرنسا منع الروسيا من الوصول إلى البحار الدفيئة والمحافظة على الدول الغنية ، وفي نفس الوقت تقلص المساحات في القارة الأوروبية التي تحتلها الدولة العثمانية مع بقائها كرجل مريض ، كما تم استخدام الدولة العثمانية لتنفيذ مخططاتها ، كما حدث في أثناء الثورة العرابية والضغط عليها

من أجل إصدار منشور العصيان ضد الزعيم أحمد عرابي الذي يهتم بالخروج عن طاعة الخليفة ، وكاد ذلك من الأسباب الهامة لفشل الثورة العرابية.

الاستعمار الأوروبي:

لقد وجهت الحملة الفرنسية الأنظار إلى منطقة الشرق الأوسط بالذات مصر ، ففي خلال القرن التاسع عشر كانت بداية دخول الاستعمار الأوروبي بلدان الشرق الأوسط وكانت سياسة تلك الدول (وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا) الحفاظ على الدولة العثمانية ككيان مريض يستطيعوا أن يسيطروا عليه مع احتلال الدول البعيدة عن مركز الحكم في إسطنبول ، وفي أعقاب الحملة الفرنسية أرسلت بريطانيا حملة فريزر لاحتلال مصر عام ١٨٠٧م ، ولكنها فشلت وأعقب ذلك بحجة سخيفة احتلت فرنسا الجزائر ١٨٤٠م وأتبعتها بتونس في عام ١٨٨١م ، وبذلك ركزت نشاطها في شمال أفريقيا. أما بريطانيا فقد احتلت ميناء عدن ١٨٤١م وتنازع الدولتان على الفور على مصر حتى انتهت باحتلال بريطانيا لمصر بعد القضاء على الثورة العرابية في سبتمبر ١٨٨٢م.

ولما تزايدت أطماع الدول الأوروبية وظهرت دول جديدة كألمانيا وإيطاليا ، احتاج الأمر إلى عقد مؤتمر برلين الذي افتتح أعماله في ١٥ نوفمبر ١٨٨٤م وكانت الدول المشتركة هي ألمانيا وفرنسا والنمسا والمجر وبلجيكا والدانمارك وبريطانيا وإيطاليا وهولندا والنرويج والسويد والبرتغال وروسيا وإسبانيا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وأصدر المؤتمر في ٢٦ فبراير ١٨٨٥م قراراته النهائية التي تتألف من ٣٨ مادة[1] وكان لإنجلترا وفرنسا نصيب الأسد في هذا المجال ووقفت كل من ألمانيا وإيطاليا

(١) د. حسن خيري الخولي: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين ، ص ١٧.

موقف المترقب للحصول على أكبر الغنائم ولكن انحازت ألمانيا للدولة العثمانية ، أما روسيا والنمسا لم يستطيعا القيام بأي من الأدوار في الموضوع سوى استمرار أسلوب الجذب والشد بين روسيا والدولة العثمانية.

وقد احتلت إيطاليا في عام ١٨٨٨ م إريتريا بعد انسحاب القوات المصرية منها ، وقامت بريطانيا بالضغط على مصر للانسحاب من السودان وإعادة احتلاله عام ١٨٩٩م، وبذلك أصبحت شريكاً لمصر في حكم السودان وتسابقت جميع الدول الأوروبية إلى استكمال احتلال دول أفريقيا.

النشاط الصهيوني للعودة إلى فلسطين :

عند دراسة ظاهرة الصهيونية نجد أنها اعتمدت على أسطورة وحولتها إلى أسطورة دينية بخصوص أرض الميعاد، واستمر اليهود يتداولون هذه الفكرة من جيل إلى آخر مع مزيد من الاقتناع واستغلوا المنادين بالظروف السيئة وتعرض اليهود للاضطهاد لجعلها تعيش في أذهانهم . ومن هنا نجد أن نستفيد من هذا الدرس التاريخي عندما يكون لنا حق أن نحافظ على المطالب به وينقل من جيل إلى جيل حتى يحين الوقت والقوة لتنفيذه.

ولهذا بدأ دعاة الصهيونية في خلال القرن التاسع عشر المحاولات الأولى للتسرب داخل فلسطين.

فنجد أولى المحاولات هي ما تم في عام ١٨٢٧ فزار فلسطين السير موسى مونيتفور[١]، وهو كما يصفونه يهودي من محبي البشر وأهل الخير ، وهو أول يهودي كان محافظاً لمدينتين. وقد رأى موسى مونتيفور على حد قوله أن أمله توطين بضعة آلاف من أجوافنا في أرض إسرائيل ورغب في أن يؤسس شركة لهذا الغرض ، وكتب بشأنها إلى محمد على باشا الذي كان يحتل سوريا في ذلك الحين ، بيد أن محمد

(١) صبري أبو المجد: الصراع العربي الإسرائيلي والغضب الدامي، ص٤١ .

على رفض تلك الفكرة فتبددت خطط السير موسى مونتيفور . وكذلك حاول مع إبراهيم باشا والي الشام من قبل محمد على ، ولكنه رفض العرض أيضًا.

وتوالت بعد ذلك الدعوات والأفكار من كثير من المفكرين اليهود مثل لبد بيسكر اليهودي الروسي ، وكذلك تكوين العديد من الجمعيات أهمها جمعية محبي صهيون ، وتدعو إلى هجرة اليهود إلى فلسطين ، وكان المساعد الأول والأقوى لهذه الجمعية هو البارون رودتشبلد الذي كان يصرف من أمواله الوفيرة الشيء الكثير لإنشاء عدة مستعمرات يهودية في أرض فلسطين ، وتم إنشاء أول مستعمرة عام ١٨٨٢م ، كما بدأ العمل على شراء الأراضي في فلسطين ، وكان من أوائل من قام بذلك حركة اليانس اليهودية الفرنسية التي كانت تتلقى دعماً من الحكومة الفرنسية وبواسطته تمكنت من شراء بعض الأراضي في وسط فلسطين.

وفي هذه الظروف ظهر تيودور هيرتزل ، وهو مؤسس الحركة الصهيونية الأول، وهو أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية. وقد حاول هيرتزل مع السلطان عبد الحميد شراء أراضي في فلسطين أو السماح بالهجرة لليهود إلى أرض الميعاد ، ولكن السلطان رفض ذلك مما أدى إلى إيقاف المحاولات خلال هذا القرن ، وقام بنشر كتاب (كتيب الدولة اليهودية).

وفي نهاية هذا القرن عقد أخطر مؤتمر أثر على منطقة الشرق الأوسط ألا وهو المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا في ٢٩ أغسطس ١٨٩٨ ، والذي وضعت فيه اللبنة الأولى للعمل المنظم لإقامة دولة إسرائيل في فلسطين ، وقد استخدمت الصهيونية كل الوسائل وأولها الوسائل الاقتصادية ، وذلك أن بدأت بإنشاء بنك لشراء الأراضي وتكثيف الاتصالات مع الدول التي لها تأثير لتنفيذ مخططاتهم .

الشرق الأوسط في القرن العشرين:

تميز الشرق الأوسط في القرن العشرين بالتغيرات الإقليمية والمعالم الحادة ، فمع اختفاء دول مثل الدولة العثمانية وتوزيع أملاكها على إنجلترا وفرنسا ووضع بعضها

تحت الحماية وبعضها تحت الاحتلال والبعض الأخير تحت الانتداب. وأصبح الشرق الأوسط ضمن مسارح العمليات خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وقامت الثورات ضد الاحتلال للمطالبة بالاستقلال من جانب الدول العربية ، ونجح الغرب في زرع دولة إسرائيل في الوطن العربي، وبدأ من ذلك الوقت الصراع العربي الإسرائيلي الذي ما زال حيًا حتى الآن وتصارع عليه - بعد الحرب العالمية الثانية - كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، وحاربت مصر الأحلاف والدفاع المشترك وأصبح الشرق الأوسط مجالاً للشد والجذب بين الدولتين ، وتصارعت فيه القوى الإقليمية في حروب وانقسامات طالت الدول العربية وأنشئت الجامعة العربية ، وتدفقت ثروة البترول في الدول العربية مما جعلها مطمعًا للقوى الكبرى ، وتمكنت الدول العربية في النصف الثاني من القرن العشرين من الاستقلال ، وشاركت القوى العظمى فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة بقواتهم فى حروب الشرق الأوسط مثل العدوان الثلاثي وحرب الخليج الأولى.

وبالرغم من خصائص منطقة الشرق الأوسط توجد بعض الخصائص الأخرى الهامة التي يجب أن تراعى عند وضع السياسات ، وهي كالتالي:

١. وجود أعراق مختلفة وأقليات مختلفة عن الجنس العربي كالأكراد والبربر والعناصر الإفريقية بجانب أقليات صغيرة أخرى.
٢. بالرغم من أنها منطقة مهبط الأديان ولكن تنوعت الأديان الإسلامية والمسيحية واليهودية والأديان الأخرى الأرضية مثل البهائية ، وكذلك اختلاف المذاهب المختلفة في داخل الديانة الواحدة كما بين المسلمين من سنة وشيعة بطوائفهم المختلفة ، والمسيحيين بين الأرثوذكسي والأرمن والكاثوليك والآشوريين وكذلك تواجد اليهودية.
٣. نتج من زرع دولة إسرائيل في المنطقة جعلها بؤرة احتقان لمنطقة الشرق الأوسط وسبباً في استمرار الصراع وزيادة الفرقة بين دول المنطقة .

٤. الرغبة من الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة على مصادر البترول وتأمين منابعه حيث يتواجد أكبر احتياطيات الطاقة به.

أما الشرق الأوسط في مطلع القرن الواحد والعشرين فقد أصبحت الأوضاع فيه على النحو التالي:

١. هناك قوى عالمية تؤثر في مصير وأحداث الشرق الأوسط ، وتتمثل على النحو التالي:

أ - في الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تكتف بتواجد القواعد العسكرية لها في الخليج وتنفيذ سياساتها الإستراتيجية في المنطقة ، بل تدخلت بقواتها المسلحة في العراق لتغير نظام الحكم به وتنشر الفوضى الخلاقة وعدم الأمن ، وتدفع بالإرهاب بكل أشكاله إلى العراق ، كما نجحت في إشعال نار الفتنة العرقية والدينية متمثلة بين العرب والأكراد وبين السنة والشيعة ، بجانب ذلك اتخذت جانب دولة إسرائيل وساعدتها في عدم إتمام سلام قائم على العدل بين الفلسطينيين وإسرائيل. وكذلك جعلت من دارفور مشكلة عالمية بغرض منع الصين من التوغل الاقتصادي في السودان. كما أنها نجحت في توقيع اتفاق السلام بين شمال وجنوب السودان ، ونجحت في حق تقرير المصير إلى الاتفاق ، مما يؤدي إلى تمزق السودان. وبجانب ذلك تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على منع إيران من الوصول إلى القنبلة النووية بكل الوسائل المتاحة لديها ، ولقد وقعت الولايات المتحدة مع حكومة العراق اتفاقيات أمنية توافق على الانسحاب من العراق في مدة أقصاها ٢٠١١م ، ولكن المستقبل يحمل الكثير من الاحتمالات لدولة العراق من استمراره كدولة واحدة أو التمزق ، وفي نفس الوقت تحاول الولايات المتحدة أن تنقل مركز الثقل العسكري إلى أفغانستان لتمنع حركة طالبان من السيطرة مرة ثانية على الأمور في هذا القطر.

ب - بجانب الولايات المتحدة فإن بريطانيا تسير في نفس الخط الإستراتيجي الأمريكي مؤيدة لسياستها ومعاونة لها في تنفيذ إستراتيجيتها في الشرق الأوسط .

جـ - إن فرنسا تحاول إيجاد خط مستقل لسياستها ترعى فيها مصالحها وبخاصة في دولتي لبنان وسوريا ، كما أنها تحاول إيجاد دور لها في حل الصراع العربي الإسرائيلي ، محاولة أن تساعد في حل هذا الصراع على أمل أن تنجح في إقامة دولتين إحداهما فلسطينية والأخرى إسرائيلية، كما قامت فرنسا بمبادرة لها في إنشاء الاتحاد المتوسطي الذي تحاول فرنسا إنجاحه في سبيل إيجاد روابط أقوى مع دول الشرق الأوسط في جنوب وشرق ذلك البحر.

د - أما الاتحاد الأوروبي ، فإنه يراقب الموقف في الشرق الأوسط ويشترك في دفع السلام ودفع بعض المساعدات الاقتصادية للسلطة الفلسطينية ، ولكن ما زال على هامش الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، وهو يمكنه أن يقوم بدور أقوى وأشد في هذا الصراع. ويقوم الاتحاد الأوروبي بإجراءات واتفاقيات اقتصادية مع دول جنوب البحر المتوسط ومع الدول الشرق أوسطية لتشجيع اقتصادياتها وحماية دوله من الهجرة من دول شمال أفريقيا إلى أوروبا.

هـ - أما الناتو، بعد الحرب الباردة وتوسعه وشموله دول من أوروبا الشرقية حيث أصبح لها مهام سياسية خارج القارة ، وهو يحاول عقد اتفاقيات مع دول الشرق الأوسط لزيادة الروابط العسكرية والسياسية والمحاولة لتوثيق العلاقات بينه وبين تلك الدول ، كما أنه مستعد للتدخل كقوات حفظ السلام في الشرق الأوسط إذ احتاج الموقف إلى ذلك .

ز - روسيا الاتحادية، تحاول النهوض من عثرتها السياسية وتحاول تجديد روابطها مع دول الشرق الأوسط الاقتصادية والعسكرية ، ولعل أهم روابطها مع إيران ومساعدتها في تخصيب اليورانيوم ، وهي عضو في اللجنة الرباعية التي تختص بالمشكلة الفلسطينية.

ح - كما أن الصين بعد انطلاقتها الاقتصادية العملاقة بدأت في إقامة علاقات اقتصادية وسياسية قوية مع دول الشرق الأوسط وأفريقيا وتحاول أن تحظى بموقع قدم في الصراع على الطاقة ، وتظهر أهميتها لدول الشرق الأوسط ، لكنها إحدى الدول الخمس في مجلس الأمن الذين يحظون بحق الفيتو .. ولهذا فهي تظل تعمل كمراقب ومساند للدول العربية بدون تدخل فعال.

٢. بجانب هذه القوى الكلية هناك كثير من قوى إقليمية تمارس دورها في المنطقة ، فهناك التحالف المصري السعودي الذي يحاول لم شمل الدول العربية وإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية محتفظين بعلاقات ودية مع الولايات المتحدة ، وإن كانت هناك فترات من التأزم في هذه العلاقات ، وهناك القوى الإقليمية الجديدة المتمثلة في دولة إيران تلك القوى الإقليمية التي تعمل على إيجاد دور لها وأوراق في يدها لصالحها يمكن أن تقايض الولايات المتحدة عليها في إنجاح عملية تخصيب اليورانيوم والاعتراف بها كقوة إقليمية لها حقوق ونفوذ وتمثل تلك الأوراق في التالي:

أ - التكتل الشيعي في العراق.

ب - جذب سوريا بعيداً عن المحور المصري - السعودي والتحالف معها لتنفيذ سياسة واحدة في المنطقة تحقق لكل منهما مصالحها.

جـ - حزب الله في لبنان ، وهو الحزب الشيعي الذي برهن دولة لبنان في يد سوريا وإيران ، وذلك عن طريق المساعدات الاقتصادية والعسكرية

والسيطرة الدينية وتجعله ينفذ مخططاتها في المنطقة. أما في منطقة الخليج، فإيران تطلب أن يكون لها دور أساسي في أمن منطقة الخليج مع عدم التخلي عن حلمها القديم بإقامة دولة شيعية كبرى مع محاولة اختراق الأمن الوطني لهذه الدول و تهديدها أحيانًا.

د - وأخيراً ، حركة حماس الفلسطينية ، فبالرغم من أنها من الناحية المذهبية تدين بالمذهب السني ، ولكن تمكنت من إيجاد روابط بينها بواسطة الأموال والإمداد ببعض السلاح لتكون أحد عناصرها في الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي وتستطيع أن تحد من نفوذ مصر مع بسط الهيمنة الإقليمية ونفوذها في المنطقة ، مع تحقيق تفوق في ميزان القوى لصالحها في مواجهة القوى المنافسة لها.

٣. أما سوريا ، فإنها تخطط سياساتها على أساس مصالحها الخاصة من حيث استمرار السيطرة على لبنان بمساعدة حزب الله وبعض أطراف النزاع اللبناني، وفي نفس الوقت تحتضن بعض الفصائل الفلسطينية وعلى رأسها حماس ، لتؤكد أنها أحد أطراف معادلة السلام في الشرق الأوسط في النزاع العربي/ الإسرائيلي وذلك مما يساعد في قضيتها في استعادة هضبة الجولان من إسرائيل.

٤. واللاعب الجديد في منطقة الشرق الأوسط هو الدولة التركية ، التي بعد تولي حزب العدالة والتنمية الإسلامي (ذى التوجهات الإسلامية) الحكم ، ونتيجة لوضع العراقيل أمام تركيا بواسطة دول الاتحاد الأوروبي للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وجدت تركيا أن عليها أن توجه نفسها إلى الشرق الأوسط ومنطقة وسط آسيا ، وبادرت في الاشتراك في الصراع العربي/ الإسرائيلي وعملت على بدء المفاوضات بين سوريا وإسرائيل غير المباشرة برعاية تركيا ، كما أنها تدخلت خلال فترة العدوان الإسرائيلي على غزة واتخذت من المواقف ما يجعل لها موضع

قدم في المنطقة ، وإن كانت السياسة التركية تتسم بنوع من العقلانية والتفاهم مع مصر ، وعندها كذلك العلاقات الخاصة مع إسرائيل.

٥. كانت وما زالت إسرائيل التي تم تخليقها في مايو ١٩٤٨ إحدى القوى الإقليمية في الشرق الأوسط والتي تحاول فرض وجودها في المنطقة ونشر نفوذها ، ويعتبر الصراع الفلسطيني/ الإسرائيلي هو لب المشكلة لكي تندمج إسرائيل في المنطقة علاوة على التمسك بهضبة الجولان السورية ومزارع شبعا اللبنانية ، وتخطط إسرائيل إستراتيجيتها إلى التسويف والمماطلة في اتخاذ حلول لهذه الموضوعات مستغلة حالة الانقسام الفلسطيني وكذلك العربي بأن تجعل أيًا من المفاوضات تبدأ وتنتهي إلى المربع الأول.. وهذه هي سياسة جميع القوى السياسية الإسرائيلية مع استخدام القوة المفرطة من وقت إلى آخر لردع القوى العربية ، ولكن لن يكون هناك استقرار في الشرق الأوسط إلا بحل هذه المشكلات وعلى رأسها إيجاد دولتين هما إسرائيل وفلسطين.

٦. ولا شك من أن محور مصر والسعودية يمثل ثقلاً في منطقة الشرق الأوسط ، ويمثل قوى إقليمية متزنة يمكنها أن تحقق الاستقرار في الشرق الأوسط ، ويضاف إلى هذه القوة النجاح في تنفيذ مصالحة حقيقية مع سوريا مما يخلق مناخًا جيدًا لإعادة الاستقرار إلى منطقة الشرق الأوسط وإمكانية الوصول إلى حل الصراع العربي/ الإسرائيلي.

وبجانب ذلك فإن هناك مشكلات قد وجدت على أرض الواقع ومشكلات من المنتظر حدوثها ، وهي كما يلي:

١. الأصولية الدينية المتطرفة .

٢. الفتن الطائفية سواء كانت دينية أو عرقية.

٣. تواجد حركات الإرهاب والفكر الإرهابي.

٤. المشكلات على الحدود بين نسبة كبيرة من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، مثل مشكلة الصحراء الغربية والحدود بين سوريا ولبنان ، ومشكلة حلايب والحدود بين العراق ، وكل من إيران والكويت.

٥. السيطرة على مصادر المياه العذبة والتي ستكون من أكبر المشكلات المستقبلية في الشرق الأوسط وخصوصًا عند الاتفاق بين إسرائيل وجيرانها.

الفصل الثاني

مصر الشرق الأوسط
فى الثلاثينيات من القرن العشرين

مع بداية القرن العشرين بدأ الصراع العربى الإسرائيلى والذى نتج عنه فى منتصف القرن تقريباً إقامة دولة إسرائيل وقد اخترت العقود الأولى من هذا القرن لتميزهم عن باقى العقود فى كيفية بناء وتخليق دولة إسرائيل ، ولأن فى هذه الفترة كانت الدول العربية فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تحت الاستعمار الأوروبى الغربى لا تنظر إلى ما يحدث فى فلسطين وتدرك أبعاده لانهماك هذه الدول فى مقاومة الاستعمار ومحاولة الاستقلال والحرية من الدول المستعمرة ، وبالنظر إلى هذه الفترة من هذا القرن نجد أن هناك ثلاثة محاور رئيسية كل يعمل لصالحه ، ولكن هناك نقاط تماس وتعاون بين هذه المحاور وهى:

١- التخطيط الأوروبى لاستكمال احتلال الدول الغربية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والقضاء على الدولة العثمانية.

٢- التخطيط الصهيونى لإنشاء دولة إسرائيل بناء على مقررات مؤتمر بازل ١٨٩٧ .

٣- نضال الدول العربية للاستقلال ودفاع الشعب الفلسطينى عن أرضه.

التخطيط الأوربى لترتيب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا:

لقد خطط الاستعمار فى أوائل القرن العشرين لإنهاء الدول العثمانية وتقسيم أملاكها فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وتهيئة المناخ والظروف التى تساعد على

إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين وإعطائها الدعم اللازم ، وذلك بالتخطيط متوسط وطويل المدى ، وكان من أهم العوامل التى أنجحت هذه السياسة هو اتفاق قطبى الاستعمار فى العالم (بريطانيا وفرنسا) فى ذلك الحين وقد تدرجت الاتفاقات بين إنجلترا وفرنسا على النحو العالمى:

الاتفاق الودى الفرنسى عام ١٩٠٤م[١].

وهو الاتفاق الذى وضع حداً للنزاع بين الدولتين على أملاك الدولة العثمانية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وفى ٨ أبريل عام ١٩٠٤ تم توقيع الاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا، وقد سوى ذلك الاتفاق المشكلات الناتجة عن أطماع بريطانيا فى مصر والمشكلات الناتجة عن أطماع فرنسا فى مراكش، فقد كانت إنجلترا راغبة فى استمرار وضع يدها على مصر ، بينما كانت فرنسا راغبة أشد الرغبة فى مراكش ، وقد احتفظت فرنسا لنفسها بمقتضى الاتفاق ببعض الامتيازات فى مصر ، وتعهدت بريطانيا بألا تغير الوضع السياسى القائم فى مصر دون موافقة فرنسا ، وتعهدت فرنسا بدورها أنها ليست لديها نية تغيير الوضع السياسى فى مراكش وتعهدت إنجلترا بدورها أن تعترف بأحقية فرنسا فى بسط نفوذها على مراكش ولن تقف فى طريق فرنسا هناك، واستمر هذا الاتفاق سرًا حتى أعلن عام ١٩١١م.

مخطط بانرمان الاستعمارى ١٩٠٥[٢].

لم يكن الاتفاق الودى يكفى فى نظر بريطانيا لضمان إمبراطوريتها القائمة أو تنفيذ مشاريعها التوسعية المرسومة، ومن هنا بدأت بريطانيا ترنو إلى تحالف أشمل وأوسع من الاتفاق الودى إن لم يكن اتفاقاً عاماً يشمل الدول الاستعمارية القديمة كلها ، حتى يمكنها مواجهة الظروف الدولية المتأزمة ودرء خطر الأطماع الألمانية من

---

(١) كمال الحناوى، الشرق الأوسط فى مهب الرياح، ص ٢٨.

(٢) أنطوان سليم كنعان، فلسطين والقانون تقرير كامبل بانرمان، بحث منشور فى كتاب المؤتمر الثالث لاتحاد المحامين العرب الذى عقد فى دمشق من ٢١-٢٥ سبتمبر ١٩٥٧م، ص ٤٥٧ ـ ٤٨٩.

ناحية، وخطر القوميات أو الشعوب المناهضة من ناحية ثانية، وأخيراً لاستغلال موارد المستعمرات فى أمان من ناحية ثالثة.

وفى سنة ١٩٠٥ سقطت وزارة حزب المحافظين فى بريطانيا أكثر ، وكان يرأسها جيمس بالفور وتولى حزب الأحرار الحكم برئاسة سير هنرى كاميل بانرمان.

وكان أول ما قام به المحافظون هو إقناع سير هنرى كاميل بانرمان بتبنى فكرة تشكيل جهة استعمارية موحدة من الدول ذات المصالح المشتركة فى العالم القديم ، وهى فرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وأسبانيا ، وبرر المحافظون هذه الفكرة بأن صداقة هذه الدول وتكاتفها ضرورى لبريطانيا لإيقاف المد الاستعمارى الألمانى من جهة، وتأمين وتنسيق التوسع الاستعمارى البريطانى من جهة أخرى.

ووافق بانرمان على الفكرة وعهد إلى المحافظين بتنفيذها، وبدأت الاتصالات مع هذه الدول الاستعمارية وانتهت بتشكيل لجنة من كبار أساتذة الجامعات فى شتى المجالات مثل الاقتصاد والبترول والزراعة والتاريخ والاجتماع وشؤون الاستعمار، كما ضمت اللجنة أعلام السياسة فى هذه الدول.

واجتمعت هذه اللجنة فى لندن سنة ١٩٠٧م وافتتح سير هنرى كاميل بانرمان اجتماعها برسالة وجهها إلى مندوبى الدول الأعضاء وحدد مهمتهم فى وضوح على النحو التالى :

"... إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ، ثم تنحل رويدًا ثم تزول ، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة إلى كل نهضة وكل أمة، فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها.. فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبى وانهياره أو تأخر مصيره، وقد بلغ الآن الذروة وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنزفت مواردها وشاخت معالمها بينما لا يزال العالم الآخر فى صرح شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية...؟

هذه هى مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا..." وعلى ذلك تحدد مهمة اللجنة فيما يلى[1]:

١- اقتراح الوسائل التى تمنع سقوط الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية القائمة وقتذاك.

٢- العمل على إعاقة تقدم العالم غير الأوروبى وتطوره بحرمانه من التعليم والتنظيم والرفاهية حتى يطمئن الاستعمار إلى وجوده فيه أطول مدة ممكنة.

تطرق البحث فى المؤتمر بعد عرض جميع هذه الآراء إلى منبع الخطر على كيان الاستعمار ومتى يهدد هذا الخطر الإمبراطوريات الاستعمارية ، وتوصل الباحثون إلى أن منطقة البحر المتوسط هى مصدر الخطر الذى يهدد الإمبراطوريات الاستعمارية باعتبار البحر المتوسط همزة الوصل بين الشرق والغرب، وفى حوضه نشأت الأديان وأعرق الحضارات وخصوصاً فى شواطئه الجنوبية والشرقية حيث العالم العربى الممتد فيما بين الرباط وغزة ومرسين وإطنة، كما تضم هذه المنطقة برزخ السويس حيث تتصل بآسيا وأفريقيا وفيها قناة السويس شريان الحياة لأوروبا، وتشمل كذلك شواطئ البحر الأحمر وخليج العرب حيث الطريق إلى الهند والإمبراطوريات الاستعمارية فى الشرق، ثم حلل التقرير هذه المنطقة وأوضح كيف أنه يسكنها شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة والثقافة والآمال وجميع مقومات التجمع والترابط والاتحاد، كما تتوافر له كل أسباب القوة والتحرر والنهوض نتيجة لنزعاته التحررية وثرواته الطبيعية الكافية وموارده البشرية المتزايدة ، إذ قدر التقرير تعداده بخمسة وثلاثين مليون نسمة كما قدر أن يرتفع هذا العدد ليصبح مائة مليون نسمة على مدى قرن واحد.

(١) أنطوان كنعان : المرجع المشار إليه.

وبعد ذلك طرح المؤتمرون التساؤلات التالية:

١- كيف يمكن أن يكون وضع هذه المنطقة العربية إذا توحدت فعلاً وحققت آمال شعبها وأهدافه وإذا أخذت هذه القوة كلها اتجاهًا واحداً؟

٢- ماذا تكون النتيجة حين تدخل الوسائل الفنية الحديثة ومكتسبات الثورة الصناعية الأوروبية إلى هذه المنطقة؟

٣- ماذا يحدث لو انتشر التعليم وعمت الثقافة فى أوساط الشعب؟

٤- ما هو مصير هذه المنطقة إذا تحررت وتمكن أبناؤها من استغلال ثرواتها الطبيعية لصالحهم؟

ويجيب التقرير عن هذه التساؤلات كلها بما يلى:

"عند ذلك ستحل الضربة القاضية حتماً بالإمبراطوريات الاستعمارية وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار فى الخلود، فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت إمبراطوريات الرومان والإغريق وغيرهما..

ثم انتقل التقرير إلى بحث الوسائل لدرء هذا الخطر المحتمل على الاستعمار ؛ فدعا "الدول ذات المصالح المشتركة إلى العمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأة المتأخرة، وإلى إبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل وتناحر".

وأوصى التقرير بشكل خاص بمحاربة اتحاد هذه الجماهير العربية أو ارتباطها بأي نوع من الأنواع الارتباط الفكرى أو الروحى أو التاريخى وبضرورة إيجاد الوسائل العلمية القوية لفصلها بعضها عن بعض ما استطاع الاستعمار إلى ذلك سبيلاً.

وطرح المجتمعون توصية لدرء الخطر الداهم من المنطقة العربية وذلك، بالعمل على فصل الجزء الأفريقى من هذه المنطقة عن جزئها الأسيوى واقترح لذلك إقامة حاجز بشرى قوى وقريب على الجسر البرى الذى يربط آسيا بأفريقيا ويربطهما معًا بالبحر المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة على مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة.

ولعل هذا المخطط من أخطر الأفكار الإستراتيجية التى تؤثر على كل الدول العربية والذى كان نواه تخلق إسرائيل – وللعجب – لم يتادول هذا المخطط أو هذا الفكر فى أية مخططات إستراتجية أو سياسية فى الدول العربية وكأنه لم يتم لأنه لو وضع فى الحسبان لكان من الواجب العمل مسبقاً لمنع تنفيذه.

معاهدة سان بطرسبرج ١٩١٦م: [(١)] .

أنجز ما كماهون المعتمد البريطانى فى القاهرة لصفقة السياسة البارعة التى أبرمها مع الشريف حسين، وأعلن العرب الثورة على الأتراك وانضموا إلى دول الوفاق الثلاثى، فتغير الموقف العسكرى فى الشرق العربى لصالح هذه الدول وقدر رجال السياسة فى بريطانيا وفرنسا وروسيا أن انهيار الإمبراطورية العثمانية وضياع ولاياتها العربية بوجه خاص أصبحا أمرين وشيكين ، ومن ثم أخذوا يفكرون فى ملء الفراغ الذى سوف ينجم عن تقلص النفوذ العثمانى من هذه المنطقة العربية وكانت الدول الثلاث ترنو بأبصارها وبدرجات متفاوتة نحو أقاليم هذه المنطقة، وتضاربت مصالح هذه الدول: فبريطانيا تريد الاستيلاء على فلسطين والعراق ، أما فرنسا فتدعى لنفسها مصالح جوهرية فى بلاد الشام كلها بما فيها فلسطين، وتستند هذه المصالح – فى نظرها – إلى جوانب اقتصادية وتعتمد على نفوذها الأدبى والحضارى والتاريخى فى هذه المنطقة، وعلى أنها تعد نفسها حامية للمصالح الكاثوليكية فى فلسطين وراعية للموازنة فى لبنان، وأما روسيا فتريد أن تبسط نفوذها على فلسطين، وفرض الحماية الروسية على الأماكن المقدسة للأرثوذكسى فى فلسطين استناداً إلى أنها أكبر دولة أرثوذكسية فى العالم ولها مدارس وأديرة ومواقع مقدسة فى الناصرة ونابلس والخليل.

(١) دكتور جلال يحيى، العالم العربى الحديث، المشرق العربى فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، دار المعارف ١٩٦٥م، ص ٣٠٧.

وبعد مفاوضات واتصالات عديدة أعد المندوبان البريطانى والفرنسى فى أواخر شهر فبراير عام ١٩١٦م مشروعاً حدد فيه مصير الولايات العربية الآسيوية الخاضعة للدولة العثمانية والتى ترغب كل من بريطانيا وفرنسا فى الحصول عليها، ولكن لم يستطيعا حسم موضوع فلسطين ، فكلتا الدولتين ترغبان فى بسط نفوذها على هذا الإقليم العربى، وطال النقاش فى حوله، ثم صدرت الأوامر للمندوبين البريطانى والفرنسى بالتوجه إلى مدينة سان بطرس برج (لينينجراد) لعرض مشروعهما على الحكومة الروسية، وبدأت محادثاتهما مع سازونوف وزير خارجية روسيا فى مراس ١٩١٦م، وقد فاجأ الأخير المندوبين البريطانى والفرنسى بالمطالبة بفرض روسيا نفسها دولة حامية للمسيحيين الأرثوذكس وأماكنهم المقدسة فى فلسطين، وعارض المندوبان المطالب الروسية فيما يختص بفلسطين معارضة صلبة عنيفة، مع تقارب مطالب بريطانيا وفرنسا وروسيا إزاء فلسطين استقرار رأي هذه الدول على وضع نظام خاص لفلسطين تمثل فى إنشاء نظام إدارة دولية فى القدس مع جعل فلسطين منطقة نفوذ بريطانى ومغانم أخرى لبريطانيا فى العراق والخليج العربى فى مقابل إعطاء فرنسا ما يسمى الآن لبنان وسوريا وإعطاء روسيا مناطق نفوذ فى بعض الولايات غير العربية الواقعة فى شمال شرق الأناضول، وبذلك اطمأنت بريطانيا على قواعدها العسكرية فى قناة السويس وسائر أجزاء مصر ونجحت فى إقصاء فرنسا عن هذه القواعد، ونجحت أيضاً فى تفتيت البلاد العربية وإقامة حواجز وحدود مصطنعة بينها.

وتبادلت الحكومات البريطانية والفرنسية والروسية مذكرات سياسية[1]. مؤرخة فى ١٣، ٢٦ من أبريل ١٩١٦م و ١٠، ٢٣ من مايو ١٩١٦م، ١٠، ٢٣ من أكتوبر ١٩١٦م.

---

(١) Haward H.N, Partition of turkey, London, 1949, p18-22 .

وقد بلغ عددها إحدى عشرة مذكرة تضمنت القواعد التى تم الاتفاق عليها والمبادئ الهامة التى تضمنتها معاهدة سان بطرس برج فيها يختص بتقسيم البلاد العربية الآسيوية إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا.

اتفاق سايكمن بيكو[1].

قبل أن نعرض هذا الاتفاق نود أن نذكر أنه من أخطر وأهم الأحداث التى حدثت للشرق الأوسط والبلاد العربية هو إنهاء الدولة العثمانية وتقسيمها عليهم؛ مما أدى إلى كثير مما حدث الآن ، وما زال هذا الاتفاق يمثل نموذجًا يرجع إلى مسرح الأحداث من جبن الآخر ولكن بممثلين آخرين ولعل الفوضى الخلاقة هى صورة جديدة لهذا الاتفاق والذى أيضاً يعتبر بمثابة تجهيز الأرض لزرع إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط.

لما كان اتفاق سازونوف ـ باليولوج قد مضى على وجود عقد اتفاقية خاصة بين بريطانيا وفرنسا تتناول رسم حدود الدولة العربية المستقلة المزمع تأسيسها فى المنطقة الكائنة بين الأقاليم التى أعطيت إلى كل منهما ، فقد بودلت فى شهر مارس ١٩١٦ المذكرات بين إدوارد هراى وزير الخارجية البريطانية و يول كامبون Cambon السفير الروسى فى لندن، وهى المذكرات التى تألف منها اتفاق سايكس بيكو (الخريطة رقم ٢).

وقد أسفرت المباحثات عن وضع خريطة لتعيين مناطق النفوذ لفرنسا وبريطانيا واعتمدت المذكرات المتبادلة هذه الخريطة التوضيحية التى وقع عليها المندوبان البريطانى والفرنسى.

---

(١) الدكتور السيد رجب حراز: المشرق العربى بين الحربين العالميتين، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٧٨م، ص ٩٢ ـ ٩٧.

ولقد عرف هذا الاتفاق أيضاً باتفاق القاهرة السرى ؛ بسبب حصول أهم مراحل مفاوضاته ، أو بالأحرى اتفاق سازونوف - بالبولوج وهو جزء لا يتجزأ منه، حصولها فى القاهرة بين الإنجليز والفرنسيين والروس ، ولم تأخذه هذه الإتفاقية من الناحية الشكلية الصيغة المتعارف عليها للمعاهدة بل هى تندرج تحت النوع الذى يعرف بالقانون الدولى العام باسم الاتفاقات الدولية فى "الشكل المبسط" ويقصد بها الاتفاقات الدولية التى تعقد بين دولتين فى صورة تبادل مذكرات تسجل فيها ما تم الاتفاق عليه من غير حاجة إلى إجراء التصديق عليها ، والاستغناء عن تدخل رئيس الدولة فى أبوابها ، وهذه الوسيلة فيها السرعة والتبسيط ، وتشمل هذه الاتفاقية إحدى عشرة رسالة.

ويتضح من تفاصيل اتفاق سايكس ـ بيكو أنه يقوم على مبدأ جوهرى متين وهو تقسيم أملاك الدولة العثمانية فى تركيا وآسيا وبلاد العرب، وعلى الأصح فى الأقاليم من تركية آسيا وبلاد العرب التى لم تكن من نصيب روسيا.

بالنسبة إلى تركية آسيا أو الأقاليم التى كان مصيرها قد تقرر فعلاً من مدة سابقة، مثل المشيخات العربية التى على الخليج العربى أو مستعمرة عدن، وذلك بالنسبة إلى شبه الجزيرة العربية فأخذت كل من فرنسا وبريطانيا فور اتفاق سايكس - بيكو أقطارًا عربية فصارت تخضع مباشرة أو بالواسطة لحكومة كل من هاتين الدولتين، أو صارت منطقة نفوذ لكل منهما.

وفى الحالة الأولى تكون كل من بريطانيا وفرنسا قد استولت على البلاد العربية التى أوضح الإنجليز فى مفاوضتهم مع العرب (مراسلات الحسين) أن لهم ولحلفائهم الفرنسيين مصالح فيها توجب استثناء هذه الأقطار من الدولة أو الاتحاد العربى المستقل الذى وافقوا على إنشائه.

وفى الحالة الثانية: يكون الإنجليز والفرنسيون قد قسموا بالفعل فيما بينهم الأقاليم التى كانت مخصصة واعتبارهم لقيام الدولة العربية أو الحلف العربى بها

وحيث لم يكن يتعارض فى نظرهم أن تكون الأقاليم خاضعة لنفوذهم مع إنشاء الدولة أو مجموعة الدول العربية المستقلة بها (خريطة التقسيم طبقاً لاتفاقية سايكس - بيكو رقم٢).

ومما هو جدير بالذكر أن اتفاقية سايكس - بيكو لم تكن الأولى من نوعها ، فقد عقد الإنجليز والفرنسيون فى خلال الحرب العالمية الأولى عدة اتفاقات مع دول أوروبية لتقسيم الإمبراطورية العثمانية، وتكتموا أمر هذه الاتفاقات عن الشعوب والحكومات التى مستها هذه الاتفاقيات، ومن هذه الاتفاقيات ما نص على إطلاق يد بريطانيا وفرنسا فى البلاد العربية فى مقابل اعتراف هاتين الدولتين لروسيا بأن تضم إليها الآستانة والبوسفور والدردنيل ومن هذه الاتفاقيات ما استهدف تدعيم مركز إيطاليا فى ليبيا وجهات أخرى فى حوض البحر المتوسط، وكان من بين هذه الاتفاقيات[1] :

(أ) اتفاقية القسطنطينية: (٤ من مارس ـ ١٠ من أبريل ١٩١٥):

بين دول الوفاق الثلاثى وقد سجلت روسيا مطالبها فى ضم الآستانة والبوسفور والدردنيل إليها وقدمت بريطانيا وفرنسا مطالبها فى شبه الجزيرة العربية، وفى فارس حيث آبار البترول.

(ب) اتفاقية لندن السرية بين دول الوفاق الثلاثى وإيطاليا (٢٦ إبريل ١٩١٥):

وتقرر فيها إعطاء إيطاليا بصفة نهائية جزر الديدوكانيز ونصيباً "عادلاً" فى إقليم البحر المتوسط يكون متاخمًا لمنطقة أضاليا وتدعيم مركزها فى ليبيا ، وكان الهدف من هذه الاتفاقية هو استمالة إيطاليا للانضمام إلى دول الوفاق الثلاثى ضد دولتى الوسط، وبالفعل أعلنت إيطاليا الحرب على النمسا فى ٢٣ من مايو ١٩١٥م.

(١) الدكتور/ السيد رجب حراز: المرجع المشار إليه.

(جـ) اتفاقية سان جان دى مورين[1]:

وقد وقعت هذه الاتفاقية بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا (١١ أغسطس ـ ٢٦ سبتمبر ١٩١٧) لتعيين حق إيطاليا فى تركية آسيا. وقد استهدفت هذه الاتفاقية توزيع أملاك الدولة العثمانية أسلابًا بين هذه الدول الثلاث.

اتفاقية التقسيم فى الميزان:

إن الاتفاقيات التى ذكرت جميعها اتفاقيات سرية وقامت على مبدأ جوهرى ، هو تصفية الإمبراطورية العثمانية وتقسيم أملاكها بين الدول الأطراف فى هذه المعاهدات، وهو تقسيم روعيت فيه الرغبة فى توازن القوى فى حوض البحر المتوسط عموماً والجزء الشرقى منه على وجه الخصوص ، وذلك عندما خشيت الدول أن يقضى استيلاء روسيا على المضايق والقسطنطينية إلى تحطيم هذا التوازن، ليس فى البحر المتوسط فقط، بل فى أوروبا كذلك والاتفاقيات السابقة كانت معاهدات تقسيم صريحة، وروعى فيها أملاك العثمانيين على الدول الأوروبية التى كان معروفاً من مدة طويلة أن لها فيها مصالح استعمارية ، فلم يكن هناك ما يدعو إلى نقمة العرب على هذه الاتفاقيات، فقد كانت غايتهم أن يهدموا الإمبراطورية العثمانية.

ولكن العرب ما لبثوا حتى ثاروا عندما أذيع على الملأ خبر اتفاقية سايكس - بيكو التى أذاعها الروس البلاشفة عند قيام ثورتهم فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وتوالى نشر موجز للاتفاقيات الأخرى، ولم تمض أشهر قليلة حتى تعالت صيحات الشريف حسين فى الحجاز وصيحات سائر العرب يستنكرون هذا الاتفاق حيث قالوا إنه عقد من وراء ظهورهم وإن حلفاءهم البريطانيين على وجه الخصوص قد نكثوا عهودهم معهم وغدروا بهم[2]. وكان لهذا الاتهام أعظم الأثر وأعمقه فى تشكيل

(١) الدكتور السيد رجب حراز: المرجع المشار إليه، ص ٩٨.

(٢) الدكتور/ السيد رجب حواز: المرجع المشار إليه، ص ١٠٠.

علاقات العرب فى هذه المنطقة (المشرق العربى) مع بريطانيا، ثم مع الحلفاء الفرنسيين الذين اقتسموا مع الإنجليز أقطار العرب وورثوا أملاك الإمبراطورية العثمانية فى هذه الجهات بعد تصفيتها.

والذى لا شك فيه أن اتفاق سايكس - بيكو نفسه قد استهدف فعلاً توزيع العرب على الحلفاء الغربيين، بريطانيا وفرنسا وذلك إلى جانب تقسيم سائر أملاك الدولة العثمانية على بقية الحلفاء الآخرين" روسيا وإيطاليا".

ولقد أغفل اتفاق سايكس - بيكو إغفالاً تاماً الحديث عن تأسيس "خلافة عربية" فقد كان لا مناص من قيام دولة عربية كبرى من أجل إعلان خلافة عربية، فى بلاد من تلك العثمانية التى نبتت فكرة التعجيل بزوالها فى ذهن الشريف حسين، سواء كان البريطانيون أصلاً هم الذين أوحوا إليه بها، أم كان هو نفسه مبتدعها، ومع ذلك فقد ترك اتفاق سايكس ـ بيكو موضوع الدولة التى يريدها شريف مكة ، فتقلصت بدلاً من ذلك الأملاك التى كان منتظرًا أن تتألف هذه منها.

إن هناك عوامل كثيرة جعلت العرب ينقمون على اتفاق سايكس ـ بيكو حيث أن هذا الاتفاق كما ذكرت أغفل إنشاء الدولة العربية أو "التحالف العربى المستقل" وقسم الأقطار العربية بدلاً من ذلك إلى مناطق احتلال ونفوذ أجنبى ، وحرم فلسطين من قيام إدارة عربية بها ، واقتطعها فى الوقت نفسه من جثمان سوريا[(١)]. وثمة سبب آخر هو أن الشريف حسين كان قد أعلن الثورة منذ يونيو ١٩١٦م على تركيا وضد دولة الخلافة الإسلامية ونجحت الدولة العثمانية فى إظهار الشريف فى صورة الخائن للإسلام ولله.

ولعل أهم النقاط التى اتفقت عليها بريطانيا وفرنسا فى ذلك الاتفاق هو إنشاء إدارة دولية فى فلسطين يعين شكلها بعد استشارة روسيا بالاتفاق مع بقية الحلفاء

(١) الدكتور/ السيد رجب حراز: المصدر السابق ، ص ١٠١.

وممثلي شريف مكة ، وكان هذا الاتفاق بجانب وعد بلفور من العوامل المساعدة على تنفيذ حكم الصهيونية فى فلسطين.

وعد بلفور[1]:

وفى أواخر عام ١٩١٦م كانت كفة الحرب قد مالت لصالح ألمانيا والنمسا وتركيا وفى هذه الأثناء تقدم زعماء الصهيونية إلى الحكومة البريطانية بوعد مفاده أنه إذا أخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فإنهم (أي الزعماء الصهيونيين) سيعملون كل ما فى وسعهم لإيقاظ عاطفة اليهود فى كل أنحاء العالم وحشد طاقاتهم لمعاضدة قضية الحلفاء ، وقد أدى انهيار معنويات روسيا القيصرية إلى ضعف مقاوماتها لليهود، تلك المقاومة التى كانت العقبة الكؤود التى تعترض سبيلهم ، ذلك لأن روسيا كانت ترى أن استيلاء اليهود على فلسطين فيه مفسدة للأديان والأماكن المقدسة.

وكما سبق القول كان من مخطط بريطانيا حسب وثيقة بانرمان زرع شعب غريب شرق قناة السويس يفصل العرب فى آسيا عن العرب فى أفريقيا، كما كانت الصهيونية قد ظفرت باهتمام الدوائر الرسمية البريطانية، وبات عدد من رجال الحكومة يولى الصهيونية وآراءها مزيدًا من الاهتمام.

ومن أجل ذلك وجد نداء الصهيونية استجابة من الإنجليز خصوصًا على المستوى الرسمى.

وقامت محادثات استطلاعية بين أقطاب الحركة الصهيونية وعلى رأسهم الدكتور حايين وايزامان والمسؤولون البريطانيين واستمرت الاتصالات بين الحكومة البريطانية وزعماء الصهيونية مشروعهم الأول والثانى بخصوص تكوين

(١) جورج أنطونيوس: يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تعريب ناصر الدين الأسد (دكتور) ، وإحسان عباس (دكتور)،دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢، ص ٣٦٦.

وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وقد قابل هذا الاتجاه معارضة من جانب الحكومة البريطانية وعلى رأس هذا الفريق لورد كيرزون.

ومهما يكن من أمر هذه المعارضة الشكلية نفسها فقد اتخذ مجلس وزراء الحرب بالجلسة فى ٣١ من أكتوبر ١٩١٧ قرارًا بإصدار التصريح ، وفى اليوم التالى من نوفمبر ١٩١٧ م أرسل رونالد جراهام إلى الدكتور حاييم وايزمان بصفة شخصية نص التصريح، وأضاف قائلاً إن وزير الخارجية سوف يبعث برسالة تتضمن النص الرسمى لهذا التصريح إلى لورد روتشيلد.

وفى اليوم الثانى من شهر نوفمبر ١٩١٧ أصدرت الحكومة البريطانية نص التصريح بصفة رسمية، وكان بمثابة رسالة وجهها مستر بالفور وزير الخارجية إلى لورد روتشيلد.

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود.والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته، إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، على أن يفهم جليًا أنه لن يؤدى عمل من شأنه أن يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، أو يؤثر على الحقوق والوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى.

وأكون شاكراً لو تفضلتم فأبلغتم هذا القرار إلى الاتحاد الصهيونى.

وقد وضعت البذرة فى الأرض منتظرة من يرعاها وهم كثيرون: وذلك لإنشاء دولة إسرائيل فى الشرق الأوسط.

وفى منتصف عام ١٩١٤م أعلنت الحرب العالمية الأولى التى استمرت من عام ١٩١٤ إلى ١٩١٨م ، وكانت أهم الآثار المترتبة على قيام هذه الحرب العالمية فى

الشرق الأوسط هو دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ودولة النمسا والمجر ، مما أدى إلى زوال الدولة العثمانية ، وكذلك نجاح الصهيونية العالمية فى الحصول على وعد بإنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين ، وكذلك ثورة العرب فى الحجاز عام ١٩١٦م ضد الدولة العثمانية وتحالفهم مع الحلفاء وعلى الأخص بريطانيا.

مؤتمر فرساى:

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عقد مؤتمر الصلح بقصر فرساى القريب من باريس ، وكان من الطبيعى أن يحرص الحلفاء على تغطية أغراضهم من المؤتمر ويعلنوا بادئ ذى بدء أن المؤتمر مؤتمر سلام، وألقى رئيس الجمهورية الفرنسية خطبة الافتتاح ثم اقترح الرئيس ولسن أن تكون رئاسة المؤتمر لجورج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا، وقسم المؤتمر الدول الأعضاء إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يضم خمس دول هى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا واليابان، وقد وصفها المؤتمر بأنها "الدول ذات المصالح العامة" وتشترك فى جميع الجلسات واللجان.

أما القسم الثانى فيشمل عشرين دولة من بينها الحجاز، وقد وصف المؤتمر هذه الدول بأنها حاربت إلى جانب بريطانيا وحلفائها، ولها مصالح معينة ، ويكون اشتراكها مقصوراً على الجلسات التى تبحث فيها مسائل تهمها وتمسها.

أما القسم الثالث فلم يحدد المؤتمر عدد دوله ولا أسماءها ولكنه وصفها بأنها الدول المحايدة والدول التى هى فى طور النمو، فيجوز سماع أقوالها متى دعتها الدول ذات المصالح العامة إلى جلسات تخصص للبحث فى الأمور التى تمس هذه الدول الناشئة الصغيرة.

وفى جلسة ٣٠ يناير تعرض المؤتمر لمصير البلاد الواقعة فى غرب آسيا، والتى كانت خاضعة للدولة العثمانية ، فقرر فصل سوريا والعراق وفلسطين وبلاد العرب،

وكذلك أرمينيا فصلاً تاماً عن الدولة العثمانية واستفتاء سكانها فى تقرير مصير أوطانهم وفى اختيار دولة تكون منتدبة عليها، ويوضح هذا القرار اتجاه المؤتمر إزاء البلاد العربية وهو على أحسن تقدير إرجاء استقلالها إلى حين ، وفرض انتداب دولة أجنبية عليها تدير شؤونها فى أثناء فترة الانتداب ، وتأخذ بيدها حتى تصل بها إلى مرتبة الاستقلال.

وعلى الرغم من ذلك فإن الحكومتين البريطانية والفرنسية لم توافقا على هذا القرار عن طيب خاطر ، بل أقرتاه مجاراة للرئيس الأمريكى ولسن ،فقد كانتا تفضلان تسوية قضايا العرب فيما بينهما، ووراء ظهر المؤتمر، ثم توجهاته بالتسوية النهائية، وبذلك تضعانه أمام الأمر الواقع، وأورد هنا المواد الخمس التى تتصل بالبلاد العربية فى الشرق العربى الأسيوى[1].

المادة الأولى:

"قرر الحلفاء والدول المشتركة معهم فصل أرمينية وسوريا والعراق وفلسطين وبلاد العرب فصلاً تاماً عن الدولة التركية دون إلحاق ضرر بسكان الأقسام الأخرى من الدولة التركية".

المادة الثانية:

"قررت الدول المتحالفة والدول المشتركة معها أنه نظراً إلى الفرصة السانحة للبت فى مصير المستعمرات والأراضى التى كانت لألمانيا وتركيا وهى مأهولة بسكان لا يستطيعون الوقوف وحدهم بالنسبة إلى أحوال العالم الحاضرة معقدة العمل فى هذه الأراضى بمبدأ ترقية وإسعاد هذه الشعوب، الذين يعتبرون وديعة مقدسة فى ذمة المدينة وأن ينص على ذلك فى دستور عصبة الأمم.

(١) حسن صبرى الخولى: المرجع المشار إليه ، ص ٣١٦.

المادة الثالثة:

اقتنع الحلفاء بعد الدراسة الدقيقة أن أفضل طريقة للقيام بهذا المبدأ هو وضع هذه الشعوب فى عهد الأمم الراقية التى تكون بالنسبة إلى مواردها أو تجاربها أو مركزها الجغرافى، أقدر على القيام بهذه المهمة ، فيجب أن تقوم بهذا الإشراف وتكون كل منها وصية من قبل عصبة الأمم.

المادة الرابعة:

تعتقد دول الحلفاء والدول المشتركة معها أن طبيعة الوصاية يجب أن تكون بحسب الدرجة التى بلغها السكان من الرقى، وبحسب مركز البلاد الجغرافى وحالتها الاقتصادية ومشكلات هذه المنطقة.

المادة الخامسة:

لما كان الحلفاء يعدون بعض الشعوب التى كانت خاضعة للدولة التركية قد بلغت من الرقى حداً يصلح الاعتراف بها كأمم مستقلة محتاجة إلى استمداد النصائح الإدارية ، ومساعدة دولة وصية ، حتى تصير قادرة على السير وحدها ، فإن رغبات هذه الشعوب يجب أن يكون لها المقام الأول فى اختيار الدولة الوصية.

وجهت الدولة بعد ذلك إلى وفد الحجاز ليشهد اجتماعاً رسميًا للمجلس الأعلى للحلفاء فى ٦ من فبراير ١٩١٩م وألقى فيصل خطاباً أمام المؤتمر استغرق إلقاؤه نحو عشرين دقيقة[١]. وحدد فيصل المنطقة العربية فى آسيا وأهداف الحركة القومية العربية ألا وهى توحيد العرب آخر الأمر فى أمة واحدة ، وأشار إلى دور بلده فى الثورة ضد الأتراك.

(١) Miller, D. Hunter, My diary of the conference of paris, new york., 1924, pp297-299.

ثم استمع المجلس الأعلى للحلفاء إلى الوفد الصهيونى فى الثالث والعشرين من فبراير ١٩١٩م وكان يمثل الدول الأعضاء فى هذه الجلسة عدد من كبار الساسة المعروفين بميولهم الجارفة نحو الصهيونية[١].

وقد انصبت كلمات أعضاء الوفد الصهيونى على المطالبة بإنشاء وطن قومى يهودى يتطور مع الزمان إلى كومنولث يتمتع بالاستقلال الذاتى ، وأن يشمل هذا الوطن فلسطين وشرق الأردن وجنوب لبنان وشطرًا من سوريا ، وأطلق عليها وايزمان" فلسطين التاريخية" واستندوا فى هذه المطالبة إلى تصريح بالفور وإلى موافقة الدول الحليفة لبريطانيا على هذا التصريح. كما طالبوا أن تكون بريطانيا العظمى هى الدولة المنتدبة على فلسطين موطن الوطن القومى بالحدود التى عينوها فى إحدى مذكراتهم وأن يصدر قرار من عصبة الأمم لهذا الانتداب.

وما لبث أن انتهى مؤتمر فرساى إلى حلول لم تكن فى إطار التصريحات والوعود والمواثيق التى أخذ الحلفاء بها أنفسهم ، بل انتهى إلى قرارات تثبت سلطات فرنسا وبريطانيا أساسًا على حساب تلك المبادئ التى أعلنها الرئيس ويلسن ، وتتنافى وتلك المثل العليا التى طالما تغنى بها الحلفاء من قبل ، والعهود التى قطعوها على أنفسهم، وقد اتخذ المؤتمر قراراته ليقضى على ألمانيا أولاً وقبل كل شيء[٢].

أما شعوب الشرق والشعوب المغلوبة على أمرها فى سائر العالم والتى أخضعها الاستعمار لسلطانه، فلا مؤتمر الصلح ولا ميثاق عصبة الأمم اعترف لها بالسيادة أو أعلن تحريرها وحقها فى الاستقلال، بل إن المؤتمر وميثاق عصبة الأمم قد أبقيا الأوضاع القائمة، وكل ما استحدثه المؤتمر فى هذا الشأن هو نظام الانتداب الذى

(١) كان يمثل بريطانيا فى هذه الجلسة آرثر جيمس بالفور وزير الخارجية وملفر وكان يمثل فرنسا تارد يووميشون وكان يمثل الولايات المتحدة ولا فسنج وزير الخارجية وهوانت وكان يمثل إيطاليا البارون سونينو.

(٢) محمد على الغتيت: ثورة العرب فى ١٩١٩م ، ج ١، ص ٨٥.

نصت عليه المادة الثانية والعشرون والذى استحدث ليكون اسماً جديداً للاستعمار المقنع، وقد قسم ميثاق عصبة الأمم المتحدة البلاد المغلوبة على أمرها، إلى بلاد متخلفة وأخرى فى طريقها إلى التقدم والتطور ، ووضع لكل منها نظاماً للانتداب يندرج تحت وصاية الغرب وسيطرته، مناطق الانتداب البريطانى والفرنسى.

وبذلك كان مؤتمر فرساى هو الذى وضع الإطار القانونى لإمكان البدء من تكوين وإنشاء إسرائيل وفشل العرب فى إحباط أي من المخططات الاستعمارية فى منطقة الشرق الأوسط ، وقد تولت بريطانيا التنفيذ والإشراف والمساعدة لخلق دولة إسرائيل بالتعاون مع الصهيونية العالمية حسب التخطيط الصهيونى لإنشاء دولة إسرائيل بناء على مقررات مؤتمر بازل ١٨٩٧م.

كانت الصهيونية محددة هدفها والعمل على تنفيذه وعدم الحياد عنه ؛ ولذلك أقامت المؤسسات التى تستطيع من خلالها تنفيذ مخططاتها وهي التى تعتبر وضعت الأساس لهذا المخطط ولأنه بدونه لا يمكن الوصول إلى الهدف ، وهذا درس يجب أن نعيه فى تخطيطنا لأهدافنا ، وقد حدد المؤتمر الوسائل الكفيلة بتنفيذ ذلك كالآتى[١]:

(أ) تشجيع الاستيطان للعمال الزراعيين والصناعيين فى فلسطين .(أي بمعنى آخر تشجيع الاستعمار اليهودى لفلسطين بطريقة منظمة) .

(ب) إنشاء منظمة تربط يهود العالم ، وذلك عن طريق منظمات محلية تابعة لها فى كل بلد يتواجد فيه اليهود.

(جـ) تقوية الوعى القومى اليهودى وتعزيزه.

(د) اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة حكومية دولية لتحقيق هذه الصهيونية.

(١) الهيئة العامة للاستعلامات : من ملف قضية الشرق الأوسط (وثائق، ص٤).

إن الأهمية الأساسية لهذا المؤتمر أنه نقل الجهد الصهيونى على صعيد عالمى وإلى مرحلة جديدة ، هى مرحلة العمل والإنشاء والإنجاز المتكامل لترسيخ الوجود الصهيونى فى فلسطين بالتعاون مع الدول الاستعمارية.

وكانت تلك المؤسسات الصهيونية كالتالى[1]:

المؤتمر الصهيونى العالمى:

هو أعلى هيئة صهيونية حتى قيام إسرائيل وله هيئات تابعة له ، من أهمها الجمعية الصهيونية التى لها فروع فى أكثر أقطار العالم، ويتألف المؤتمر الصهيونى من زعماء هذه الجمعيات ، ثم اللجنة التنفيذية الصهيونية ، وهى اللجنة التى يختارها المؤتمر لتنفيذ قراراته ، وتجتمع كلما دعت الحاجة إلى النظر فى الأمور العاجلة .

منظمة الاستعمار اليهودى فى فلسطين (بيكا):

وهى أقدم المنظمات اليهودية التى غزت فلسطين لشراء الأرضى ، وقد أنشأها المليونير اليهودى أدمون روتشيلد عام ١٨٨٢م ولكنها لم تعلن رسميًّا إلا فى عام ١٩٠٠م وكانت تقدم الأموال لليهود الراغبين فى الهجرة إلى فلسطين وتشترى لهم المزارع وقد أنشأت (٤٢) مستعمرة هى أقدم المستعمرات اليهودية فى فلسطين.

الكيرين كايميت (أو الصندوق القومى اليهودى):

أنشئت عام ١٩٠١م ومهمتها الحصول على أكبر قسم من الأراضى فى فلسطين ويتكون رأس مالها من التبرعات والإعانات والصدقات ، ولها خمسة ملايين صندوق للتبرعات موزعة فى معابد اليهود وأنديتهم ومدارسهم ومكاتبهم ومنازلهم فى جميع أنحاء العالم.

(١) د/ حسن صبرى الخولى: المرجع المشار إليه ، ص ١٠٢-١٠٤ .

بنك أنجلو – فلسطين:

أنشئ عام ١٩٠٢م فى لندن وأنشئ أول فرع له فى القدس عام ١٩٠٣م ثم امتدت فروعه إلى أكثر المدن الفلسطينية وبرغم أنه بنك صهيونى إلا أنه لم يكشف عن طابعه اليهودى ، فساعده ذلك على أداء دور هام لخدمة الصهيونية ، وكان يمد المستعمرات والشركات والمؤسسات اليهودية بالأموال والقروض ، ويتلاعب باقتصاديات العرب وهو اليوم البنك الرسمى لإسرائيل.

الوكالة اليهودية[1]:

لقيت الوكالة اليهودية تقديراً عميقاً من المنظمة الصهيونية العالمية بالنسبة إلى الخدمات الجليلة التى أسدتها الوكالة فى المجالات التنفيذية لإنشاء الوطن القومى لليهود ، فقررت المؤتمرات الصهيونية ، وبخاصة تلك التى عقدت فى الفترة من ١٩٢٥م حتى ١٩٢٩م توسيع الوكالة اليهودية ، وعقدت اجتماعات مشتركة فى أغسطس ١٩٢٩م شهدها ممثلون عن المنظمة الصهيونية والهيئات اليهودية فى مختلف البلاد والتى لا ترتبط بالمنظمة الصهيونية ، ولكنها أعربت عن استعدادها للاشتراك فى الوكالة اليهودية ، وأسفرت هذه الاجتماعات عن وضع دستور لها فى ١٤ أغسطس ١٩٢٩ وأطلق عليها "الوكالة اليهودية لفلسطين" وقد تضمن هذا الدستور عدة مسائل منها التعريف بصك الانتداب والوكالة اليهودية الموسعة لفلسطين والصهيونى وغير الصهيونى ، ثم أهداف الوكالة والأجهزة التى تتكون منها ، واختصاص كل جهاز ، وتحقيق التنسيق والتعاون بينها ، وعضوية الوكالة ، وتوزيع المقاعد فى مجلس الوكالة فى دول أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وآسيا وجنوب أفريقيا وأستراليا.

---

(١) د. حسن صبرى الخولى: المرجع المشار إليه، ص ٤٩١ ـ ٤٩٢.

وسجل الدستور أهداف الوكالة على سبيل التحديد والحصر فجعلها خمسة هى:

١ - تشجيع الهجرة اليهودية ومساعدتها إلى أقصى حد ممكن.

٢ - كفالة الحاجات الدينية اليهودية.

٣- رعاية اللغة العبرية والثقافية اليهودية.

٤ - شراء الأراضى كأملاك يهودية وتسجيل ملكية الأرضى المشتراة باسم الصندوق القومى اليهودى (كيرين كايمت) على أن تصبح فيما بعد الملكية الشرعية الثابتة للشعب اليهودى.

٥- إنجاح عمليات الاستيطان الزراعى على أن تكون هذه العمليات قائمة على العمل اليهودى ، مع ضرورة استخدام الطاقة العمالية اليهودية فى جميع المشروعات والأعمال التى تقوم الوكالة بتنفيذها أو مساعدتها.

ثم أتبعت ذلك خلال فترة تحقيق الوجود على الأرض الفلسطينية بالإجراءات التالية:

١ - إقامة المستعمرات التى يمكن أن تكون عام ١٨٧٨م بداية المحاولات اليهودية الحادة فى مجال الاستيطان اليهودى فى فلسطين ، ففى هذا العالم حاول أحد يهود القدس القديمة .. يوئيل موشى سالمون" بالتعاون مع بعض المهاجرين المجريين الأوائل أقام أول مستعمرة زراعية يهودية هى مستعمرة "بينج تكفيه" أي فاتحة الأمل ولكن لم تنج المحاولة لعدم المعرفة بشؤون الزراعة ، أما أول مستعمرة حقيقية كانت ريشون الصهيونى (الأولى فى صهيون) بجوار باما بواسطة البشيون وذلك خلال عامى ١٨٨٢م ١٨٩٣م ثم استمرت بعد ذلك إقامة المستعمرات بواسطة المهاجرين الأوروبيين حسب هجرتهم.

٢- الفرق المسلحة الصهيونية:

لما كانت القوة العسكرية تمثل إحدى دعائم المخططات الصهيونية، كان أول عمل منظم مارسته الصهيونية فى فلسطين خلال هذه الحقبة هو وضع حجر الأساس للبناء العسكرى الصهيونى وخلق نواته العسكرية. فقد بدأت فى عام ١٩٠٧ بإنشاء أم المنظمات العسكرية فى فلسطين وهى منظمة الحارس (هاشومير) تحت ستار الحراسة والدفاع وفقاً للأساليب العسكرية البحتة، وانتهت بإنشاء الكتائب اليهودية التى شاركت القوات البريطانية فى القتال بمنطقة الشرق الأوسط قرب نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م ، وسيتضح فى الحقبة التالية كيف كونت منظمة (هاشومير) والكتائب اليهودية النواة العسكرية القوية لإنشاء منظمة الدفاع (هاجاناه) بعد الحرب العالمية الأولى، تلك المنظمة العسكرية الصهيونية السرية التى قادت النشاط العسكرى فى فلسطين لمدة ثلاثين عاماً هى فترة الانتداب البريطانى والتى انتهت بإنشاء دولة إسرائيل فى ١٩٤٨م.

وتأسست المنظمة العسكرية (هاشومير)[1] فى الأصل من أعضاء حزب (عمال صهيونيين) وبعض الأعضاء القدامى من وحدات الحراسة بالخارج، ثم انضمت إليهم عناصر يسارية أخرى من اليهود والروس الذين أدخلوا على أساليبها فكرة العمل الإيجابى تحت اسم (النضال والكفاح) وعدم الاكتفاء بأعمال الحراسة السلبية، بل ممارسة العنف ضد السكان العرب حتى يمكن خلق ما يسمى (باليهودى العنيف) ثم برزت ملامح أيديولوجية (هاشومير) فى الاقتراحات التى أعلنتها عام ١٩١٢ كأسلوب لحماية (اليهود) على أساس النقاط التالية:

(أ) لا يقتصر دور (هاشومير) على توفير الحماية المادية للمستعمرات اليهودية، بل عليها أن تغرس فى السكان الإحساس بواجبهم فى الدفاع عن أنفسهم.

(١) perimutter, amos military and politices in israei, frankcass, 1962,p6.

(ب) أن توفر النواة العسكرية القادرة على توسيع نطاق الوظائف الدفاعية فى المجتمع اليهودى.

(جـ) أن تحتكر (هاشومير) حق الإشراف على الدفاع عن المجتمع اليهودى فى فلسطين.

(د) يجب أن تعمل هاشومير (كقوة مسلحة) محترفة ومتخصصة فى الدفاع عن البيشوف ، وما من شك فى أن هذا البرنامج قد وضع حجر الأساس لنشأة المؤسسة العسكرية الصهيونية بهذه الخطوط الأربعة الرئيسية التى تهدف واقعياً إلى:

١ - خلق المجتمع اليهودى العسكرى.

٢- توسيع نطاق الوظائف العسكرية وإعطائها مركزاً متميزاً فى المجتمع اليهودى.

٣- السيطرة عسكرياً على مقدرات (البيشوف) من خلال الادعاء بحق الدفاع عن الشعب اليهودى.

٤ - إنشاء قوة عسكرية مسلحة محترفة.

إنشاء الكتائب اليهودية:

وفى أعقاب دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء وجدت الصهيونية فرصتها السانحة لإنشاء قوات مسلحة يهودية تشارك فى غزو فلسطين ، وقد تزعم فلاديمير جابوتنسكى[1] الدعوى إلى إنشاء هذه القوات لتقاتل مع البريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى.

وحمل صيف عام ١٩١٧ فى طياته تحولًا هاماً فى السياسة البريطانية إزاء المسألة الصهيونية عامة والكتائب اليهودية خاصة، إذ أعلنت الحكومة فى أغسطس عام ١٩١٧م موافقتها على تشكيل كتيبة يهودية، وعينت الكولونيل جونب باترسون قائداً لها.

---

(١) مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية :الأهرام، العسكرية الصهيونية، ص٦٨ .

وبناء على موقف الثورة العربية الكبرى بمنطقة الشرق الأوسط فى ذلك الوقت، بعد أن تمكن الأمير فيصل ومساعده (لورنس) من الاستيلاء على العقبة فى ٦ يوليه ١٩١٧م فقد شعرت بريطانيا أنه قد آن الآوان لتشترك الصهيونية فى القتال الدائر فى الشرق الأوسط، حتى لا ينفرد العرب بالغنائم كلها ؛ ولذلك رأت أن تدخل فى الموقف عنصرًا جديداً يساعدها على التنصل من الوعود التى قطعتها على نفسها مع العرب وهو تنصل كان مبيتاً من قبل.

ولقد تشكلت ثلاث كتائب يهودية[1]. تحت إشراف القوات البريطانية ، ففى ٢٣ أغسطس عام ١٩١٧م أعلنت الحكومة البريطانية رسميًا تشكيل الكتيبة الأولى اليهودية وتعيين الكولنونيل جون باترسون ، وفى فبراير ١٩١٨م تشكلت الكتيبة الثانية رقم ٣٩ حملة بنادق الملكية من اليهود الأمريكيين وعين قائداً لها الكولونيل اليهودى إليعازر مزجولينى.

وفى يونيو ١٩١٨م تشكلت الكتيبة الثالثة وهى الكتيبة ٤٠ حملة بنادق الملكية وقد ساهمت هذه الكتائب فى الهجوم البريطانى الثانى الذى بدأ فى سبتمبر ١٩١٨م لاحتلال شمال فلسطين وسوريا ولبنان.

وبعد ذلك تم إنشاء الفرق المسلحة التالية:

١- المنظمة العسكرية الصهيونية السرية فى فلسطين (الهاجاناه) وذلك فى ٢٥ يونيو ١٩٢١ واعتمد فى إنشائها على اللجنة العامة.

٢- البالماخ فكانت سياستها هى:

(أ) العمل ضد قوات العدد غير النظامية.

(ب) العمل ضد قوات العدد النظامية بالتعاون مع القوات النظامية الصديقة.

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٢.

٣- قوات الأرجون ، وهى جماعة أنشئت عام ١٩٣٧ وقد أنشئت من الهاجاناة وقد نظمت قوات الأرجون فى أربعة أقسام وهى:

(أ) جيش الثورة وهى تمثل قوات الاحتياط.

(ب) وحدات الصدمة وقد تم اختيار أفرادها من اليهود ذوى القسمات الشرقية فى القيام بأعمال إرهابية داخل المنظمة العربية سواء فى فلسطين أو خارجها.

(جـ) وحدات الاقتحام هو القسم الذى كان مكلفاً بالقيام بأعمال عسكرية ضد القوات البريطانية والمرافق الحيوية لها.

(د) منظمة شترن، ولم تخرج عن مجرد عصابة إرهابية تبع نظام الخلايا السرية وركزت على أعمال القتل والاغتيال.

إنشاء اللواء اليهودى:

لم تتوقف جهود وايزمان ـ الذى بقى فى لندن ـ لمتابعة تحقيق الأمل الصهيونى بإنشاء القوى اليهودية ، وبعد أشهر طويلة من المطالبة المستمرة بإنشاء قوة يهودية أعلنت الحكومة البريطانية فى أغسطس ١٩٤٢ موافقتها على:

١- إنشاء كتائب مشاة يهودية (وعربية) مستقلة للخدمة بالشرق الأوسط.

٢- التوسع فى إنشاء قوة الشرطة اليهودية الخاصة (نوتريم) والتى كانت تمثل الجيش الشرعى للهاجاناه.

٣- تجنيد قوة إضافية من ٢٥٠٠ رجل على أن يقدم قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط الضباط اللازمين للتدريب فضلاً عن الأسلحة والمعدات اللازمة لها.

بالإضافة إلى ما تقدم ، فقد تطوع فى صفوف الجيش البريطانى حوالى ٢٣ ألف جندى يهودى كانت السلطات البريطانية تعتبرهم وحدات وطنية لها شعارها

الخاص، وبلغ عدد الوحدات الصغرى اليهودية فى القوات البريطانية من المشاة والمدفعية والمهندسين وخدمة الجيش فضلاً عن البحرية والطيران حوالى ٦٠ وحدة، وفى عام ١٩٤٤م شكل اللواء اليهودى الذى بلغت قوته حوالى ٥٠٠٠ فرد.

وبذلك يمكن حصر القوات العسكرية اليهودية التى تشكلت فى أثناء الحرب العالمية الثانية فى الآتى[1]:

١- الجيش الميدانى (هيش) حوالى ٢٠.٠٠٠ فرد.

٢- جيش الدفاع (هيم) حوالى ١٧.٠٠٠ فرد.

٣- البالماخ حوالى ٢.٥٠٠ فرد.

٤- الشرطة اليهودية حوالى ٦.٠٠٠ فرد.

٥- اللواء اليهودى حوالى ٥.٠٠٠ فرد.

لقد ناهز حجم القوات العسكرية ٥٠ ألف فرد، هذا بخلاف المتطوعين اليهود فى صفوف الجيش البريطانى والذين بلغ عددهم ٢٣ ألف فرد.

امتد التعاون بين القوات البريطانية والصهيونية فى فلسطين فشمل عدة مجالات مدنية وعسكرية، إذ استخدمت معامل الجامعة العبرية وغيرها فى الأبحاث اللازمة للقوات البريطانية كما أنشئت الورش والمصانع اليهودية للإصلاح والتصنيع، وبذلك تكون السلطات البريطانية قد أسهمت ليس فقط فى تنمية القوات المسلحة الصهيونية وزيادتها عدداً وعدة، بل إنها أتاحت الفرصة كذلك لتطوير وتنمية الإمكانيات الحربية الصهيونية فى مجالات الأبحاث العلمية والصناعات الكيماوية والإصلاحات العملية وغيرها من النواحى التى تعكس تأثيراً مباشراً على القوة العسكرية.

(١) العسكرية الصهيونية، المرجع المشار إليه، ص١٤٦.

وهكذا كان تخطيط المنظم الصهيونى دقيقاً منضبطًا ، فلقد حددت السلطات البريطانية الهدف وعملت من أجله واستخدمت جميع الأساليب المتاحة ، وكان شعارها الغاية تبرر الوسيلة واتخذت لذلك المحددات التالية :

١- إنشاء المؤسسات والتنظيمات التى تسمح بتنفيذ سياسة المنظمة الصهيونية وأغراضها وتوحيد الجهود فى تلك المؤسسات.

٢- التحالف مع قوى كبيرة ترى المنظمة فيها أنها تستطيع من خلالها تنفيذ مخططاتها.

٣- تقديم الخدمات لهذه القوى تحت ستار لا شيء لوجه الله ، ويجب أن تحصل على مقابل لذلك فى حدود تنفيذ أغراضها.

٤- إنشاء الوحدات العسكرية لتجهيز الكوادر العسكرية وبناء قوة تستطيع أن تنفذ أهدافها.

٥- استخدام جميع الوسائل من العنف والإرهاب والمال تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة.

ولقد استغلت الزعامات الصهيونية بكفاءة ولم تترك فرصة واحدة لم تستغلها لصالحها واستطاعت بمعرفتها للقوى الدولية كيف توظفها لصالح هدفها النهائى ، وهو إنشاء دولة إسرائيل ، وفى نفس الوقت كانت الصورة مضادة لهذه التوجهات على الجانب العربى.

نضال الدول العربية للاستقلال وكفاح الشعب الفلسطينى للدفاع عن أرضه

لقد كان العقدان الأولان فى القرن العشرين بالنسبة إلى جميع الدول العربية فى منطقة الشرق الأوسط نضالاً وكفاحًا للحصول على الاستقلال من الدول المستعمرة وخصوصًا أن شمال إفريقيا قد احتل بواسطة فرنسا وأسبانيا ، أما ليبيا فقد احتلت بواسطة إيطاليا ومصر والسودان تحت الحكم البريطانى ، أما دول الشام فكانت تحت السيطرة العثمانية وكان هناك كثير من الحركات للاستقلال والحصول

على الحرية لها، مما جعلهم بعيدين عن فلسطين وما يجرى بها وعن التصدى للمخطط الصهيونى والاستعمارى ، ولكن فى الثلاثينيات من ذلك القرن بدأت الدول العربية تشعر بشيء من الحرية والاستقلال ، وبدأت الدول العربية تشعر بما يتم فى فلسطين من أجل تهديدها.

وخلال العقد الثانى من القرن العشرين وخلال الحرب العالمية الأولى كان من أهم الأحداث الثورة العربية التى قادها الشريف حسين حاكم الحجاز عام ١٩١٦ لمساعدة بريطانيا ، وبالرغم من نجاح هذه الثورة إلا أنها فشلت فى تحقيق ما كانوا يرجونه بالنسبة إلى الدول العربية ، وذلك لأن هذه الثورة قامت على أساس التفاهم العربى الإنجليزى من خلال مراسلات رماكماهون والشريف حسين ، وقد بلغت الرسائل التى تداولت بين الشريف حسين وهنرى ماكماهون المعتمد البريطانى الجديد فى مصر عشر رسائل، خمس من الجانب العربى ومثلها من الجانب البريطانى وقد حدد الشريف حسين فى هذه الرسائل الحدود التى تضم البلاد العربية والتى تطالب باستقلالها وكان كلامه مقصوراً على الشرق العربى الأسيوى ولم يمتد ليشمل جميع أقطار الوطن العربى مثل مصر وليبيا والسودان وشمال إفريقيا ، قد تميز الرد البريطانى بالتهرب من معالجة مسألة حدود الدولة واتسم بالمراوغة وعدم إعطاء وعد صريح للجانب العربى ، ويرجع ذلك إلى أطماع الجانب البريطانى فى العالم العربى.

وعند تحليل هذه المرسلات ونتائجها نجد أن الشريف حسين أضاع فرصة ذهبية ، لقد كان فى مركز القوة وكانت بريطانيا فى أشد الحاجة إلى مساعدة العرب ، فقيام ثورتهم على الأتراك وقطع مواصلات الفرق العسكرية الألمانية فى ميادين الشرق جعل فى استطاعة الشريف أن يتمسك بشروطه كما تحددت فى بروتوكول دمشق ولكنه تناسى إصداره السابق وأصبح الاتفاق عبارة عن عشر رسائل له تجبر أي طرف على الالتزام بتعهداته ، كما أنه فى مذكرة ماكماهون رداً على الشريف

المؤرخة فى يوم ٣٠ يناير ١٩١٦م صاغت فقرة فى غاية البراعة الدبلوماسية وكانت على النحو التالى : ثم متى انتهت الحرب فإن صداقة فرنسا وإنجلترا ستقوى وتشتد ، ومعناها إذا أصرت فرنسا على مطالبها الخاصة بالجهات الموجودة فى بلاد الشام والتى تم ذكرها فى المذكرة فى ٢٤ من أكتوبر ١٩١٥م فإن الحكومة البريطانية لن تستطيع أن تدمج فى نطاق الدولة العربية المستقبلية الجهات التى تطالب بها ، وهى حلب وبيروت وغيرهما ، وهذا خطأ آخر من جانب الشريف حسين حيث أنه لم يصمم على حدود الدولة العربية وبهذا نجد من التحليل النتائج التالية:

١- إن السذاجة العربية والكرم الحاتمى فى السياسة لا يوجد له عنان وإنه فى حالة الاتفاق يجب أن نحدد بشكل دقيق وحقيقى وليس به أي لبس فى المضمون والمعنى ، وبهذا نجحت بريطانيا فى أخذ كل ما تريده من العرب ولم تعط إلا أحلام وهذه هى طريقتنا حتى الآن.

٢- كان يمكن أن ينتج عن هذا الاتفاق حماية دول المشرق وعلى رأسها فلسطين ولكن لم يتم ذلك.

٣- استغلت بريطانيا حب بيت الشريف حسين فى أن يصبحوا ملوكًا فقامت بوضع فيصل ملكًا على العراق بعد طرده عن سوريا واقتطعت بريطانيا قطعة من الصحراء جعلت من إمارة شرق الأردن عام ١٩٢٩م هذه الدولة المعتمدة تماماً بل بريطانيا ، ووضعت الأمير الأصغر عبد الله أميراً عليها ، ثم جعلت الشريف حسين ملكًا لكل من الحجاز الذى لم يستطع الدفاع عن مملكته وضمها الملك عبد العزيز آل سعود إلى مملكته عام ١٩٢٣م.

ولم تقف بريطانيا عند هذا الحد ، بل عملت على السيطرة على فلسطين بوضعها تحت الوصاية وإلى جانب ذلك خذلت بريطانيا الشريف حسين ولم تف بأي وعد له، وخرج العرب من هذه الحرب بدول شبه مستقلة ، وتغيرت السيطرة العثمانية إلى سيطرة بريطانية وفرنسية، وغرق الشرق الأوسط وحققت الدول الاستعمارية أطماعها.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وفى أثناء مؤتمر الصلح تنافس حلفاء الأمس على الغنيمة فازداد ضغط الحكومة الفرنسية على لندن لتنفيذ اتفاقية سايكس - بيكو حتى تضمن لنفسها مناطق نفوذ فى الشرق العربى الأسيوى بعد أن انحصر عنه نفوذ الدولة العثمانية.

ووجدت الحكومة البريطانية أنه ليس هناك ضرورة تدعو إلى إبقاء القوات البريطانية فى هذه المواقع إلى أن ينتهى مؤتمر الصلح، وقد سفرت المباحثات بين كلمنصو ولوليد جورج عن عقد اتفاق عسكرى بين الحكومتين فى ١٥ سبتمبر ١٩١٩ تناول تعديلاً جوهرياً على معظم أحكام اتفاقية سايكس - بيكو وكان من أهم المبادئ التى تضمنها هذا الاتفاق العسكرى[1]:

١- اعتراف فرنسا بجعل فلسطين منطقة نفوذ بريطانى ووضعها كلها تحت الانتداب البريطانى، ومعنى هذا التعديل استبعاد فكرة إقامة حكم دولى فى أية بقعة فى فلسطين، وكانت اتفاقية سايكس بيكو قد قررت قيام مثل هذا الحكم الدولى الخاص فى فلسطين.

٢- تتنازل فرنسا لبريطانيا عن منطقة الموصل الغنية بالبترول، وكانت داخلة فى إقليم سوريا المقرر إعطاؤه لفرنسا طبقًا لاتفاقية سايكس - بيكو.

٣- وضع العراق تحت الانتداب البريطانى مع ضم منطقة الموصل إليه.

٤- لبريطانيا الحق فى إنشاء خط حديدى ومد خط أنابيب بترول يصل العراق بفلسطين حيث ينتهى الخطان عند حيفا على البحر المتوسط.

٥- إبقاء مقاطعة شرق الأردن ـ وكانت يومئذ جزءاً من سوريا - تحت الاحتلال البريطانى.

---

(١) حسن صبرى الخولى: المرجع المشار إليه، ص ٣٦٨-٣٦٩.

٦- جلاء الجيش البريطانى عن المنطقتين الشرقية والغربية ، أي سوريا ولبنان عن كيليكيا وإحلال الجيش الفرنسى محله، بشرط أن يتم الجلاء الإنجليزى عن هاتين المنطقتين واحتلال الجيش الفرنسى لهما فى أول نوفمبر ١٩١٩م.

٧- تترك المدن الأربع التالية وهى: دمشق، وحمص، وحماة، وبعلبك خارج منطقة الاحتلال العسكرى الفعلى، ومعنى هذا أن العرب ينفردون بوضع قواتهم فى هذه الجهات وحكمها.

وقد تضمن هذا الاتفاق العسكرى عبارة تقليدية مرنة تحمل أكثر من تفسير وتخفى وراءها أكثر من غرض عدوانى استعمارى ، وتستطيع أن تتلاعب بها الدولتان المتعاقدتان وتخدرا بها الشعب العربى، فقد نصت هذه العبارة على أن الاتفاق ليس إلا "تدبير عارض ومؤقت لتسوية الاحتلال العسكرى للغير وهو لا يؤثر فى حل القضايا الخاصة بالانتداب والحدود التى يجب النظر فيها باعتبارها جزءاً من قضية الصلح العامة مع تركيا".

جاء هذا الاتفاق العسكرى البريطانى الفرنسى تدعيماً للسيطرة البريطانية على فلسطين والعراق وشرق الأردن وتنفيذاً للمخطط البريطانى فى منطقة الشرق العربى الأسيوى، وتمهيداً لغرض الانتداب البريطانى رسميًّا على هذه الأقاليم العربية الثلاثة، وتخفيفاً للميزانية البريطانية بسحب القوات البريطانية من سوريا ولبنان وكيليكيا، واستمر تنفيذ المخطط الأنجلو - فرنسى تجاه بلدان الشرق الأوسط، وخصوصًا إضفاء الطابع القانونى لتصريح بالفور وخلق كيان سياسى خاص لفلسطين يختلف عن بقية بلدان الشرق الأوسط العربية ، ويتيح إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وقد تمت أولى مراحل هذا التدبير بصدور قرار مؤتمر سان ريمو بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى عام ١٩٢٠م ، وعهد إلى الحكومة البريطانية بالعمل على وضع تصريح بالفور موضع التنفيذ ، فعملت بريطانيا وحليفاتها على انتزاع صك رسمى من الحكومة التركية تعترف فيه هذه الحكومة بسلخ فلسطين وسائر الأقاليم العربية عنها ليتسنى لبريطانيا تصريح بالفور دون

اعتراض أو حجة قانونية قد تثار فى وجهها ولتقضى فى تنفيذ مخططها ، وهو تفتيت البلاد العربية الأخرى وجعلها مناطق نفوذ فيما بينها.

أما فيما يختص بفلسطين فى قرار هذا المؤتمر فقد نصت المادة ٩٥[1] على أن يعهد بإدارة فلسطين عملاً بأحكام المادة ٢٢ من ميثاق العصبة إلى دولة منتدبة تختارها الدول الكبرى المتحالفة ، وأن تكون هذه الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ تصريح بالفور الذى أصدرته الحكومة البريطانية فى الأصل بتاريخ الثانى من نوفمبر ١٩١٧م وأقرته دول الحلفاء الأخرى من أجل إنشاء وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى. كما نصت الفقرة الثانية من نفس المادة على أن تشرع الدولة المنتدبة بأسرع ما يمكن فى تعيين لجنة خاصة لدراسة وتنظيم جميع المسائل والمطالب المتعلقة بالطوائف الدينية المختلفة.

وقد اتبعت بريطانيا سياستين هامتين بين دول الشرق الأوسط هما:

المبدأ الأول: فرق تسد . وبنت هذه السياسة على حماية الأقليات الدينية والعرقية مثل السنة والشيعة والعرب والأكراد والآشوريين فى العراق والمسلمين والأقباط فى مصر وشمال وجنوب السودان ، والبدو والعرب فى شرق الأردن.

المبدأ الثانى: وضع بذرة الخلاف بين الدول فى هذه المنطقة واصطناع الحدود بين هذه الدول ، مما يوجد بذور الخلاف والشقاق بينهم ، وذلك يبدو واضحًا فى الحدود بين الإمارات العربية والحدود بين الكويت والسعودية وبين الكويت والعراق والحدود بين مصر والسودان والحدود بين اليمن والمحميات فى الجنوب العربى ، وتخدم هذه المبادئ التى اتخذتها بريطانيا ضمان السيطرة وتنفيذ مخططات بريطانيا للهيمنة على هذه المنطقة وما لها من أهمية إستراتجية بالنسبة إليها.

(١) Creat Britan andoid Palestine 1919-1915. p,16-32.

ثم قامت بريطانيا بتنفيذ أهم مخططاتها فى الشرق الأوسط فى النصف الأول من القرن العشرين ، وهو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى بعد فصلها عن بلاد الشام وإقامة الوطن القومى لليهود فيها.

ولهذا فإن الانتداب على فلسطين كان يهدف إلى طمس عروبة فلسطين وتهيئة الظروف اللاطمة لتحقيق وعد بلفور، وكانت وسائل الانتداب كثيرة ومختلفة وكلها تدور حول تهويد البلاد التى كانت تعيش فيها وقتذاك أقلية يهودية ضئيلة العدد ، تقل نسبة أفرادها عن ١٠٪ من مجموع عدد سكان فلسطين العرب[١].

وعلى ذلك فقد كان صك الانتداب نصر آخر للصهيونية إذ حوى هاتين الفكرتين اللتين خلا منهما وعد بلفور، فجاء فى المادة الثانية أنه على الدولة المنتدبة أن تهيئ فى البلاد الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية ما يضمن إنشاء الوطن القومى اليهودى، ونصت المادة الرابعة على قيام "وكالة يهودية" يعترف بها كهيئة عامة من أجل تقديم المشورة والتعاون مع السلطات الإدارية فى فلسطين فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الشؤون التى قد تؤثر فى إنشاء الوطن القومى اليهودى ، وأجازت المادة الحادية عشر لإدارة الانتداب أن تتعاون مع الوكالة اليهودية على إنشاء أو تشغيل أية مرافق وخدمات عامة على أساس عادل، وتطوير أية موارد طبيعية توجد فى البلاد .

ونصت المادة السادسة على "وجوب تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين" وأن يستقروا فى الأراضى الأميرية والأراضى غير المطلوبة، وطلبت المادة السابعة من الدولة المنتدبة "أن تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم على الدعوية الفلسطينية".

(١) وليم فهمى: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية : عام ١٩٧١، ص٥٦.

ونصت المادة الثانية والعشرون على جعل اللغة العبرية إلى جانب اللغتين الإنجليزية والعربية لغة رسمية فى البلاد.

وفى هذه المرحلة بالذات ظهر التنسيق التام بين السياسة البريطانية والصهيونية، وقد أرادت هاتان القوتان أن تخلقا أساساً قانونيًا ودوليًا تستطيع بريطانيا أن ترتكز عليه فى تهويد فلسطين وتوضح كيف كانت الصهيونية تنتهز كل فرصة لتحقيق غرضها بالتحالف مع إحدى القوى العظمى فى ذلك الوقت.

اتفاقية فيصل - وايزمان:

بعد أن تقدم فيصل بمذكرة مؤرخة لمؤتمر الصلح فى ٢٩ يناير ١٩١٩م حددت فيها مطلب العرب فى الاستقلال ، كما طالب فيها أن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا خط الإسكندرونة - ديار بكر حتى المحيط الهندى جنوباً مقترحاً باستغلالها وسيادتها بضمان من عصبة الأمم وكذلك تقدم وايزمان بمذكرة طالباً إقامة الوطن اليهودى فى فلسطين إلى نفس المؤثر، ولما كان رد الفعل ضعيفاً للإجابة إلى مطالب العرب، عقد فيصل ووايزمان اتفاقًا فى ٣ يناير ١٩١٩م بين الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والدكتور/ حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية وقد كانت تلك الاتفاقية كسبًا للصهيونيين أفادوا منها فوائد عظيمة ، فقد قرر الدكتور وايزمان "أن وجود هذه الاتفاقية فى يده قبل أن يمثل أمام مؤتمر الصلح فى باريس كان سببًا كافيًا جعل الدول الأربع الكبرى - إنجلترا- فرنسا - الولايات المتحدة الأمريكية -إيطاليا ، تقف موقفًا إيجابيًا من الأمانى الصهيونية" .

وكانت هذه الاتفاقية أكبر خطأ سياسى ارتكبه فيصل فى حق فلسطين ونكسة خطيرة لقضيتها وكسبًا كبيرًا للصهيونيين ونجاحاً لبريطانيا فى العالم العربى ، فقد استطاع الصهيونيون أن يظفروا بموافقته على مبادئ فى غاية الخطورة تضر بالقضية الفلسطينية ضرراً بالغاً وهى تتضمن:

أولاً : فصل فلسطين عن الدولة العربية ، أي تمزيق الوحدة العربية التى كانت مطلباً أساسياً من مطالب الثورة العربية الكبرى.

ثانياً : قبول تصريح بالفور الذى يهدف أساساً إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين.

ثالثاً : تشجيع الهجرة اليهودية الكثيفة والإسراع إليها.

رابعاً : تنسيق الخطط بين الوفدين العربى والصهيونى أمام مؤتمر الصلح فيما يختص بالمسائل التى تناولتها الاتفاقية .

وأسفرت اتصالات فيصل/ كليمنصو رئيس وزراء فرنسا وغيره من أقطاب الفرنسيين عن اتفاق مؤرخ فى ٦ يناير ١٩٢٠م يتكون من ديباجة وست مواد، ويتضح من نصوص هذا الاتفاق أن فيصل وافق على إخراج فلسطين من دولة سوريا، فلم يرد ذكر على الإطلاق لاسم فلسطين فى الاتفاق. كذلك أقر فيصل صراحة بفصل لبنان عن سوريا ووضعه تحت الانتداب الفرنسى، أما سوريا فقد أقرت بأن تكون هى الأخرى تحت الانتداب الفرنسى دون أن يرد ذكر لكلمة انتداب ولكنه مشروع الاتفاق بأن يطلب المعونة والنصائح من فرنسا.

وجاء فى صك الانتداب الخطوات التنفيذية لوضع تصريح بلفور محل التنفيذ لإنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين، وقد تكون صك الانتداب من مقدمة وثمانى وعشرين مادة. ولقد كان الواضح أن مهمة الدولة المنتدبة الرئيسية هى تهيئة الوسائل لإنشاء الوطن القومى لليهود، وكان تعيين المندوب السامى البريطانى الصهيونى اليهودى هربرت صمويل الذى أكد التعاون التام بين سلطة الانتداب والمنظمة الصهيونية تعاوناً وثيقاً. وبدأت بريطانيا فى سن التشريعات ووضع القوانين اللازمة لتهويد فلسطين ، نتج عن تلك التشريعات الاضطرابات المسلحة واضطرابات العصيان والثورات التى قام بها عرب فلسطين ، ولهذا قد تم تعيين

خمس لجان لتقصى الحقائق ، واللجان هى لجنة توماس هايكرفت (١٩٢١) ولجنة ولتر شو ١٩٢٩م ، ولجنة هوب سبمون ١٩٣٠م لبحث مسألة الأراضى والهجرة ولجنة بيل ١٩٣٧م ولجنة ووريهد ١٩٣٨م بالإضافة إلى ذلك قامت بعثة نيابة عن عصبة الأمم بزيارة فلسطين عام ١٩٣٠م لدراسة الأحوال الخاصة بحائط المبكى (البراق) وإثبات ملكيته لأي من الطرفين[١].

وكان يطلب من اللجان بحث المظالم التى يشكو منها العرب وكتابة تقرير عنها، فجاءت نتائج تحقيق تلك اللجان من حيث الروح متطابقة ومتماثلة وهى:

١- خيبة أمل العرب فى عدم الوفاء بالوعود المعطاة لهم فى نيل الاستقلال إبان الحرب العالمية الأولى.

٢- إيمان العرب بأن وعد بلفور جاء ليرخص حق العرب فى تقرير مصيرهم وتخوفهم من إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، سيؤدى حتمًا إلى حرمانهم من بيوتهم وممتلكاتهم وأراضيهم.

وكذلك صدرت الكتب البيضاء من الحكومة البريطانية كالتالى:

١- الكتاب الأبيض الأول عام ١٩٢٢م وأهم ما فيه بخصوص وعد بلفور أنه لا يعنى أن كل فلسطين يجب أن تحول إلى وطن قومى يهودى وهذا يعتبر أول تفكير فى تقسيم فلسطين.

٢- الكتاب الأبيض الثانى عام ١٩٢٩م بعد اضطرابات هبة البراق وقد اعترف هذا الكتاب بحقوق المجتمعات اليهودية واعتبرها على نفس المستوى من الأهمية لحقوق العرب.

وإزاء الضغط اليهودى العالمى، اضطرت الحكومة البريطانية إلى سحب الكتاب الأبيض الثانى ، وذلك عندما وجهت هذه الحكومة الدعوى إلى الوكالة

(١) الهيئة العامة للاستعلامات من ملف قضية الشرق الأوسط (وثائق) ، ص ٤ .

اليهودية للتشاور معها فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٠م وأسفرت هذه المشاورة عن إرسال خطاب من رئيس الوزارء الإنجليزي مستر رمزى مدونالد إلى حاييم وايزمان فى ١٤ فبراير ١٩٣١م[1]. يفسر ويشرح فيه "الكتاب الأبيض" وكان شرحًا وتفسيرًا فى صالح اليهود ، أكثر مما جاء قطعًا فى صالحهم فى الكتاب الأبيض "غير المفسر وغير المشروع" حتى أن العرب أطلقوا على هذا الخطاب اسم "الخطاب الأسود".

٣- الكتاب الأبيض الثالث والذى اعترفت بريطانيا فيه بأن المشكلة الفلسطينية على أساس مقترحات لجنة التقسيم ، أي إنشاء دولة عربية مستقلة وأخرى يهودية (بناء على لجنة ودد هيد التيئ أرسلت ١٩٣٨م).

إنما ينطوى على صعاب سياسية وإدارية ومالية عظيمة، تجعل هذا الحل المقترح للمشكلة غير عملى، ثم أعلنت عدولها عن التقسيم وأنها "تواصل الاضطلاع بمسؤوليتها فى حكم فلسطين بأجمعها" كما أعلنت عن نيتها فى توجيه الدعوى القريبة إلى ممثلين من عرب فلسطين والدول المجاورة من جهة ، ومن الوكالة اليهودية من جهة أخرى للتباحث معها فى لندن، ومع أن العرب واليهود قد اعترضوا على "بيان" الحكومة البريطانية، إلا أن أحدًا منهم لم يرفض الدعوة الموجهة لعقد هذا المؤتمر فى لندن.

٤- الكتاب الأبيض البريطانى لعام ١٩٣٩م المعروف باسم كتاب مالندونالد الأبيض، وفى ١٧ مايو ١٩٣٩م صدر كتاب أبيض بريطانى يحوى مقترحات جديدة للحكومة البريطانية ، وتتلخص فى إنشاء فلسطين دولة مستقلة فى خلال عشر سنوات تربطها معاهدة مع بريطانيا، تؤمن مطالب الطرفين الاقتصادية والإستراتيجية فى المستقبل، ثم من الناحية الدستورية توسيع قاعدة مشاركة الفلسطينيين فى حكومة بلادهم (الحكم الذاتى) ولو أن شيئًا لم يذكر

(١) الهيئة العامة للاستعلامات، ملف قضية الشرق الأوسط (وثائق) ، ص ٤.

على وجه الدقة لبيان نوع الدستور الجديد المنتظر ، وفيها يتعلق بمشكلة الهجرة، أعلن الكتاب الأبيض بإدخال ٧٥.٠٠٠ يهودى خلال السنوات الخمس التالية، بشرط أن تسمح قدرة البلاد الاقتصادية على استيعابهم، فلا يسمح بعد انقضاء هذه السنوات الخمس بأية هجرة يهودية إلا إذا وافق عرب فلسطين على قبولها.

وكان السبب الوحيد لمبدأ التحول البريطانى هو ظهور احتمال الحرب العالمية الثانية ورؤيتهم الإستراتجية واحتياجهم إلى العرب وتعاونهم معهم فى الشرق الأوسط.

وكانت سياسة بريطانيا هى تجميع الموقف فى حالة الغضب والاضطرابات العربية ثم تعود مرة ثانية لتنفيذ سياساتها لتهويد فلسطين ، وكانت ترمى إلى وضع فلسطين بكل استثمارها الاقتصادى فى أيدى الوكالة اليهودية ، فتسيطر على اقتصاد البلاد مما يدعم الصهيونية عموماً.

الثورات والحركات الوطنية:

نتيجة لسياسة الانتداب والتغلغل الصهيونى فى فلسطين قام الشعب الفلسطينى بالانتفاضات والثورات التالية:

- انتفاضة مايو ١٩٢١م إثر احتكاكات بين العرب واليهود بمناسبة عيد العمال.
- انتفاضة أغسطس عام ١٩٢٩م إثر محاولات الصهيونية إقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ومطالبتهم بضرورة الاستيلاء على حائط المبكى.
- انتفاضة مارس عام ١٩٣٣م بسبب تزايد خطر الهجرة اليهودية، ثم تجددت مرة أخرى فى يناير ١٩٣٤م.
- الثروة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦- ١٩٣٩م التى طالبت بإنشاء حكومة ديمقراطية وطنية ومنع بيع الأراضى العربية لليهود ووقف الهجرة اليهودية تماماً.

ولقد لجأت بريطانيا إلى قمع تلك الانتفاضات والثورات وأرسلت لجانًا للتحقيق أعقبتها بإصدار كتب بيضاء حول سياستها وبتحليل تلك الانتفاضات والسياسة العربية فى فلسطين نجد الآتى:

١- إن الدول العربية فى المشرق كانت تجاهد للحصول على استقلالها من بريطانيا وفرنسا وكذلك مصر ، من ثورات واضطرابات حتى توصلوا إلى معاهدات مماثلة من هذه الدول (العراق - سوريا - لبنان -مصر - السعودية) أما إمارات الخليج فقد كانت تحت الاحتلال البريطانى وكذلك دول شمال أفريقيا تحت حكم فرنسا ، عدا ليبيا كانت تحت الاحتلال الإيطالى مما جعلها تبعد ولا تستطيع أن تقوم بدورها فى الصراع الدائر فى فلسطين بين غربها والصهيونية ، ولكن فى أواخر الثلاثينيات كانت هذه المعاهدات التى وقعتها مع بريطانيا وفرنسا قد تم توقيعها من جانبهما خشية الموقف الدولى والتنبؤ بصدام مع ألمانيا وبذلك بدأت الاهتمام بشؤون فلسطين ، ولكن لم يكن هناك جامع لهذه الدول العربية على رأي واحد ورؤية محددة ومعرفة عن كيفية إدارة الأزمة ، مما جعل تأثير هذه الدول فى تلك الفترة محدوداً فى هذا الصراع ، حيث أن كل دولة لها نظرتها الخاصة لحل المشكلة ؛ مما أدى إلى عدم وجود موقف موحد للدول العربية ، وأبلغ دليل على ذلك مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن الذى وجهت الحكومة البريطانية الدعوة إلى الدول العربية: مصر والعراق والسعودية واليمن وشرق الأردن، ثم إلى العرب الفلسطينيين وإلى الوكالة اليهودية، وقدمت الحكومة البريطانية للوفدين مقترحاتها النهائية فى ١٥ مارس ١٩٣٩م وذلك بإنشاء دولة فلسطينية مستقلة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا تضمن لهذه الأخيرة مصالحها الاقتصادية والعسكرية على أن يسبق ذلك فترة انتقال مدتها عشر سنوات، ويشترط لإنهائها تعاون العرب واليهود. ونجاح التطورات الدستورية القائمة على إيجاد مجلس تشريعى ، إلى جانب ترتيبات إدارية أخرى، وكان من

أركان التسوية المقترحة فرض قيود معينة على الهجرة وبيع الأراضى، وقد رفض الفريقان (العرب واليهود) هذه المقترحات وانفض المؤتمر فى ١٧ مارس ١٩٣٩م بانسحاب الوفد اليهودى، وذلك لم يكن هناك إلا الرفض مع عدم تخطيط ورؤية إستراتيجية وطريقة محددة لتنفيذ هذا المخطط على الأرض.

٢- عدم اتجاه القوى الفلسطينية إلى تشكيل هيئات أو منظمات (مجلس تشريعى - وكالة - منظمة - بنك أو مؤسسة اقتصادية) تحمل هوية حكومة فلسطينية سواء وافقت عليها سلطة الانتداب أو لم توافق وتمكن من استخدام التجمعات الأهلية ، وهذا يعمل على توحيد الصف والجهود ومنع الأخطار ، وبذلك يمكن مساعدة الفلاح الفلسطينى أو صاحب أرض فى الموقف ضد المغريات الصهيونية لانتزاع أرض أو بيعها ، كذلك توحيد الاتجاهات السياسية المختلفة للوقوف صفًا واحدًا ضد سلطة الانتداب ونشاط الهيئات الصهيونية ، وعند عرض سلطة الانتداب لدستور جديد عام ١٩٢٢م وقيام انتخابات تشريعية كان الرد هو الرفض ومقاطعة الانتخابات ، فكان الرد السلبى وليس الإيجابى تجاه القضية الفلسطينية وكذلك رفض زعماء عرب فلسطين التعاون فى حكم البلاد وعندما عرضت حكومة الانتداب تكوين مجلس استشارى يعين من عدد من المواطنين على الأسس نفسها التى وردت فى قانون الانتخابات للمجلس التشريعى وجه هربرت صموئيل المندوب السامى الدعوة إلى ثمانية من المسلمين واثنين من المسيحيين العرب ليكونوا أعضاء فى المجلس فقبلوا ، غير أن سبعة أعضاء منهم انسحبوا استجابة لطلب اللجنة التنفيذية العربية[١].

وكذلك رفض زعماء حرب فلسطين مقترحًا من الحكومة البريطانية شأن تأسيس وكالة عربية فى فلسطين تضم ممثلين لجميع الطوائف العربية من مسلمين ومسيحيين ويناط لها نفس الاختصاصات المناطة بالوكالة اليهودية بموجب المادة

(١) الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، الوثائق الرئيسية فى تصفية فلسطين ، ص ١٣٨ .

الرابعة من صك الانتداب ؛ لهذا كانت السلبية المطلقة التى التزم بها العرب إزاء المشاركة فى أجهزة الحكم فى فلسطين طول فترة الانتداب سياسة غير حكمية خلقت جواً صحياً للتعاون الوثيق بين الاستعمار والصهيونية فى غيبة وجود رسمى للعرب فى الأجهزة الرسمية ، وكان الوفدان من سياسة الصهيونية وسياسة العرب يكمن فى أن الصهاينة كانوا أو لا يزالوا ينتهجون السياسة المسرحية وقبول أي مكسب لهم مهما كان المكسب ضئيلاً وأن هذا المكسب الضئيل يؤدى بمضى الوقت إلى مكاسب أخرى ، فى حين اعتمد العرب على حقهم التاريخى فى بلادهم فانتهجوا السلبية المطلقة ، فالعرب كان يعوزهم ما يسمى بالدبلوماسية المرنة فى المجال السياسى .

٣- عدم اعتماد العرب على شعار المواطنة الذى يزكى الروح والوعى واهتموا بنمو بناء التيار الإسلامى[1]. ولقد تمشى الانتداب البريطانى مع هذا التوجه وأصبح يعنى بإنشاء مؤسسات إسلامية مثل منصب المفتى الأكبر ومثل المجلس الإسلامى الأعلى ، بينما يجهض أي مساع لإنشاء وبلورة هيئات وطنية فلسطينية ، وإمعاناً فى هذا التوجه كان الانتداب البريطانى يمنح المؤسسات الإسلامية سلطات وسيطرة ونوعًا من التمكين المالى (إيرادات الأوقاف) وكان بهالىء بنبخة من الوجهاء ويغذى إحساسًا لديهم بالتمييز.

٤- عدم تنظيم وحدات عسكرية منظمة تحت قيادة واحدة تستطيع أن تدافع عن القرى الفلسطينية وأن تكون أداة ردع لليهود وتستطيع الرد فى حالة العنف الصهيونى ضد الفلسطينيين.

٥- الانقسام والفرقة بين عرب فلسطين وبين البيوت والعشائر الفلسطينية مما أدى إلى عدم توحيد الجهود ضد الصهيونية ، حتى عندما تشكل وحدات عسكرية كانت منفصلة الاتجاهات ولا يوحدها جهد واحد، وكان دائماً تنطبق عليهم المقولة الشهيرة أنتم قد تتنازعون على فرو الدب قبل صيده.

---

(١) الدكتور رشيد الخالدى: القفص الحديدى، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٦- عند دراسة الانتفاضات والثورة التى قام بها عرب فلسطين نجد الانتفاضات بدأت قوية وأحدثت الآثار حولها ولكن سرعان ما تخبو قوتها ونتائجها ، فنحن أحسن من نبدأ ولكن النهاية تكون بدون نتائج محدودة.

ولهذا من المهم المحافظة على الصدق واستمرار تلك الانتفاضات حتى نحصل على النتائج المحددة ، وهذا ما يمكن أن يلاحظ خلال الانتفاضات التى قامت فى فلسطين وتعاملت معها بريطانيا بنفس الأسلوب، أما بالنسبة إلى ثورة ١٩٣٦م فقد كانت من أنجح الثورات التى استمرت مرحلتها الأولى ستة أشهر ثم استمرت على مراحل حتى عام ١٩٣٩م وكان هدفها الأول هو ضد الهجرة ، تطالب بإيقافها ثم تحولت بعد لجنة بيل ضد مشروع تقسيم فلسطين ، وكان من أهم أسباب نجاحها أن نجح زعماء فلسطين فى رأب الصدع وحققوا وحدة الصف حيث تشكلت اللجنة العليا واشترك فى عصبتها جميع أطياف الشعب الفلسطينى واللجان من المسلمين والمسيحيين ، وأسندت رئاستها إلى مفتى فلسطين الحاج محمد أمين الحسينى وتمت تلك الخطوة الوحدوية تحت ضغط الرأي العام الذى هاله تعدد الأحزاب والخلافات والانقسامات بينهم ، وقامت بريطانيا باتخاذ العنف لإيقافها ومحاولة إيجاد الفرقة بين الفلسطينيين ، ثم أرسلت لجنة بيل لتقديم المقترحات التى رفضها الشعب الفلسطينى ، ولعل من أهم ظواهر هذه الثورة هى تصديرها من المستوى الإقليمى إلى المستوى العالمى حتى وصلت إلى عصبة الأمم ، بالإضافة إلى ذلك جاء تدخل الدول العربية وعلى رأسها إمارة شرق الأردن وذلك لأن الإنجليز أدركوا أن عرب فلسطين لن يتراجعوا عن مطالبتهم وإنهم ماضون فى ثورتهم ، فتقابل المندوب السامى البريطانى بفلسطين فى جنيف ١٩٣٦م مع الأمير عبد الله أمير شرق الأردن عدة مرات أملاً فى الوصول إلى طريقة لإقناع عرب فلسطين بإنهاء الثورة التى كبدت بريطانيا خسائر فادحة فى الأموال والأرواح ، وقد أسهم فى إحداثها ومعاونتها العرب غير الفلسطينيين عن طريق التطوع وإمداد القوامة بالعتاد والسلاح

والأموال ، بذلك أوجدت ثورة ١٩٣٦م تضامناً عربياً لم يكن ظاهراً من قبل ، ورحب الأمير عبد الله[١] باتصالات المندوب السامى لإنهاء الثورة وكان ذلك لسببين : رغبة فى كسب رضاء الإنجليز والاحتفاظ بعلاقات ودية مع الصهيونية من ناحية ، ومن ناحية أخرى كسب زعامة له داخل فلسطين لإنشاء دولة سوريا الكبيرة، وقد لاح له أن إنشاءها بات أمرًا ميسوراً عندما توفى إخوة الملك فيصل الأول ، كما كان يريد إضعاف الجهة الوطنية التى كانت تتزعم الثورة فى فلسطين وتعارض نشر زعامته ، ولكنهم رفضوا إيقاف الثورة حسب طلبه إلا إذا وافقت بريطانيا على مطالبهم ، فى ٨ أكتوبر ١٩٣٦م أصدر ملوك ورؤساء الدول العربية بالتوالى نداء إلى اللجنة العربية العليا بإيقاف الثورة معللين أن ثقتهم فى حسن نوايا بريطانيا ورغبتها فى تحقيق العدل وأنهم سيواصلون السعى فى سبيل مساعدتهم ، ووافق رجال اللجنة العليا بالإجماع وتوقفت المرحلة الأولى من الثورة.

٧- كان موقف الأمير عبد الله وطمعه فى إنشاء مملكة له وذلك بالتمكين من جزء من فلسطين أحد العوامل التى أدت إلى فشل المشروع العربى لإقامة دولة فلسطين . ما كاد عام ١٩٣٩م ، تنصرف حتى قامت الحرب العالمية الثانية فتوقف النشاط فى دول المشرق العربى ، وأصبح العالم جميعه يتابع الحرب الدائرة بين دول المحور ودول الحلفاء.

(١) د. حسن صبرى الخولى : المرجع المشار إليه ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

الفصل الثالث

الشرق الأوسط وحرب عام ١٩٤٨م

ما بدأ العقد الخامس من القرن العشرين إلا وقد اندلعت الحرب الثانية التي اكتوت بها الكرة الأرضية جميعها من الميدان الأوروبي إلى ميدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى آسيا مع الحروب البحرية فى كل محيطات وبحار العالم ، وكان من نصيب الشرق الأوسط الحرب فى الصحراء الغربية التي هاجمت قوات المحور مصر وحتى العلمين ، وكذلك شهدت إنزال قوات الحلفاء فى المغرب وطرد المحور منها وإعادة قوات فرنسا والحلفاء لسوريا ولبنان ، أما بالنسبة إلى الصراع العربى الإسرائيلي فقد شابه التجميد ، ولكن فى نفس الوقت لم يتوقف الجانب الصيهونى فى التجهيز والتحضير لتنفيذ غرضه النهائى أمام الجانب العربي ، فكان شاهدًا لكل ما يحدث وسكون فى العمل من أجل القضية ، وهناك ثلاث ظواهر خلال فترة الحرب العالمية الثانية التي انتهت فى منتصف عام ١٩٤٥ وهى:

١- قرار رئيس الوزراء المصرى على ماهر وحكومته بأن تلك الحرب لا ناقة ولا جمل لنا فيها.

٢- تحول الصيهونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية كحليف رئيسى ، وذلك بعقد مؤتمر بلتيمور عام ١٩٤٢م.

٣- إقامة جامعة الدول العربية فى عام ١٩٤٥م.

اتصفت سياسة حكومة على ماهر بتأييد من شيخ الأزهر لسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، بمقتضي ذلك فإن الجيش المصري ظل طوال التجربة الهائلة

للحرب العالمية الثانية، بعيداً عن ميادينها مقيداً ، لا يزال فى إطار العزلة التى نصت عليه بعد معاهدة لندن ١٨٤٠ وهذا فى رأيى خطأ فادح ، فإن تكوين حتى مجموعة لواء مقاتل تشترك فى القتال الدائر خصوصًا أن القوات الإيطالية والألمانية ودخولها فعلاً الأراضي المصرية يجعل منها نواة لقوات مسلحة مصرية حقيقية مسلحة بأحدث الأسلحة وكذلك يكون قد اكتسب خبرة القتال الحقيقية التى لا تأتى إلا بالاشتراك فى القتال الفعلى ، فكم من قادة وضباط صف قد كسبناهم فى تكوين قوات مسلحة حديثة ، هنا يطرح سؤال حيوي نفسه كيف كان الموقف عشية دخول الجيش المصرى حرب ١٩٤٨م أظن كان الوضع مختلفاً بشكل كامل ، كما أن اشتراك القوات المسلحة المصرية بجانب الحلفاء يعطى الحق للحكومة المصرية أن يكون لها رأى وتأثير فى سياسة الحلفاء ، أو على الأقل أن ينظر إليها نظرة مختلفة قد تعتبر فى الصراع الدائر فى فلسطين ، كما فعلت الصيهونية باشتراك لواء لها فى القتال مع الحلفاء.

وفى ظروف الحرب العالمية الثانية مع التعاطف الدولى مع اليهود بسبب ممارسات النازية وجدت الصهيونية أن الظروف أصبحت ملائمة للمطالبة بإنشاء الدولة اليهودية (وليست مجرد الإشارة إلى وطن قومى) وعند تحول ميزان القوى والتأثير فى مجرى الحرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية حولت الصهيونية العالمية ارتكازها إلى أن يكون العون والحليف الرئيسي لها هو الولايات المتحدة الأمريكية ، ولهذا عقد مؤتمر المنظمة فى التيمور فى مايو ١٩٤٣ وأعلن ضرورة إنشاء الدولة اليهودية وبذلت الصهيونية كل جهودها لكسب الولايات المتحدة فى صفها لتحقيق هذا الغرض ، وبدأ ظهور اللوبي الصهيونى وتغلغله فى أوساط الحكومة الأمريكية خصوصًا العلاقات مع نائب الرئيس الأمريكي ترومان ، وهكذا كانت الصهيونية دائماً أبعد نظراً وتتجه إلى مواقع الحدث ، ولا تظل معتدة فى محيطها مثل العرب ، فإن الاتصالات الخارجية والتأثير عليها يمثل ٧٠٪ من النفوذ الصهيونى فى حين يبقى

العرب داخل أنفسهم لا يهمهم إلا المظاهرات والانتفاضات بدون إبلاغ الدول الخارجية صاحبة الشأن من وجهة نظرهم وحقهم المشروع.

وبذلك استطاعت الصهيونية أن تجذب وراءها تأثير القوة الجديدة البازغة على المسرح العالمي وهى قوة الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان قصارى ما تستطيعه الإمبراطورية البريطانية القديمة (بريطانيا) هو أن تعطى وعدًا بإقامة وطن يهودى فى فلسطين ، وكان المطلوب من الإمبراطورية الجديدة الولايات المتحدة أن ترعى الوعد وأن تساعد ولادة الدولة اليهودية وقيامها وحمايتها ، وظهر هذا جلياً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد أن طلب الرئيس الأمريكي تردمان بأن تفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين دون شروط أو عوائق ، وكانت تلك هى المعركة السياسية الكبرى فى المنطقة من ١٩٤٥م إلى ١٩٤٧م.

الموقف العربى:

يجب أن نتناول العلاقات بين الدول العربية فى ذلك الوقت لأنها مؤشر للموقف العربي ، فقد كان الملك عبد الله - ملك شرق الأردن - خصماً لشكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا بسبب مطامع الملك الأردنى ومساعيه من أجل إقامة مشروع (سوريا الكبرى)[1] الذى كان مفتوناً به.

---

(١) مشروع سوريا الكبرى:

١ - تحقيق الاتحاد بين شرق الأردن وسوريا الحالية وتكوين دولة واحدة منها تحت رئاسة الملك عبد الله.

٢- خلق نوع من الارتباط الوثيق بين الدولة الجديدة والعرض يقوم على أساس اتباع سياسة مشتركة بصدد المسائل الخارجية وتنسيق الدفاع فى البلدين وعمل نوع من الاتحاد الجمركي.

٣- إجبار لبنان على الاندماج فى هذه الكتلة وذلك باتباع وسائل الضغط الاقتصادى والسياسي.

٤ - فى حالة تنفيذ مشروع التقسيم (لفلسطين) يضم القسم العربي منها إلى الدولة الجديدة ، والملاحظ أن هذا المشروع كان يلقى تشجيعاً وعطفاً كبيراً من جانب الدولة البريطانية والأمريكية ، وفى ذلك ما حمل العرب على التخويف منه والشك فيه ، إذ هو يحمل فى طياته الانطواء تحت سيطرة الاستعمار الغربي.

وكان الملك عبد الله خصماً لفاروق ملك مصر بسبب التنافس التقليدى بين الأسرتين الحاكمتين المصرية والهاشمية.

وكان عبد الله الوصى على العرش العراقي مؤازراً لسياسة عمه الملك عبد الله. وبهذا يمكن أن نحدد الموقف الداخلى فى البلاد العربية كالآتى:[1]

١ – كتلة هاشمية مؤلفة من الأردن والعراق.

٢ – كتلة مؤلفة من السعودية وسورية ومصر.

٣ – اليمن ولبنان خارج نطاق هاتين الكتلتين.

وعلاوة على هذه الخلافات بين الدول العربية وساستها فلقد كان الخلاف شديداً بين الساسة الفلسطينيين أنفسهم داخل فلسطين. وتمثلت المشكلة الرئيسية بين ساسة العرب فى الخلافات القائمة بينهم والتى تفوق فى عمقها الخلافات السطحية القائمة بين الأحزاب الصهيونية ، وكان أهل فلسطين العرب فى ذلك الوقت فى حاجة إلى زعامة توجههم ، والتى لم تكن موجودة ولم يكن لديهم إلا زعيم قوى واحد ألا وهو المفتى، الحاج أمين الحسيني.

وحاول زعماء حزب الاستقلال الفلسطيني منذ بداية عام ١٩٤٣[2] إقامة زعامة موحدة وتمكن ثلاثة من زعمائه المحركين وهم : أحمد حلمى عبد الباقي، وعونى عبد الهادى ، ورشيد الحاج إبراهيم ، فى صيف ذلك العام من إعادة تنظيم الحزب. كما أقاموا ما سمي بصندوق الأمة العربية ومع ذلك فقد ظلت الآمال ضئيلة فى قيام وحدة بين عرب فلسطين. ودفع النجاح الجزئى الذى حققه الاستقلاليون ودفع الحسينيين من أنصار المفتى السابق وغيرهم ومن رجال الأحزاب الأخرى إلى الإحساس بمشاعر الغيرة. وآمن هؤلاء كما يؤمن ساسة الحزبيين فى أى مكان على

(١) محمد فيصل عبد المنعم: أسرار حرب ١٩٤٨، دار الهنا، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٦٢.

(٢) أهم الأحزاب فى فلسطين فى منتصف الثلاثينيات وكان الحزب العربى الفلسطيني وحرب الدفاع الوطنى وحزب الاستقلال.

المصلحة العامة هو حافزهم ، فحالوا دون قيام الوحدة عندما كان تحقيقاً ممكناً ، وراحوا ينشرون روح مقاطعة قيام ائتلاف حزبي فى فلسطين، وأدى ذلك إلى انعقاد المؤتمرات العربية الأولى لإقامة الجامعة العربية فى يوليو عام ١٩٤٣م دون أن يشهدها أي ممثل عن فلسطين.

جامعة الدول العربية:

ولقد كان قيام جامعة الدول العربية أحد السمات البارزة فى نهاية الحرب العالمية الثانية وكان تشجيع بريطانيا لإنشاء هذا التجمع من الدول العربية أملاً فى السيطرة عليه. فلقد صرح مستر أيدن وزير خارجية بريطانيا فى ٢٩ مايو ١٩٤١م بتصريح قال فيه [1] : لقد تقدم العالم العربي بخطوات واسعة نحو الرقى، وهو يرمى الآن إلى تحقيق وحدة تجعل منه جماعة متماسكة ولها أمل فى أن تساعدها بريطانيا فى تحقيق هدفها هذا، وإنه ليسرنى أن أعلن باسم حكومة صاحب الجلالة أن بريطانيا ترحب بهذه الخطوة وأنها على استعداد لأن تساعد القائمين بها إذا ما توفر لديها الدليل على أن العرب مؤيديون لها.

وفى ٣١ مايو ١٩٤٣م صرح مصطفى النحاس رئيس الوزراء المصرى بأنه سيدعو ممثلين للدول العربية للتشاور فى أمر العلاقة بين هذه الدول. وقد تمت تلك المشاورات بين مندوبى البلاد العربية فى أغسطس ١٩٤٣ فتبادلوا الآراء فى تكوين وحدة عربية.

ولقد دعت الحكومة المصرية مندوبى الدول العربية التى اشتركت فى المشاورات السابقة إلى اجتماع فى شكل لجنة تحضيرية لمؤتمر عربى عام وعقدت هذه اللجنة ثمانى جلسات من ٢٥ سبتمبر إلى ٧ أكتوبر ١٩٤٤م ووقعت على تصريح

(١) عاصم أحمد الدسوقى: مصر فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٧١.

عرف باسم "بروتوكول الإسكندرية" ووقعت الدول العربية عليه فى حينه ما عدا المملكة العربية السعودية التى وقعت عليه فى ٣ يناير ١٩٤٥م واليمن التى وقعت عليه فى ٥ فبراير ١٩٤٥.

وبهذا أنشئت جامعة الدول العربية من سبع دول وهم: مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن والسعودية واليمن. وقد أظهرت هذه المنظمة الإقليمية على الوجود فى كيانها بذور التفرقة والانقسام بين الدول العربية. فقد لعبا مشروعا سوريا الكبرى والهلال الخصيب دوراً هاماً فى مشاورات الوحدة العربية وشغلا أذهان الزعماء العرب، وذلك بسبب مقاومة كل من الملك عبد العزيز آل سعود (العدو التقليدي للهاشميين) لها، وكذلك الحال بالنسبة إلى سياسة السوريين واللبنانيين ، مما جعل التسوية الأخيرة فى خدمة السياسة الفردية لكل دولة من دول .الجامعة، خصوصًا أن العرب كانوا يعتبرون الملك عبد الله ألعوبة فى يد بريطانيا ولا يطمئنون إلى محاولات التوحيد الصادرة عنه. ولكن ربما كان من أهم نتائج قيام الجامعة العربية توجيه ضربة قاضية لمشروعات الوحدة العربية المقتصرة على المشرق العربي[1].

ولعل ما حققته الجامعة العربية تجاه المشكلة الفلسطينية فى ذلك أنها اعتبرت المسؤولية تجاه فلسطين هى مسؤولية الأمة العربية كلها وليست مسؤولية الشعب الفلسطيني وحده ، وهذا من أكبر الأخطاء حيث يجب أن يكون العكس أن تكون مسؤولية فلسطين أولاً للفلسطينيين وأن يتم تدعيمهم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً ، بحيث يكونوا على مستوى الصهيونية فى فلسطين ، ثم تأتى الأمة العربية من ورائهم تساندهم وتعاونهم وتكون القوة الاحتياطية لهم ، هذا بجعل المسؤولية لخلق الإحساس والشعور بأهمية الفلسطينين واعتبار قضيتهم تجعلهم أكثر اتحاداً وحداً

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ - ١٩٤٩م ، دراسة وثائقية، دار الشروق، ١٩٨٦م ، ص ٦٩.

للخلافات وتكوين الهيئات والكوادر ؛ مما يجعلهم ندًا للصهيانة ، وتمسكاً بالأرض والتشبث بها.

وقد عقدت الجامعة العربية المؤتمرات العالمية التى سبقت حرب عام ١٩٤٨م.

١- مؤتمر القمة العربي الأول فى مايو ١٩٤٦م فى أنشاص.

٢- مؤتمر بلدان سوريا فى يونيو ١٩٤٦م.

٣- مؤتمر معدنة لبنان فى سبتمبر ١٩٤٧م.

٤- مؤتمر عالية لبنان فى أكتوبر ١٩٤٧م.

٥- مؤتمر القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٧م.

وكانت نتائج هذه المؤتمرات تتلخص فى الآتى:

١- عدم تضمن أى من القرارات العلنية أو السرية تخطيط إستراتيجي على مستوى القمة للعمليات العسكرية بمفهومها العسكرى حيث توجب تعيين قيادة للقوات العربية وهيئة أركان وضباط اتصال من كل الجهات ، ووضع الخطط والتصديق عليها بوقت كاف ، وإجراء تنظيم التعاون بينهما ، مع توافر التعاون التام والأمن والسرية ، مع التنسيق بين العمليات البرية والجوية والبحرية ، وهذا ما افتقدته قرارات القمة ، أما عن تجاهل علم الحرب أو سبب اختلاف نوايا القادة العرب أو بسبب الانقسامات التى تتميز دائماً بها الدول العربية وتعاملت هذه القمم الحرب القادمة بنظام حرب القبائل فى العصور الأولى وكل ما قرروه هو تعيين الملك عبد الله قائدًا عامًا وهيئة أركان شكلت يوم ١٣ مايو قبل الحرب بيومين ، للعجب كان قائد الجيش الأردنى الجنرال الإنجليزى جلوب باشا ليقود أربع جهات بأربع جيوش مختلفة بدون أى تنسيق مع وضع أهداف غير منطقية للجهات المختلفة وخصوصًا الجهة المصرية.

٢- كانت دول الجامعة العربية تتفق على شيء واحد ، ألا وهو معاداة الصهيونية ، دون أن تتفق على أى شىء آخر حتى ولا على ما تفعله لمقاومة الدولة اليهودية ، وهل تكون المقاومة فى شكل هجوم مسلح إلا عقوبات اقتصادية [١].

٣- لم تنجح الجامعة أو تصر على إنشاء كيان حكومة لفلسطين أو إنشاء كيان اقتصادى (بنك - جمعية اقتصادية) لتحويل النشاط الفلسطينى ومنع بيع الأراضي ونتج من ذلك العديد من الخلافات العربية والانقسامات الفلسطينية ، ذلك الداء المستمر حتى الآن جعله عقبة فى اتخاذ أى موقف قومى.

٤- وهناك مثالان لقرارات القمة يدلان على ضعفها وعدم اتخاذ قرارات مصيرية لمعركة قومية مصيرية.

أولاً: قرار مؤتمر بلودان:

وكانت أهم النقاط فى جدول أعمال المؤتمر هى كتابة إجابة متفق عليها على المذكرة التى أرسلتها الحكومة البريطانية والرئيس ترومان إلى الدول العربية يطلبان فيها معرفة موقف العرب فيما يتعلق بتقرير اللجنة الأنجلو أمريكية حول مستقبل فلسطين [٢].

وهكذا لم يتم الاتفاق بعد يومين من المناقشات على إجابة هذه النقطة الهامة فى جدول الأعمال ، وانتهى المؤتمر بالموافقة على مجموعتين من القرارات ، مجموعة تذاع ومجموعة تظل فى طى الكتمان ، وتعتبر بمثابة توجيه للدول الأعضاء فى الجامعة.

كانت القرارات التى أذيعت هى إرسال رد على رجاء الحكومتين البريطانية والأمريكية الخاصة بمعرفة آرائهم حول تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية عن فلسطين

---

(١) كريستوفر سايكس: مفارق الطرق إلى إسرائيل، ترجمة خيرى حماد، بيروت ، ١٩٦٦، ص ١٥٢.

(٢) قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بفلسطين، يونيو ١٩٤٥ - مارس ١٩٦٠، الأمانة العامة، القاهرة، ١٩٦١.

ورجاء للحكومة البريطانية لإجراء مفاوضات تتعلق بمستقبل فلسطين بموجب المادتين ٧٩، ٨٠ من ميثاق الأمم المتحدة وتشكيل لجنتين لمعالجة الموقف فى فلسطين، تتكون واحدة منهما من الدول العربية ويكون مقرها القاهرة والأخرى من المفتى السابق وأحمد حلمى وتوفيق الخالدى لتمثيل عرب فلسطين.

ومقاطعة البضائع الصهيونية وتخصيص مبلغ (غير محدد) لمساعدة عرب فلسطين ، وأخيراً اعتبار بيع أراضى لليهود خيانة عظمى.

أما القرارات السرية التى لم تدون حتى فى الوثائق السرية وسميت بقرارات الجهاد المقدس، فقد انحصرت فى إعادة الدول العربية النظر بصورة جماعية فى حالة فشل المساعى السلمية فى علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع الحكومتين البريطانية والأمريكية، وأن تبادر دول الجامعة العربية ببذل المساعدات المادية والمعنوية للعرب فى فلسطين، وأن ترصد دول الجامعة فوراً الأموال اللازمة لذلك على أن تتولى إنفاق هذه الأموال لجنة خاصة.

وأخيراً تبادر دول الجامعة باتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين، وأن تيسر الدول المتاخمة لفلسطين للدول غير المتاخمة سبيل الاشتراك والتعاون فى هذا الواجب بالاتفاق بينهما.

ثانيًا : قرارات مؤتمر صوفر المحلية كانت كالتالى : (١)

١. مقاومة تنفيذ مقترحات اللجنة وكل تدبير آخر لا يحقق استقلال فلسطين باعتبارها دولة عربية.

٢. يقاوم عرب فلسطين التقسيم مستندين إلى دعم البلاد العربية لهم بالمال والعتاد والرجال دفاعاً عن كيانهم، ولا تستطيع الحكومات العربية كبت شعور شعوبها الثائرة ولا أن تقف مكتوفة اليدين أمام خطر يهدد البلاد العربية جميعاً، بل إنها

(١) قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاص بنهضة فلسطين، المرجع المشار إليه.

ستضطر إلى مباشرة كل عمل حاسم من شأنه أن يدفع العدوان ويعيد الحق إلى نصابه.

٣. إرسال مذكرة إلى كل من بريطانيا والولايات المتحدة يفهم منها أن كل قرار يتخذ بصدد فلسطين دون أن ينص على قيام دولة عربية مستقلة فيها يهدد بإثارة اضطرابات خطيرة فى الشرق الأوسط ، وأن الدول العربية عازمة على تأييد عرب فلسطين فى كل ما يقومون به عندئذ من أعمال فى سبيل الدفاع عن عروبة وطنهم وحريتهم.

٤. تأليف اللجنة الفنية العسكرية من مندوبين عسكريين عن الدول العربية، على أن توكل إلى هذه اللجنة مهمة دراسة جميع النواحى العسكرية فى فلسطين وتقديم التوصيات لمجلس الجامعة على ضوء الأحداث المتوقعة على أثر انسحاب القوات البريطانية من فلسطين.

أما مقررات اجتماع صوفر السرية فكانت كالآتى: (١)

١. تعتبر اللجنة السياسية توصيات لجنة التحقيق الدولية التابعة للأمم المتحدة التى تمس بحقوق عرب فلسطين فى الاستقلال مناقضة لكل الوعود التى قطعت للعرب ولمبادئ الأمم المتحدة ذاتها. وترى اللجنة أن تنفيذ هذه التوصيات لا بد أن يعرض الأمن العام فى فلسطين وفى كل العالم العربى للخطر ؛ لهذا قرر أن تحقيق استقلال فلسطين وحريتها والدفاع عن وجودها يقتضيان ضرورة اتباع كل الوسائل العملية والمقبولة لضمان عدم تنفيذ هذه التوصيات وأى إجراءات أخرى من شأنها المساس باستقلال فلسطين باعتبارها دولة عربية.

٢. توصى اللجنة بأن توجه كل دولة من الدول الأعضاء فى الجامعة العربية مذكرة للحكومتين البريطانية والأمريكية تلفت نظر كل منهما إلى الأخطار الحقيقية التي

---

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع المشار إليه، ص ١٠٥-١٠٦.

تهدد أمن واستقرار الشرق الأوسط وتحملها مسؤولية النتائج إذا ما اتخذت أية قرارات تمس حق الفلسطينيين فى إقامة دولة مستقلة.

٣. تنصح اللجنة الدول العربية بمواصلة جهودها الدبلوماسية لكى تبين للدول الأعضاء فى الأمم المتحدة أن للدول العربية كل الحق فى أن تعارض بشدة فرض توصيات لجنة تقصى الحقائق وأن تتوقع منها مساندة مطالبة العرب للأمم المتحدة باستقلال فلسطين.

٤. تطلب اللجنة من الدول الأعضاء فى الجامعة العربية أن تقدم لعرب فلسطين المساعدة المالية والسلاح والرجال على أن تتولى مسؤولية تنظيم الجهود والتصرف فى المساعدة التى تقترحها الدول العربية ، لجنة فنية دائمة تمثل فيها الدول الأعضاء وفلسطين على أن تكون القاهرة مقراً لهذه اللجنة التى حددت مهامها على الوجه التالى:

أ- دراسة الوسائل اللازمة لتقوية الدفاع عن فلسطين.

ب- تنسيق وتنظيم المساعدة المادية التى تقدمها الدول العربية.

ج- الإشراف على إنفاق الأموال التى تقدمها الدول العربية.

د- توصى اللجنة السياسية الدول الأعضاء بفتح أبوابها لاستقبال الأطفال والنساء والمسنين وأن تقدم لهم المساعدة فى حالة نشوب الاضطرابات فى فلسطين بالصورة التى ترغم بعض سكانها العرب على مبارحتها.

هـ- تقترح اللجنة فى جلسة مجلس الجامعة العربية التالية أخطار الحكومتين البريطانية والأمريكية بمقررات بلودان السرية.

تعليق على الموقف العربى :

١ - ولعل أخطر هذه التوصيات التى أثرت فى البعض هى التوصية بفتح أبواب الدول العربية لاستقبال اللاجئين ، وبل كان يجب الحث والعمل الإعلامي والدعائي بالتثبت فى الأرض لأنها أرضهم وعدم مبارحتها.

٢ - نلاحظ عدم التفكير فى إيفاد بعثة أو وفد إلى الولايات المتحدة الأمريكية القوة الجديدة فى العالم ، بالرغم من وجود تعاطف فى وزارة الخارجية الأمريكية مع المطالب العربية لشرح الموقف واستحالة قبول هذا وتوضح الصورة كم ستكون خسارة الجانب الأمريكي من مساندة الجانب الصهيونى على حساب العرب ولكن للأسف لم يتم إلا تبادل المذكرات التى لا تسمن من جوع.

٣ - لم ترصد دول جامعة الدولة العربية الأموال اللازمة لشراء السلاح أو المعاونة فى عدم بيع الأراضي أو تجهيز المقاتلين فى الوقت والكمية اللازمين.

٤ - كانت النوايا وعدم الاتفاق على هدف إستراتيجي واحد وكان كل من الزعماء له هدف يريد تحقيقه ، أولهم الملك عبد الله أمير شرق الأردن الذى كان يدير حوار مع الوكالة اليهودية والإنجليز فى وقت واحد [1] وكما جاء فى كتاب العروش والجيوش يوم ١٣ مارس ١٩٤٨م: جاء السيد حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز يحمل إلى الملك فاروق رسالة تحذير بأن الملك عبد الله ضالع فى ترتيبات مع اليهود ومع الإنجليز ، وليس واضحاً فى الرسالة الملكية السعودية كما سجلها حسن يوسف باشا وكيل الديوان المصرى الملكى ، مما يدل على سند الملك عبد العزيز فى اتهامه للملك عبد الله ولكن الذى يلفت النظر أن الوثائق البريطانية تكاد تظهر بوضوح أن الملك عبد العزيز كان يتحرك مستنداً على معلومات ولم تكن رسالته رجمًا بالغيب ، ولعل حجم الوثائق فى هذا الصدد هو المحضر الذى نشره الجنرال جلوب باشا قائد الفريق الأردنى لاجتماع حضره فى لندن أوائل شهر فبراير (قبل أقل من شهر من رسالة الملك عبد العزيز إلى الملك فاروق) وأهم من ذلك أن الإنجليز لا مانع لديهم من أن لا يتجاوز التعليق العربى لحدود ما هو مخصص للفلسطينيين ، كما أن مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا [2] الحاضر فى المؤتمر صرح قرب نهاية اللقاء بأنه يتوقع من

---

(١) د. محمد حسنين هيكل: العروش والجيوش، ص ٤٠.

(٢) العروش والجيوش: مرجع سابق، ص ٤٤.

الجنرال جلوب قائد الفريق العربى ما هو أكثر من ذلك ألا وهو أن يمنع أية قوات أخرى من اعتراض تنفيذ قرار التقسيم بالنسبة إلى الجزء المخصص للدولة اليهودية.

ويروى الدكتور آتى شلام الأستاذ بجامعة أكسفورد إن الجنرال جون جلوب كان يحتفظ طوال الوقت بخط اتصال مباشر مع الوكالة اليهودية وإنه ابتداء من شهر مارس أنشأ خطًا مباشرًا مع قيادة الهاجاناه تولى مسؤوليته مساعده الموثوق به البريطانى تورمان لاش.

٥ - أما الحلم الذى كان يراود العروش الأربعة الكبار فى المنطقة (العرش المصرى، والسعودى، والهاشمي فى بغداد ، والهاشمى فى عمان) هو حلم خلافة المسلمين وهو الجائزة المحجوبة فى انتظار ملك جسور يمسك بها وتؤكد شرعية استحقاقه بها بعد أن تخلت عنها تركيا بواسطة كمال أتاتورك وسقوط آخر حلفائها بعد الحرب العالمية الأولى ، كما أن الشكوك كانت تحوم حول العلاقات بين البيت السعودى والهاشمى.

٦ - بجانب ذلك كانت هناك جماعات من سياسة العرب يقدرون أن الغرب بكل ما له من مصالح على الأرض العربية لا يملك أن يستمر بدون تغيير سياساته إذا تبين له بجلاء ؛ لأنها اغتصبت كتلاً هائلة من الرأي العام العربى ولأن الضغط الشعبى على الحكومات سوف ينتج عنه دخول الجيوش العربية وكان من المفارق المضحكة أنهم أجروا مقارنة عددية بأن نصف مليون يهودى فى فلسطين حولهم ٢.٥ مليون فلسطينى بجانب الدول العربية يستطيعوا أن يفشلوا المشروع الصهيونى ، وكذلك تولد لديهم افتتاح بأن مشروع الدولة الصهيونية سوف يجدى إجهاضه فى الشهر التاسع من الحمل لأن المولود المنتظر شيوعى ، وقد يكون بداية مصائب فى منطقة حيوية بالنسبة إلى الغرب، ولكنها للأسف الشديد كلها تقديرات خارج المنطق والتفكير الإستراتيجى السليم ، مما أدى إلى نتائج مؤسفة ، وقد كان اللاعب الأول فى هذه الظروف هو الملك عبد الله

فكان يتمسك باتفاقياته مع اليهود والإنجليز ، وفى نفس الوقت يساير الملوك العرب الآخرين ثم يمشى بين الطريقين محاذرًا ومستعدًا للطوارئ.

هذا هو موقف الزعماء العرب ، يحق عليهم قول الأستاذ/ حسين هيكل[1] لقد كانت الأمة العربية على حق لكنه حق افتقد الوعى أحيانًا وافتقد الإرادة أحياناً وافتقد كلاً من الوعى والإرادة فى أحيان أخرى.

٧ – فى مؤتمر القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٧م بعد قرار التقسيم وبينما كان الظاهر يشير إلى اقتراب ظهور الدولة اليهودية لم تظهر أية حركة جديدة لتحقيق درجة أخرى وأكبر من الوحدة العربية ما استمرت الخلافات وأضيف إليها خلاف جديد.

وفى منتهى الخطورة فقد تبين أن عبد الله أمير شرق الأردن واسع المطامع كان لا يعارض من أى تقسيم لفلسطين وأن تحصل سوريا ولبنان على حصتين ضئيلتين من فلسطين فى الشمال وأن يعطى لمصر نصيبًا فى الجنوب ، وأما المنطقة العربية الرئيسية ومدينة القدس المقدسة فيجب أن تضما إلى المملكة الهاشمية وكان هذا هو المشروع الذى وضعه الملك عبد الله.

وجاءت قرارات مؤتمر القاهرة السرية كما يلى : [2]

١ – العمل على إحباط مشروع التقسيم ، والحيلولة دون قيام دول يهودية ، والاحتفاظ بفلسطين عربية مستقلة موحدة.

٢ – تزويد اللجنة العسكرية الدائمة بعشرة آلاف بندقية.

٣ – تزويد اللجنة العسكرية بما لا يقل عن ثلاثة آلاف متطوع.

٤ – تكليف اليمن بعدم إرسال متطوعين لبعد الشقة (ومع ذلك أمر أمير اليمن بتحويل نصف مليون متطوع لمساعدة فلسطين).

(١) العروش والجيوش، المرجع السابق، ص٣٩.

(٢) قرار مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين، المرجع المشار إليه.

٥- تعتمد الجامعة العربية مليون جنيه تدفع من الدول العربية بنفس النسبة والحصص المترتبة على دول الجامعة لتصرف فى شؤون الدفاع عن فلسطين.

٦- يتولى اللواء أركان/ إسماعيل صفوت العراقى قيادة قوات المتطوعين.

ويمكن تقسيم الدول العربية قبل التدخل الرسمى فى الحرب الفلسطينية إلى ثلاث مجموعات [١].

أ- المجموعة الأولى : مجموعة أنصار التدخل:

وهذه المجموعة لم تكن تخفى نواياها بالهجوم على فلسطين يوم جلاء البريطانيين.

وتتكون من الملك عبد الله والسوريين والمفتى السابق الحاج أمين الحسينى ولكن حتى داخل هذه المجموعة كانت أهداف كل من الثلاثة مختلفة تمام الاختلاف، كان الملك عبد الله لا يسعى إلى احتلال الجزء الأكبر من فلسطين الذى كان يعرف بالقطاع العربى فقط ، بل كذلك بعض المواقع الإستراتيجية المعينة ضمن حدود القطاع اليهودى ولاسيما منطقة حيفا ومنطقة النقب غير المأهولة وبعد أن يتم له ذلك، وكان عبد الله مستعداً لتحقيق تسوية مع البقية الباقية من اليهود الفلسطينين.

وكان للسوريين أطماع إقليمية مماثلة ولكن لم يكن لهم مثل هذه الأهداف السياسية ، لقد كان همهم الأول هو احتلال أكثر ما يمكن من شمال فلسطين قبل أن يصلها الفيلق العربى (الأردنى) وكانوا يرغبون فى إنزال الهزيمة باليهود إن أمكن ولكن لم يكن فى نيتهم التوصل إلى أية تسوية من أى نوع تستند على التعايش السلمى معهم ، وكان المفتى السابق يرغب فى طرد اليهود من فلسطين وأن يعيد تأكيد سلطاته هناك.

---

(١) كريستوفر سايكس : المرجع المشار إليه، ص ٢٠٢-٢٠٤.

ب- المجموعة الثانية : دول التدخل الكاذب:

وكانت تتكون من العراق ولبنان إذ كان صوت كل منهما من أعلى الأصوات المطالبة بالتدخل فى سلسلة اجتماعات الجامعة العربية التى بدأت بمؤتمر (بلودان) ولم تكن اللغة العسكرية لكليهما إلا ستار لتغطية الشعور بالعجز عن القيام بدور فعال ضد اليهود فى فلسطين ولم تقم أية واحدة منهما بأى دور عسكرى جدى فى هذه المنطقة.

جـ- المجموعة الثالثة : أنصار عدم التدخل:

وهما مصر العربية والسعودية فلم ترغب واحدة منهما فى أن تجد نفسها مشتبكة فى فلسطين إذ كان لكل منهما مصالح داخلية كان ينظر إليها على أنها أكثر أهمية من صدام يحدث مع الولايات المتحدة أو مع اليهود فى فلسطين ، مع ما يمكن أن يسفر عنه من آثار ، فقد عارضتا منذ البداية أية حركة تؤدى إلى التدخل الرسمى فى فلسطين بواسطة جيوش الدول العربية ولكن لم تستطع واحدة منهما منع هذا التدخل الرسمي.

وقد اتخذت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية عدة قرارات سرية كانت تتلخص فيما يلى:

- شجب قرار التقسيم وبذل كل الوسائل لتأسيس دولة عربية موحدة فى فلسطين.
- تخصيص عشرة آلاف بندقية لهذا الغرض وتزويدها بالذخائر اللازمة، وكذلك عدد كاف من المسدسات والرشاشات وغير ذلك.

وحين اتضح أن المندوبين العرب يجمعون على مهاجمة خطة الاستقلال الذاتى ورفض مناقشتها بالتفصيل طلب منهم أن يتقدموا بمقترحات بديلة ، وجرى لفت نظرهم إلى أن أى حل عملى يجب أن يضع فى الاعتبار العوامل التالية المؤثرة فى الموقف:

١- إن فلسطين تضم بالفعل ٦٠٠.٠٠٠ يهودى منظمين تنظيماً قوياً، ولا بد أن يصروا على الحصول على حقوقهم السياسية ليس فقط باعتبارهم أفرادًا بل أيضاً باعتبارهم جماعة.

٢- برغم عدم إمكان توفير حل شامل لمشكلة اللاجئين اليهود كان لا يمكن قبول أية تسوية للمشكلة الفلسطينية لا تسمح بمزيد من الهجرة اليهودية.

٣- عدم إمكان بقاء فلسطين تحت الإشراف الخارجى لأجل غير مسمى وبالتالى كان يجب أن يبدأ تطورها صوب الاستقلال. ولهذا كان من الواجب إيجاد مؤسسات تتيح لكلا الشعبين القاطنين فى فلسطين أن يطرد قيامهما بحكم نفسيهما.

٤- عدم إمكان السماح باستمرار حالة التوتر التى عانى منها سكان فلسطين خلال السنوات العشر الأخيرة، مما يحتم إنهاءها ليس فقط لأنها تجعل الحكم الذاتى مستحيلاً، بل لأنها تؤدى أيضاً إلى تهديد البلدان المجاورة.

وعلى الجانب الآخر كانت الوكالة تشير إلى خط إستراتيجى واضح ، ألا وهو قيام دولة يهودية على أرض فلسطين ، فقد اقترحت بريطانيا عقد مؤتمر لانكسفر هاوس ، فقد قامت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية التى اجتمعت فى باريس فى ٧ أغسطس ١٩٤٦م وقررت رفض الدعوة التى وجهت إلى الدكتور وايزمان فى ٢ أغسطس للاشتراك فى المؤتمر إلا أن المشاورات استمرت بين الطرفين بصفة غير رسمية وفى ١٥ أغسطس اقترح الزعماء الصهيونيون الشروط التالية لاشتراكهم:

١. أن يكون أساس المناقشة إقامة دولة يهودية بإمكانها الوقوف على قدميها فى منطقة كافية من فلسطين.
٢. أن تسمح لأعضاء اللجنة التنفيذية المعتقلين أو المعرضين للاعتقال بالاشتراك فى وقت الوكالة المشترك فى المؤتمر.
٣. أن توجه دعوة إلى أى من ممثلى اليهود غير الأعضاء فى الوكالة عن طريقها.

وبذلك فشل المؤتمر ولم يعقد ، وهنا يجب أن نلاحظ الفرق بين طرفى المعادلة .

كان من الواجب ومن التفكير الإستراتيجى السليم أن يكون عماد الحرب فى فلسطين للقوات الفلسطينية وقوات المتطوعين العرب من دول الطوق أو من خارجه

بشرط توفير السلاح المناسب والذخيرة والأموال ووسائل النقل والإدارات المختلفة ، ولو نظرنا إلى ما تم توفيره من هذه القوات نجد أنها ليست على المستوى المطلوب بالرغم من أنها قامت بعمليات جيدة وبخاصة قوات المتطوعين المصريين بقيادة المقدم (البكباشى) أحمد عبد العزيز الذى قام بعدة عمليات تصل جنوب النقب بشماله ، وشارك فى الدفاع عن القدس. كل هذا تم خلال فترة الحرب غير الرسمية من أول ديسمبر ١٩٤٧م إلى ١٥ مايو ١٩٤٨م وكانت تشمل مرحلتين من القتال:

أولاً : المرحلة الأولى : (١)

وهى مرحلة النشاط العربى غير المنسق بواسطة جيش الإنقاذ وجيش الجهاد المقدس وبعض العناصر الأخرى من قوى النضال الوطنى الفلسطيني، واستهدفت الحفاظ على عروبة فلسطين ، وقد استمرت هذه المرحلة حوالى الأربعة أشهر من أول ديسمبر عام ١٩٤٧م وحتى الحادى والثلاثين من مارس عام ١٩٤٨م.

ثانياً : المرحلة الثانية:

وهى مرحلة النشاط اليهودى المضاد بقوات الهاجاناه بقيادة إسرائيل جاليلى ومنظمات الأرجون بقيادة مناحم بيجن وشتيرن بقيادة فريد مان يالين وبالمتطوعين الذين تدفقوا على فلسطين للمعاونة فى إنشاء الدولة.

ولقد تركز هذا النشاط فيما بين أول أبريل عام ١٩٤٨م وحتى ١٤ مايو من نفس العام ، واستهدف سرعة السيطرة على الرقعة المخصصة لليهود فى قرار التقسيم وتفريغ فلسطين من أكبر عدد من المواطنين العرب وتأمين شبكة المواصلات البرية والبحرية لخدمة الأهداف الصهيونية مع الاحتفاظ بالمستوطنات اليهودية فى فلسطين داخل وخارج القسم اليهودى من قرار التقسيم.

وبالرغم من افتقاد العرب للتنسيق إلا أن موقفهم خلال شهرى فبراير ومارس عام ١٩٤٨م كان يبدو راجحاً، وقد نجحوا فى قطع طرق المواصلات بين المستعمرات

(١) عميد محمد إمام: الصلح مع إسرائيل ، شركة النيل للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٥٤ ، ص ٨٠ .

اليهودية، أو هددوا بقطعها ، وكانت معركة السيطرة على الطرق الموصلة إلى القدس من أشرس هذه المعارك، فقد وضعت المتاريس فى الطرقات ونصبت الكمائن للعربات وسيارات الركوب وتوقف استعمال اليهود للطريق بين تل أبيب والقدس، وبرزت الحقيقة المتمثلة فى أن من يسيطر على طرف المواصلات سوف يحقق مزايا عسكرية واضحة ، فلا غرو والأمر كذلك حرب عام ١٩٤٨م برمتها فقد أطلق عليها اسم حرب خطوط المواصلات وأدرك الزعماء اليهود مدى حرج موقفهم وعدم قدرتهم على مجابهة العرب خلال الأشهر الأربعة الأولى من القتال ، وهكذا حققت القوات العربية فى فلسطين زمام المبادرة نظراً إلى اتباع القوات اليهودية خلال هذه المرحلة الإستراتيجية وضبط النفس التى كانت تهدف إلى: [١]

- صمود المستعمرات الإسرائيلية واستمرار بقاء مواطنيها داخلها فى وجه كل الهجمات وأعمال الحصار العربى.
- تجنب الاحتكاك المباشر بالبريطانيين حتى لا تتعرقل عملية جلائهم عن فلسطين.
- تأجيل العمليات الهجومية الكبرى ضد العرب إلى مرحلة تالية.
- تأمين الاتصال البرى بين مناطق تجميع اليهود فى فلسطين مع استمرار فتح الطرق للتحركات الإسرائيلية المختلفة.

القوات شبه النظامية العربية:

١ - جيش الجهاد الإسلامي: [٢]

قامت الهيئة العربية بإنشاء جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد المرحوم السيد عبد القادر الحسينى، يساعده عدد من المشهود لهم بالبسالة والخبرة من قواد المناطق فى فلسطين وأكثرهم من الذين تدربوا عسكرياً فى العراق وبعضهم فى ألمانيا وعدد من الضباط السوريين والعراقيين.

---

(١) Allon, Yigal, the making of Israel Army, London, 1973, p 34

(٢) محمد أمين الحسينى: حقائق عن قضية فلسطين، مكتبة الهيئة العربية العامة، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٩١.

ويصف أحمد فراج طايع القنصل العام لمصر فى القدس عام ١٩٤٧م هذا الجيش فى كتابه (صفحات مطوية عن فلسطين) فيقول:

"والواقع أن جيش الجهاد المقدس لم يكن جيشاً بالمعنى المعروف عن الجيش وإنما هم مجاهدون من أنصار المفتى عددهم قليل وإلى جانبهم كانت توجد قوة صغيرة مكونة من ١٣٠ فرداً يرأسها ضابط عراقي هو الضابط فاضل عبد الله أرسلته القيادة العامة لجيش التحرير من دمشق.

وقد صنفت قوات جيش الجهاد المقدس كالتالى:

- المجندون:

وتتكون منهم القوة الضاربة المتحركة وقد كانت الهيئة العسكرية العليا تضمن لهم الرواتب والأسلحة وكان عددهم بين ثمانية إلى عشرة آلاف.

- المجاهدون والمرابطون:

وتتكون تنظيماتهم من المجاهدين والمقيمين فى القرى ويقومون بأعمال الدفاع عن قواهم وتدفع لهم بعض الأموال وتوزع عليهم الأسلحة حسب الحاجة وكان عددهم يتراوح بين ١٢-١٨ ألفًا.

- التسليح:

كانت المصادر المختلفة التى اعتمد عليها (الجهاد المقدس) لتأمين السلاح سواء بالشراء أو التبرع من الدول العربية متعددة ، مما أدى إلى عدم توحيد السلاح والعتاد، فأدى إلى خلق بعض المشكلات الإدارية للتمرين بالذخيرة وقطع الغيار إلى جانب ضعف الجهاز الفنى المختص بالتخزين والتوزيع والصيانة والإصلاح.

وكانت الأسلحة [1] التى توفرت لهذه القوات متعددة الأصناف والعيارات والصناعة فمعظمها إنجليزى قديم والآخر فرنسى صنع قبل الحرب العالمية الأولى علاوة على بعض البنادق الألمانية والبلجيكية ... إلخ.

---

(١) المقدم محمد الشاعر: الحرب الفدائية فى فلسطين، بيروت ١٩٦٧، صـ ٤٥-٤٨.

هذا وقد بنت القيادة العامة للجهاد المقدس مخططها الدفاعى على أساس المهام العسكرية الكبيرة وفقاً لإمكانياتها الضئيلة وعدم توفر الوحدات الكافية للدفاع عن قطاعاتها المترامية فى المدن والقرى الممتدة من غزة جنوباً إلى الجليل شمالاً.

وأن عبء المهام الملقاة على قوات غير نظامية لم تتوافر لها وسائل الاتصال السلكية أو اللاسلكية بشكل منتظم أو وسائل النقل لإرسال النداءات من قرية إلى أخرى عند وقوع الخطر، أضف إلى ذلك عدم توافر الأجهزة الفنية من عسكريين ومدنيين، كل ذلك أوقع قوات الجهاد المقدس فى مواقف يصعب حلها من قبل قوات نظامية تفوقها عدة وعدداً.

٢- جيش الإنقاذ (التحرير): [١]

فى يناير عام ١٩٤٨ شكلت الجامعة العربية لجنة من الفريق طه باشا الهاشمي واللواء إسماعيل صفوت باشا (عراقيان) والقائد فوزى القاوقجى (سورى) مهمتها إنشاء جيش أطلق عليه جيش الإنقاذ أو (جيش التحرير) وكان هذا الجيش يتكون من متطوعين من البلاد العربية المختلفة يتدربون فى سوريا تحت إشراف هذه اللجنة.

ثم عهدت اللجنة بقيادة هذا الجيش إلى فوزى القاوقجى وأرسل إلى فلسطين قبل دخول الجيوش العربية النظامية.

ولقد عرف هذا الجيش مبالغاته عن قوته وقدرته العسكرية واستخفافه بقوات اليهود علاوة على الانتصارات الوهمية التى كان يذيعها ويدلى بها وهى عارية تماماً من الصحة، مما ترك أسوأ الأثر فى المنطقة التى كان يعمل بها (منطقة نابلس - طولكرم - جنين) وترجع بعض أسباب فشل هذا الجيش وضعف قدرته الحربية إلى أن قوام هذا الجيش كان من غير الفلسطينيين ولو كان هذا الجيش كله من الفلسطينيين لتغير الوضع.

(١) محمد فيصل عبد المنعم: المرجع المشار إليه، ص ٢٦٢-٢٦٤.

كما أن هناك سبباً فنياً أيضاً وهو تعدد أنواع الأسلحة الموجودة به وقلتها ، علاوة على عدم صلاحية قسم كبير منها ، فقد كان يسلم لأفراد الكتيبة الواحدة عدة بنادق ورشاشات من عيارات وأنواع مختلفة ، الأمر الذى كان يوجد مشكلات التموين بالذخيرة وقطع الغيار ، كما أن الأسلحة المساعدة وبخاصة الهاونات والرشاشات المتوسطة والأسلحة المضادة للدبابات كانت نادرة.

وعلى سبيل المثال لتعدد الأسلحة نورد فيما يلي قائمة بأسلحة إحدى الكتائب الثمانية التى كان يتألف منها جيش الإنقاذ.

بندقية فرنسية قديمة (١٨٨٦-١٨٩٣)	٢٣٧	(٣٠٪ غير صالح)
بندقية فرنسية قصيرة	١٣٥	(٢٠٪ غير صالح)
رشاش فرنسي	٣٢	(١٣ عاطل)
رشاش إنجليزى (برن)	١١	(٢ عاطل)
رشاش (ستن - تومى)	٣٣	(١٤ عاطل)
هاون فرنسي (٦٠ مم)	٧	(٣ بدون جهاز تنشين)
رشاش فرنسي (هوشكيز)	٣	(٣ عاطل)
رشاش إنجليزى	٢	(١ عاطل)
مدفع مضاد للدبابات	٢	(٢ بدون ذخيرة)
جهاز لاسلكى فرنسي قديم	٢	(٢ عاطل وبدون عامل لاسلكى)
طلقات بنادق	٧٥٠٠	(٣٠٪ صدئة لا تصلح)
قنابل هاون	٦٣	(١٣ بدون طابة)

وكان من أسباب فشل عمليات جيش الإنقاذ ما يلى : [1]

أ- القيادة:

كانت قيادة هذا الجيش ضعيفة وغير متجانسة بالرغم من وجود بعض الكفاءات العسكرية ، فقد كان معظم القادة من المتقاعدين الذين انقطعوا عن الحياة العسكرية العملية وعلى سبيل المثال فإن (فوزى القاوقجى) اختير قائداً للجيش دون أن تكون لديه خبرة قيادة وحدات عسكرية حيث اكتفى الذين رشحوه بها لديه من خبرة سابقة فى قيادة جماعات المجاهدين الذين قادهم فى فلطسين سنة ١٩٣٦م.

ب- عدم وحدة الفكر وضعف المعنويات:

فقد كان هذا الجيش خليطاً من العرب السوريين واللبنانيين والعراقيين والأردنيين والمصريين والسعوديين واليمنيين ، بالإضافة إلى جنسيات أخرى من الأتراك واليوغسلافيين والألمان فكان من الصعب أن يأتلف أفراد هذا الجيش فكرياً ومعنوياً، أضف إلى ذلك ضعف التدريب وتنوع الخبرات العسكرية والأسلوب فى العمل.

جـ- لم تكن أهداف هذا الجيش والسياسة التى شكل من أجلها واضحة المعالم محددة الاتجاهات، فقد سمى جيش التحرير عند بدء تشكيله ثم أعيدت تسميته بجيش الإنقاذ ، فهل أعد هذا الجيش للعمليات الدفاعية أو الهجومية ؟ وما هى المبادئ الإستراتيجية التى ارتكز عليها قادته فى توزيع وحداته على مناطق سرعان ما كانت تبدل بدون دراسة سابقة أو لاحقة كما كان يجرى نقل الوحدات وتحديد أماكنها بصورة مرتجلة.

كانت عملية إنقاذ فلسطين تتطلب التغلب على الخصم وذلك بتدمير قواته الضاربة ومثل ذلك لا يمكن تحقيقه إلا بالتفوق على القوات اليهودية بالعدد

(١) محمد الشاعر: المرجع المشار إليه، ص ٥٢-٥٣.

والسلاح والتدريب ، وقد أثبتت المعارك التى خاضها هذا الجيش أنه دون مستوى القوات اليهودية من جميع الوجهات المذكورة.

د - تعدد أنواع الأسلحة وعدم صلاحية بعضها والنقص الخطير فى مختلف المعدات الحربية أدى إلى إضعاف القوة والكفاءة النارية فى الوقت الذى كان لدى القوات اليهودية أسلحة جديدة أكثرها أتوماتيكي وذخيرة متوفرة كما أن صيانة الأسلحة وتجديدها كان يجرى على قدم وساق فى الخطوط الأمامية والخلفية، وهذا يعود إلى سرعة استيعابهم للأسلحة وتوافر الإمكانيات الصناعية والعمال المهرة.

٣- قوات المتطوعين المصريين [(١)]:

كانت هذه القوات تتكون من ٣ كتائب متطوعين (كل كتيبة ٤٠٠ متطوع) وكان يقود الكتيبة الأولى البكباشى أحمد عبد العزيز وكانت تتكون من ١٢٠ تونسياً والباقي من المصريين منهم ٨ ضباط . أما الكتيبة الثانية فكان يقودها البكباشى عبد الجواد طبالة، أما الكتيبة الثالثة فكان يقودها اليوزباشى محمود عبده وعهد إليها بالدفاع عن (صور باهر). وكانت هذه القوات ضعيفة التسليح والذخيرة وتشتمل على :

٤ مدافع ميدان ٣.٧ بوصة - ٤ مدافع مضادة للدبابات ٢ رطل - ٨ حملات مدفع - ٨ عربات ١.٥ طن - ذخيرة - ٣ عربات ١.٥ طن نقل.

ولم تبدأ هذه القوات نشاطها إلا بحلول ١١ مايو عام ١٩٤٨ وقد تقدمت قوات المتطوعين المصريين بعد أن تم تعزيزها ببعض المتطوعين من مصر وليبيا

(١) وثائق رئاسة مجلس الوزراء، محضر جلسة مجلس الوزراء المنعقدة يوم الأحد ١٤ أبريل ١٩٤٨ بطلب الموافقة على ما أجرته وزارة الدفاع الوطنى من صرف بدل سفر لضباط القوات التى أرسلت إلى العريش طوال مدة إقامتهم بها ملف ١٥٠ - ٢٤/ ٢ج٢.

ودخلت الخليل ووصلت طلائعها تجاه (بيت لحم) وأمكن تحقيق الاتصال بين قوات الأردن ومصر يوم ٢٤ مايو ١٩٤٨م.

وقد حقق الدفاع بقوات المتطوعين من (بئر سبع) إلى (الخليل) ثم (بيت لحم) غرضاً سياسياً بوجودها فى هذه المناطق وأعطى المعاونة اللازمة للجيش الأردنى بتأمين جناحهاالأيسر ولكنه مد خطوط مواصلاته لدرجة لا تتفق مع حجمها أو حجم القوات التى تحميها ، مما جعلها عرضة للاعتداء من العدو فى أى وقت.

هجمات القوات العربية:

ولقد حدثت أول هجمة عربية منظمة لجيش التحرير بقيادة فوزى القاوقجى فى ليلة ١٦ فبراير عام ١٩٤٨م بشن هجوم على مستعمرة بئرات كسيفى (الزراعة) الواقعة جنوب ميستان فى وادى الأردن والمتحكمة فى طرق المواصلات إليها بهدف احتلالها، ولكن لقلة الإمكانيات وضعف التدريب لم تنفذ المهمة، وقام جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسينى بمعركة القسطل العربية فى الفترة من ٤-٨ أبريل عام ١٩٤٨ [١]. وترجع أهمية هذه القرية أنها تسيطر على خط المواصلات بين مدينة القدس وتل أبيب والمستعمرات اليهودية المجاورة.

وقد استمرت المعركة لمدة ستة أيام وبخسائر جسيمة لكلا الجانبين واحتل العرب القرية وتمسك اليهود بالمرتفعات حولها وخسر العرب القائد عبد القادر الحسينى.

فى مطلع أبريل عام ١٩٤٨م بدأت المرحلة الثانية من الحرب غير الرسمية [٢] وتحول اليهود إلى الهجوم وانتقلت المبادأة إليهم فشرعوا فى تنفيذ الخطة "دال" أو

---

(١) تقع قرية القسطل العربية فى منطقة جبلية مشرفة على طريق القدس - يافا وعلى بعد ثمانية كيلومترات من القدس، وقد تم احتلالها بواسطة قوات البالماع اليهودية فى ٣ أبريل ١٩٤٨م.

(٢) د. إبراهيم شكيب:، حرب فلسطين ١٩٤٨م رؤية مصرية، الزهراء للإعلام المصرى، ١٩٨٦م، ص ٩٩-١٠١.

"دالت" كما ذكرت فى بعض المراجع [1] والتى وضعت تفاصيلها قيادة الهاجاناة، وقد حدد هدف هذه الخطة على النحو التالى:

"السيطرة على المنطقة المعطاة لنا من الأمم المتحدة بالإضافة إلى المناطق التى تم احتلالها والواقعة خارج تلك الحدود وإقامة قوة تقف فى وجه الغزو المحتمل من الجيوش العربية النظامية بعد ١٥ مايو عام ١٩٤٨م وذلك باحتلال المرتفعات الإستراتيجية التى تسيطر على طرق التقدم لهذه الجيوش، وملء الفراغ الذى تركته القوات البريطانية الراحلة بشكل يمكن من خلق منطقة يسيطر عليها اليهود تمتد من الشمال إلى الجنوب".

وضعت الخطة "دال" موضع التنفيذ قبل ١٥ مايو من عام ١٩٤٨ وكانت الشحنة الأولى من الأسلحة التشيكية قد وصلت لليهود فى نهاية شهر مارس وسلمت إلى الهاجاناة وأصبحت قواتها بذلك فى حالة استعداد للعمل وقد جزئت الخطة إلى عدة عمليات نجحت فى تنفيذ معظمها.

وبينما كانت المستعمرات الصهيونية يدافع عنها بالسلاح والعتاد والأفراد دفاعاً جيداً مما جعل اقتحامها من الصعوبة كانت قرى الفلسطينيين عارية من السلاح والعتاد عرضة لاقتحامها من اليهود.

قرار التقسيم :

وفى ٢٦ نوفمبر اجتمعت الجمعية العامة للنظر فى تقرير التقسيم، وكان لزاماً للحصول على الأغلبية موافقة ثلثى أعضائه، واتضح فى أثناء المناقشات احتمال عدم حصول المشروع على الأغلبية المطلوبة؛ لذلك سعت الدول الغربية إلى تأجيل

(١) كتاب كيرخوت (المعارك بالعبرية) ويغطى عمليات الهاجاناة والبالماع ص١٦ وقد قام بدراسته الأستاذ وليد الخالدى وأشار إليه فى دراسته (الخطة دالت) وعلق عليها يهو شفاط هاركابى فى كتابه موقف العرب فى النزاع العربى الإسرائيلي، ج٤، ص ٨١٣.

الاقتراح حتى يمكن توفير الأغلبية المطلوبة وتحدد يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ للتصويت على مشروع التقسيم. وفي هذا اليوم بعد توتر شديد ومناقشات حامية ومحاولات للتأجيل وضغوط من جانب الولايات المتحدة، وافقت الجمعية العامة على قرار التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتاً (بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) ومعارضة ١٣ صوتاً (بينها الدول العربية) وامتناع ١٠ أصوات بينها بريطانيا) ولعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً سياسياً أساسياً لتحقيق الأغلبية لمشروع التقسيم (الخريطة رقم ٣ أ) لإقراره. وأدى صدور قرار التقسيم إلى قيام معارضة شديدة في الدول العربية وقيام حرب سرية بين العرب واليهود في فلسطين.

وقد أحسنت الصهيونية استغلال الساعات التي سبقت انعقاد اجتماع الجمعية العامة أحسن استغلال ونجحت في زيادة مؤيدي التقسيم بمساعدة الولايات المتحدة مما أدى إلى صدور القرار.

وبينما كان العرب يعارضون حكومات وشعوباً قرار التقسيم وإطلاق الاحتجاجات لصدور هذا القرار وكان الموقف مختلفًا على الجانب الآخر.

فعلى الجانب الصهيوني نجحت الصهيونية في تلك الفترة في تدعيم قوتها السياسية والعسكرية وقامت بشن هجمات إرهابية على السكان العرب، وعن أبشع الجرائم التي ارتكبت وأكثرها بربرية مذبحة دير ياسين في ٩ أبريل ١٩٤٨م ولم يقتصر أعمال الإرهاب الوحشي على المناطق المخصصة للدولة اليهودية بل شملت أيضاً مدينة يافا التي كانت جزءاً من الدولة العربية الفلسطينية وكذا مدينة عكا العربية، واستخدم الصهيانة أحدث أساليب التأثير النفسي. وقد أخذت الصهيونية - بجهد متواصل وعمل دائب - تضع الخطط للقضاء على عروبة فلسطين، وتحدد لخططها هذه اتجاهاً إستراتيجيًا معينًا، هدفه إجبار العرب على ترك أراضيهم وممتلكاتهم وإرغامهم على النزوح عن فلسطين ، واتخذ هذا الاتجاه الإستراتيجي

شكل الحرب (الإبادة والإرهاب) كوسيلة للاستيلاء على الأرض والتخلص من الشعب العربى فى فلسطين فى نفس الوقت.

وبعد صدور قرار التقسيم أعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين فى أقصر وقت ممكن ، وأعلنت ذلك وهى تعلم تماماً مدى قوة التنظيم الصهيونى فى فلسطين. أما العرب فلم يكن من المسموح لهم أن يمارسوا فى نشاط مماثل أو يقيموا أي تنظيم سياسى شامل أو يحملوا السلاح للدفاع عن أنفسهم وحقوقهم.

أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فبعد صدور قرار التقسيم رأى خبراء وزارة الخارجية الأمريكية منذ شهر يناير ١٩٤٨ أن مشروع التقسيم لا يمكن تطبيقه خصوصًا بسبب البترول العربي وبالذات من السعودية التى كان مالكها ابن سعود يضغط بأقوى الحجج على السياسة الأمريكية تجاه العرب رغم عدم لجوئه إلى إلغاء الامتيازات البترولية الأمريكية.

وما أن تبين الصهيونيون أن مساندة الولايات المتحدة للتقسيم على وشك الانهيار كما سبق الإشارة إليه حتى قاموا هم وأنصارهم بحملة ضخمة، فذهبوا إلى أن مقاومة العرب لقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة يمس سلطة المنظمة الدولية ويزعزع الثقة فى قدرتها على التغلب على الأزمات التى قد تطرأ فى المستقبل وقد تشترك فيها الدول العظمى [١].

وخلال أسبوع واحد من شهر فبراير تلقت وزارة الخارجية أكثر من ٢٢.٠٠٠ برقية تتعلق بفلسطين وفى خلال أسبوعين جمعت الجباية اليهودية المتحدة ٣٥ مليون دولار [٢] فى حين اشتد نقد اليهود الأمريكان للإدارة الأمريكية التى طالبوها بإلغاء حظر تصدير الأسلحة إلى فلسطين. ولم يكن الصهيونيون وحدهم الذين أعلنوا

(١) F.O.371/68648, washiugton to F.I., 24-2-28

(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع المشار إليه، ص ١٢٣.

سخطهم على هذا التحول الذى طرأ على السياسة الأمريكية ، إذ أعلن الكثيرون من الأمريكيين أسفهم لما قد يترتب عليه من ضغطة هيبة الولايات المتحدة فى الخارج ووصفه بعضهم بأنه انتصار "لسياسة النفط" وتهدئة مخزية للعرب. ومع ذلك استمرت الإدارة الأمريكية وعلى رأسها الرئيس ترومان فى المساندة الفعالة لقيام دولة إسرائيل. كما ظلت الاضطرابات والإرهاب الصهيونى فى فلسطين حتى يوم ١٤ مايو ١٩٤٨م حيث أعلن بن جوريون بقيام الدولة اليهودية وبدأت رسمياً حرب عام ١٩٤٨م.

وهكذا بينما العرب تتعالى أصواتهم بالاحتجاج للقرار كان الصهيونية تعمل بجد فى مراكز القرار الجديد وتحول اتجاهاً مسانداً للعرب إلى اتجاه تحقيق أهدافهم فى نفس الوقت استطاع بن جوريون أن ينفرد برئاسة المنظمة وتأكيد مبدأ يهودية كل فلسطين وانسحب وايزمان تاركاً له الرئاسة وتحقيق هدفه بالحرب.

وفور صدور قرار تقسيم فلسطين كان هناك اتفاق [1] مسبق وكامل بين الهاشمين والحركة الصهيونية ، وكان جوهر الاتفاق أنه عندما يسرى مفعول قرار التقسيم ينتهى الانتداب البريطانى على فلسطين ، فإن دولة يهودية (إسرائيل) سوف تعلن على الفور فى الجزء المخصص لليهود بمقتضى قرار التقسيم ، وأما بالنسبة إلى الجزء المخصص للعرب فإنه ينضم إلى شرق الأردن بحيث لا يكون هناك داع للدولة الفلسطينية تنشأ بين إسرائيل ونهر الأردن.

لو وضعت قرار التقسيم فى الميزان نجد أن معارضة العرب لهذا القرار غير منطقية حيث أنهم ليس لديهم القوة أو المساندة من الدول الكبرى مع تأثير اللوبى الصهيونى فى هيئة الأمم ، فهل من الأفضل إذا لم يكن من المتاح أن أحصل على كل

---

(١) فى شلايم العلاقة بين الهاشمين والحركة الصهيونية "التواطؤ عبر الأردن" – جامعة أكسفورد، الصفحة الأولى ، عام ١٩٨٨.

ما أريد أن أرفض جزءًا منه ، هذا لو تصورنا أن عملية التاريخ قد رجعت ووافق العرب على قرار التقسيم ألم يكن دولة فلسطين قد أصبحت عبارة عن جزء فى حدود ٤٣٪ من المساحة وتصبح دولة ذات سيادة ولها شرعيتها الدولية ويمكن أن يكون لها قواتها المسلحة والسيادة وفى نفس الوقت تعتبر أن باقي أراضى فلسطين أراضي محتلة لها حق المطالبة بها وذلك لأن كل مقترحات العرب كانت منصبة على أن نكون دولة واحدة متعددة الأديان ، وهذا كان من المحال فى ذلك الوقت ومما يذكر أن العرب فى عام ١٩٤٧م رفضوا وفى عام ١٩٨٨م وافقوا على القرار ضمن اجتماع منظمة التحرير الفلسطينى فى الجزائر أى أنهم وافقوا بعد ٤١ عاماً على موضوع بعد مضى زمن طويل كان من الممكن أن يفيد فى شكل الصراع.

الجولة العربية الأولى (حرب عام ١٩٤٨م) .

إعلان الحرب على إسرائيل:

قامت الدول العربية بإعلان الحرب على إسرائيل بمجرد انتهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨م وكان الجيش المصرى والجيش الأردنى الأكثر فاعلية وتأثيرًا بتنفيذ مهام متوالية على الأرض لهذا سنعرض طريقة كل من الدولتين إعلانها الحرب على إسرائيل.

أولاً : المملكة المصرية:

كان رأى رئيس الوزراء المصرى النقراشي باشا أنه مع عدم دخول الجيش المصرى للأراضي الفلسطينية حيث كان الرأى المتداول[1] دون تعبير صريح عنه أن الجيش المصرى (إلى جانب دعوى ملء الفراغ على قناة السويس) غير مستعد للتدخل فى فلسطين على الأقل بسبب النقص فى الأسلحة والذخائر ، كما أنه ما سعى إلى شرائه من مخازن الجيوش المنسية بعد الحرب العالمية الثانية ، خصوصاً فى إيطاليا ،

(١) محمد حسنين هيكل : العروش والجيوش ، مرجع سابق.

لا يكفيه لتعويض النقص وكان الرأى الأكثر جاذبية فى أروقة السياسة المصرية فى ذلك الوقت هو أن يتم فتح باب التطوع أمام المستعدين للمشاركة فى الدفاع عن فلسطين ، وكان رأى المستشار الملكى الدكتور وحيد رأفت أن تواجد قوات متطوعين مصريين على أرض فلسطين. يمكن اعتباره مشاركة مقبولة فى القتال إذا دعت الضرورة دون أن يكون التدخل رسمياً فى الحرب ، تترتب عليه تكاليف ومخاطر غير معروفة ، ولكن فى النهاية بينما كان النقراشى يحاول إقناع البرلمان بالتصديق على دخول الحرب كان الملك فاروق تحت دعوى أن يكون حامى المسلمين قد أمر وزير الحربية حيدر باشا مباشرة بتحرك الجيش المصرى لدخول فلسطين دون انتظار تصديق رئيس الحكومة أو البرلمان.

ثانياً: إمارة شرق الأردن:

كان الملك عبد الله قد اتخذ قرارًا بدخول فلسطين سواء منفرداً أو مع باقي الدول العربية ، وكان يرحب أشد ترحيب إذا لم تدخل مصر ، وذلك بعد أن اتفق مع الوكالة اليهودية على الاستيلاء على الجزء العربي من مشروع التقسيم لفلسطين متذرعاً بأن أهالى فلسطين يطالبونه ليلاً نهاراً بالخبرة والمساعدة ، كما جعل المحافظة على بيت المقدس شعاراً آخذاً وسبباً فى أنه يوجب عليه التدخل العسكرى ولم يكن الملك عبد الله بعيدًا عن الواقع أن قوات المقاومة الفلسطينية خصوصاً قوات الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسينى (قد استشهد فى القتال) وقوات الأنصار بقيادة فوزى القاوقجى لم تظهر فاعلية يحسب حسابها دائماً ، فانكسرت بسرعة أمام اليهود لهذا كانت وسائل الملك العملية بعد أسبابه وبعد ذرائعه حاضرة ؛ ذلك لأن فردًا من جيشه (الفيلق العربي) كان بشهادة المراقبين فى ذلك الوقت أفضل قوة مقاتلة ترفع علماً عربياً وإن كان الحقيقة أن الإنجليز يسيطرون على الجيش ليس لوجود الجنرال جلوب وحده هو الإنجليزى ، بل كان الضباط الإنجليز أيضاً بتواجدهم فى أغلب

الوحدات وكان التوجيه من لندن وليس من عمان ، وكذلك المعونة المالية التى كانت مليون جنيه إسترليني كل سنة للحكومة لقد كان حلم الملك عبد الله إقامة الهلال الخصيب وقد تصور ملوك العرب أنهم من باب الاستحالة والاسترخاء أنهم يطمئنون الملك عبد الله إذا اقتادوه (بايعوه) قائداً على كل جيوش الدول العربية الداخلة إلى فلسطين وقبلوا تعيينه قائداً عاماً من العراق الهاشمى بعد اللواء الركن نور الدين محمود وكان الملك عبد الله قد أرسل يوم ٨ مايو برقية إلى الملك فاروق يطلب فيها تعيين ضابط مصرى رفيع المستوى يتولى قيادة القوات العربية فى فلسطين .

ومن المفارقات أيضاً أن الملك عبد الله[1] اعتبرَ ذلك الاختبار (المبايعة) عملية توريط له تحمله نتائج المعارك كيفما تكون ، ولما كان هو أقربهم إلى تقدير القوة الحقيقية لليهود فإنه يستطيع حساب النتائج مسبقًا ، ولم يكن الملك يريد قتالاً من أى نوع ، وكان حسابه أن قرار تدخل الجيوش الأخرى ونجاح الجيش المصرى يمكن أن يعرقل اتفاقًا مع الوكالة اليهودية الذى يمكن أن يتم بأقل قدر ممكن من الصمت. وابتدأت الحرب والقائد العام للقوات العربية جنرال إنجليزى.

مهام الجيوش العربية:

وكان ملوك ورؤساء الدول العربية فى اجتماعهم بعمان فى ٢٩ أبريل عام ١٩٤٨م فقد أوصوا بتعيين الملك عبد الله بن الحسين قائداً أعلى للجيوش العربية وأن يعين اللواء الركن نور الدين محمود من العراق فى منصب القائد العام للجيوش العربية ويكون تابعاً للجنة السياسية لجامعة الدول العربية مباشرة.

وفى اجتماع عقد بدمشق ١٠ مايو ١٩٤٨م ولم يحضره ممثلون عن مصر أو ممثلون عن السعودية وطلب السياسيون إلى العسكريين الحاضرين فى هذا الاجتماع وضع خطة نهائية للعمليات المقبلة فى فلسطين التى تبلورت فى تعيين هدف لكل

(١) محمد حسنين هيكل : العروش والجيوش، المرجع السابق، ص ٧٠.

جيش دولة عربية تصل إليه فى وقت محدد ثم تصدر بعد ذلك أوامر أخرى طبقاً للموقف ، كانت مهام الجيوش تتلخص فيما يلي (الخريطة ٤) وفى اجتماع عقد بدمشق فى ١٠ مايو ١٩٤٨ صدرت للجيوش العربية المهام التالية:

١- **الجيش السورى**: يحتشد جيش سوريا فى منطقة فيق فى القطاع الغربي لهضبة الجولان ويتقدم منها على محور الحمة سمح لاحتلال صفد والناصرة بعد تصفية مستعمرات سمح ودجانيا.

٢- **الجيش اللبنانى**: يحتشد فى منطقة رأس الناقورة على حدود لبنان الجنوبية الغربية مع فلسطين ويتقدم منها على الساحل فى اتجاه هدفه نهاراً ويطهر المنطقة الكائنة بين الحدود ، والهدف هو تدمير كل المستعمرات اليهودية الموجودة فيها.

٣- **الجيش العراقي**: يحتشد فى المنطقة الواقعة بين أربد والحدود وهدفه التقدم من أربد إلى جسر المجامع على نهر الأردن وكيشر وكوكب الهوى ومنها إلى بيان ثم العفولة والناصرة.

٤- **الجيش العربى الأردنى**: يقوم بتقوية فرقته المرابطة فى جسر الشيخ ياسين على نهر الأردن لتأمين الدفاع عنها ، ويوجه قسماً من قواته شمالاً نحو بيان ثم العفولة مسانداً الجيش العراقى فى عملياته أمام جسر المجامح وكيشر إلى العفولة ، وقسم آخر يتقدم من قلب فلسطين بعد احتلال القدس جميعها إلى جنين ثم العفولة.

٥- **الجيش المصرى** : يتقدم من حدود مصر فى رفح إلى الشمال نحو تل أبيب وتصفية جميع المستعمرات التى فى طريق تقدمه على أن يناط بالبحرية المصرية واجب مراقبة السواحل الفلسطينية وفرض حصار عليها مع القوة الجوية المصرية مع إسداء المساعدة للجيش المصرى عند تقدمه.

تعـليق:

عند التخطيط الإستراتيجى يجب أن يتبع العلم العسكرى الذى يوضح أن أول البناء هو تحديد هدف العملية الإستراتيجية مع تكوين القيادة وهيئة الأركان ومراكز القيادة وشبكة المواصلات اللازمة وهنا نسأل سؤالاً، هل الهدف من إعلان الحرب حسب التصريحات السياسية هو طرد اليهود من فلسطين وإعادة الأرض لأصحابها لأن الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى وإن أحداث الحرب التى وقعت ليست سوى خيوط سياسية يتابع مسارها عبر الحرب حتى تحقيق السلم كما قال المفكر الإستراتيجى كلاوزفينز.

وبهذا لا نجد أمرًا استراتيجيًا يحدد المهمة للجيوش العربية مع تحديد مهامها حيث أن تحديد المهام يجب أن يمون بخطوط يصلوا إليها فى توقيت معين والمهام تقسم لعدة أيام ومع التعاون فى الجاد حيث أنه بعد تلقى المهام يضير تفهمها ثم اتخاذ القرار المناسب وعرضه على القادة للتصديق ثم يجرى تنظيم يصادق مع جميع الجهات كل ذلك بالنسبة إلى القوات البرية والجوية والبحرية المشتركة فى العملية القتالية.

ثم تعطى بعد ذلك تلك المهام للوحدات المرؤوسة لتجهيز خططهم واتحاد قراراتهم وهذا لم يحدث ولم يتم مما جعل الحرب عبارة عن أعداد جيش لا تربطها مع بعض أى أشكال من التعاون بل تعاون نظرى وكل جيش له هدفه الذى يسعى إلى تحقيقه ، فى سبيل ذلك لا يهمه أوضاع أو ظروف الجيوش الأخرى ، وهناك جيوش تقدمت بعض كيلومترات ثم توقفت وهكذا أصبحت الحرب نوع من الدعاية والنصيب السياسي .

فى الجانب الآخر كانت القوات اليهودية تعرف مهامها وهى الحصول على الجزء المخصص لها فى قرار التقسيم علاوة على ذلك أى جزء آخر من الجزء العربى له التفاهم مع الملك عبد الله.

وقد كانت مجموع الألوية الإسرئيلية أحد عشر لواء بخلاف حرس المستعمرات التى يبلغ مجموعها وباقى المنشآت يهودية بفلسطين ٦٠٢ مستعمرة.

من جهة اتخاذ القرار العسكرى فإنه لا بد أن يتم مقارنة القوات المتحاربين وبناء على ذلك تعطى مؤشر هل يمكن تحقيق المهمة من عدمه ، وهذه المقارنة ليست فى الأفراد فقط بل فى الأسلحة والمعدات ، ومن بين المقارنات كانت المقارنة بين القوات العربية واليهودية فى بداية الحرب كالآتى: (١)

الموقع	الإسرائيليون	العرب	الدولة
الجنوب	٥٠٠٠	٥٠٠٠	من المصريين
أقصى الجنوب فى الخليل	١٥٠٠	٤٥٠٠٠	من المصريين
القدس والمجموعة فى الجبهة الوسطى وتل أبيب	٤٥٠٠	٤٥٠٠	من العرب
تانيا	٣٠٠٠	٣٠٠	من العراقيين
الشمال	٥٠٠٠	١٠٠٠	من اللبنانيين
		٢٠٠٠	من جيش التحرير
المجموع	١٩٠٠٠	٢٣٠٠٠	١٥٢:١

وهذه النسبة لا تحقق النسبة المطلوبة للقيام بالعمليات الهجومية الناجحة مع ذلك نتيجة الروح المعنوية والإصرار والقيمة تمكن الجيش المصرى فى المرحلة الأولى من تحقيق نجاحات لأنه اتخذ قطاعات محددة على الساحل للقيام بعملياته الرئيسية مما حقق له النجاح.

ومع مطلع أكتوبر ١٩٤٨م وبعد فرض الهدنة وتدفق المساعدات على الجانبين الإسرائيلى والعربى ، نجد أن الجانب الإسرائيلى قد حقق تفوقًا فى عدد المقاتلين بلغ ١.٧٥ إلى واحد ، الأمر الذى دفع هذه القوات المدربة إلى القتال الليلى والانتشار على طول الخطوط الدفاعية المصرية ببيت لحم إلى المجدل ومن أسدواد إلى رفح ومن

(١) محمد فيصل عبد المنعم : أسرار ١٩٤٨، ص ٣٣٦.

العوجة إلى الظاهرية فى وقت واحد كما أنه لم يكن التفوق فى القوة البشرية فقط بل للقوة الجوية الإسرائيلية المتزايدة وبخاصة بالنسبة إلى طائرات النقل من طراز داكوتا مستر شمس أن تحقق الاتصال بالمستعمرات الإسرائيلية الموجودة ، وكذلك تزويد القوة الجوية بأنواع مختلفة من الطائرات المقاتلة من أنواع موسكيتو وموستانج وهالماكس مع كثرة المطارات ، مما أدى إلى إحراز إسرائيل التفوق الجوى والسيطرة الجوية ابتداء من المرحلة الثانية حتى المرحلة الرابعة من الحرب.

فى ١٣ مايو اجتمع وفود الدول ومندوبون من الجيوش العربية الخمس علاوة على رئيس أركان حرب الجيش السعودى وأعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، لبحث خطة الحرب وبدأت القيادة المصرية ملاحظاتها على تلك الخطة وتقدمت ببعض المقترحات لم تأخذ القيادة السياسية بها عدا موافقة القيادة الأخيرة على طلب لبنان الخاص ببقاء الجيش اللبنانى على حدوده للدفاع عنها.

وتتلخص هذه الملاحظات فى الآتى:

أ- استحالة تحقيق أهداف كل جيش من الجيوش على حدة لصغر حجم القوات.

ب- عدم الاستعداد الكافى ، حيث أن هذه الخطة تحتاج إلى عدة فرق لتنفيذها بالإضافة إلى صعوبة السيطرة على هذه الجيوش لبعدها عن بعضها بمسافات شاسعة.

جـ- عدم وجود أى احتياطى عام لتعزيز أى جيش بها - يتوقف أمام أية مقاومة عنيفة - خاصة طرق اقتراب كل منها ملىء بالمستعمرات اليهودية الحصينة.

د- الاقتراح بتجميع الجيوش العربية الخمسة على هدف رئيسى واحد، بدلاً من تعدد الأهداف الثانوية والتى لا تأثير لها على مركز اليهود العام فى البلاد ، واقترحت الهدف الرئيسى وهو احتلال مدينة القدس القديمة والجديدة والمناطق التى حولها ، وتنفذ بواسطة الجيوش الأردنية والسورية والعراقية.

الحرب الإسرائيلية من ١٥ مايو ١٩٤٨-١١ يناير ١٩٤٩

بدأت الحرب الرسمية بين جيوش الدول العربية والقوات الإسرائيلية اعتباراً من فجر يوم ١٥ مايو ١٩٤٨م وتميزت هذه الحرب بحدوثها فى فترة زمنية طويلة نوعاً ما، مع تخللها فترات من الهدنة وقد كانت مراحل الحرب من الناحية العملياتية كالآتى :

المرحلة الأولى :

وقد استمرت من ١٥ مايو ١٩٤٨م إلى ٨ يوليو ١٩٤٨م وقد تخللتها فترة الهدنة الأولى من يوم ١١ يونيه إلى ٧ يوليو من نفس العام.

المرحلة الثانية:

وقد استمرت من ٩-١٩ يوليو ١٩٤٨م وهو ما أطلق عليه حرب العشرة أيام.

المرحلة الثالثة:

وقد كانت من ١٩ يوليو ١٩٤٨م إلى ٥ نوفمبر ١٩٤٨م وتم فيها الهدنة الثانية لعودة القتال وحصار الفالوجا.

المرحلة الرابعة:

وهى من ٦ نوفمبر ١٩٤٨م إلى ١١ يناير ١٩٤٩م وتم فيها محاولة فك حصار الفالوجا والهجوم العام على جبهة الجيش المصرى وقد تميزت بحصول المبادأة للإسرائيليين.

المرحلة الخامسة:

مفاوضات الهدنة الدائمة فى ردوس وقيام الهدنة الدائمة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩م.

المرحلة الأولى من ١٥ مايو ١٩٤٨م إلى ٨ يوليو ١٩٤٨م .

فتتلخص المرحلة الأولى وهى مرحلة المد العربى وتقدم الجيش المصرى فى محورين ، فى اتجاه الساحل والآخر إلى ناحية الشرق إلى العوجة وبئر سبع وقد حققت نجاحاً ، أما القوات السورية واللبنانية لم تحقق تقدمًا ملموساً.

أما الفيلق العربى فقد استولى على اللد والرملة البلد والرجلة ودافعت عن القدس بالتعاون مع قوات المتطوعين المصريين.

ثم فرض الهدنة الأولى اعتباراً من سعت ٨٠٠ يوم ١١ يونيه ١٩٤٨م واستمرت حتى ٧ يولية واتفق على أن يبقى خطوط القتال دون تغيير وأن يتجنب كل من الطرفين (العرب واليهود) زيادة القوات أو جلب الأسلحة مع منع دخول المهاجرين القادرين على حمل السلاح إلى فلسطين وعينت الأمم المتحدة والكونت برنادوت كوسيط للبحث عن حل سلمى لمشكلة فلسطين حيث اتخذ جزيرة ردوس مركزاً له وبدأ تعيين المراقبين الدوليين.

كانت الجيوش العربية عندما أعلنت الهدنة الأولى فى ١١ يونية ١٩٤٨م فى أوضاع متقدمة على الرغم من بعض الأخطاء السياسية والعكسرية التى اشتملت فترة القتال الأولى، فقد وصلت الجيوش العربية فى نهاية هذه المرحلة إلى موقف أفزع اليهود والصهيونية بل والعالم الخارجى وظن الجميع أن نهاية اليهود فى فلسطين قد قربت وأن مهمة الجيوش العربية فى إعادة الأمن والنظام فى فلسطين وإيقاف المذابح التى تقترفها العصابات الإرهابية الصهيونية ضد العرب وضد الإنسانية قد انتهت.

ولقد أطبقت الجيوش العربية على تل أبيب من ثلاث جهات فى شكل قوس يمتد من ناتانيا إلى ملبس على مساقة ٢٠ كيلومترًا من تل أبيب وتتصل بها القوات الأردنية المرابطة على طول خط اللد والرملة على مسافة ٢٤كم من تل أبيب. وتعتبر هذه المرحلة الأولى هى مرحلة المد العربى الذى شهد نجاحاً للجانب العربى.

وبصباح يوم ١١ يونية ١٩٤٨م فرضت الهدنة الأولى ووصلت فترة النجاح المصرى برغم أخطائه إلى نهايته وبقيام الهدنة الأولى بدأ ميزان القوى يتغير بشدة ناحية دولة إسرائيل ؛ ولهذا فإن الهدنة وهى إحدى فترات المرحلة الأولى فى حرب عام ١٩٤٨م تعتبر نقطة تحول قوية لصالح إسرائيل وإضعافًا للنجاح والتعاون والتنسيق العربى خلال باقى مراحل الحرب المختلفة.

ومن الغريب أن رد الفعل العربى هو السلبية والشكوى وعدم رد الفعل واتخاذ إجراءات إيجابية وكسر الهدنة للمحافظة على مكاسب حققت على الأرض ، سنجد أن ذلك دائماً هو تصرفنا حيال القوانين الدولية إزاء خصم لا يلتزم بها والإيجابية والاتحاد هما الفعل المناسب والمدروس وفى التوقيت السليم.

المرحلة الثانية من الحرب الرسمية ٩ يوليو إلى ١٩ يوليو أهم أحداثها هى:

١- انسحاب الجيش الأردنى من اللد والرملة مما كشف الجانب الأيمن للجيش المصرى.

٢- عدم التعاون بين الجيوش المختلفة ، فقد رفض الجيش العراقى معاونة الفريق المصرى بالقيام بهجوم برى لصالحه واعتذر بحجة عدم توفر القوات اللازمة.

٣- ظهرت سياسة شرق الأردن فى الرغبة فى الانسحاب من القتال ، وترك الجيوش الأخرى تحمل وطأة الهجوم وحدها مع أن موقفها من ناحية الذخيرة التى اتخذتها سبباً لذلك لم يكن يختلف كثيراً عن موقف باقى الجيوش العربية.

وقد قدم الأردن لحكومة مصر طلبًا لمعاونتها فى الحصول على ذخيرة واضطرت مصر أمام الأمر الواقع إلى إجابة حكومة الأردن حتى لا ينسحب جيشها من القتال، وذلك بالرغم من الحاجة الملحة إلى الذخائر التى كانت تعاينها مصر.

٤- صدر أمر إيقاف القتال تنفيذاً للهدنة الثانية فى سعت ١٧٠٠ يوم ١٨ يولية ١٩٤٨م وقد تمكنت القوات المصرية فى آخر لحظة من إعادة احتلال بلدة العسلوج بعد طرد اليهود منها ، وكان فى هذا العمل تأمين لطريق العوجة وبئر سبع والخليل وهو طريق تموين القوات المصرية التى كانت موجودة جنوب القدس.

٥- تم تقسيم مسرح الحرب إلى ثمانية أقسام (قطاعات) كل قطاع يتولى الدفاع عنه مجموعة من القوات لها رئاسة ، وكانت هذه القطاعات أسدود ونيتاليم وقطاع المجدل وقطاع عراق سويدان - الفالوجا - عراق المنشية وقطاع بيت جبرين -

الخليل بيت لحم وقطاع غزة ومنطقة خطوط المواصلات وقطاع بئر سبع - العسلوج الذى تم إنشاؤه بعد إعلان الهدنة الثانية وقطاع رفح والقاعدة المتقدمة وقطاع العريش والقاعدة الأمامية.

ثالثاً : المرحلة الثالثة من الحرب من ١٩ يوليو - ٥ نوفمبر ١٩٤٨م:

قدمت أمريكا مشروعاً وضع على أساس أن الحالة فى فلسطين تعد تهديداً للسلم بمقتضى المادة ٣٩ من ميثاق هيئة الأمم ويأمر الحكومات والسلطات صاحبة الشأن بالامتناع عن عمل عسكرى آخر وذلك طبقاً للمادة ٤٠ من الميثاق. وتحقيقاً لهذه الغاية تصدر هذه الحكومات والسلطات أوامرها بوقف القتال إلى قواتها العسكرية على أن يتم ذلك فى موعد يقرره الوسيط ويشترط عدم تجاوزه ثلاثة أيام بعد قرار المشروع فى المجلس.

ويعلن المشروع أن امتناع أية حكومة أو سلطة عن تنفيذ الأحكام الواردة فى الفقرة السابقة من هذا المشروع يؤدى إلى وجود حالة تهدد السلم بالمعنى الوارد فى المادة ٣٩ من الميثاق ، الأمر الذى يتطلب أن ينظر مجلس الأمن فوراً فى اتخاذ إجراء آخر بموجب الفصل السابع من الميثاق.

ويدعو المشروع أيضاً جميع الحكومات والسلطات صاحبة الشأن، طبقاً للمادة ٤٠ من الميثاق إلى الاستمرار فى التعاون مع الوسيط للمحافظة على السلام وفقاً للقرار الصادر من المجلس يوم ٢٩ مايو ١٩٤٨م.

ويأمر على وجه الاستعجال وقف القتال فوراً وبدون قيد ولا شرط فى مدينة القدس على أن ينفذ بعد إقرار هذا المشروع بأربع وعشرين ساعة ، ويصدر تعليماته إلى لجنة الهدنة لتتخذ الخطوات التى لا بد منها لتنفيذ وقف القتال.

ومع هذا كله فقد أصدر الجيش الأردنى أمراً لقواته يوم ١٤ يولية[1] بإيقاف جميع العمليات الهجومية واتخاذ موقف الدفاع فى جميع المواقع التى يعمل فيها ، وعدم إطلاق النيران إلا إذا هوجمت قواته ، وهذا العمل كان من شأنه بالطبع إعطاء اليهود حرية العمل فى أية جبهة وتمكينه من تركيز قوته ضد أى جيش عربى آخر وانتقال ميزة المبادأة إليه.

ثم صدر أمر إيقاف القتال تنفيذاً للهدنة الثانية فى سعت ١٧٠٠ يوم ١٨ يوليو ١٩٤٨.

لم يعبأ الصهيونيون بشروط الهدنة وخصوصاً بعد أن اطمأنوا إلى أن العرب حافظوا على هذه الشروط ورفضوا أن ينقضوا كلمتهم ، فتوالت اعتداءات اليهود وكثرت حوادث خرق الهدنة حتى أصبحت من المسائل اليومية العادية التى تتزايد ولم تقف عند حد.

وكانت خطة الصهيونيين فى فترة الهدنة الثانية مثل خطتهم فى الهدنة الأولى فعملوا على تقوية حصونهم وجلب معداتهم دون أن يستطيع مراقبو هيئة الأمم أن يضعوا أيديهم على شىء أو يقفوا فى سبيل الإمداد الذى كان يصل إلى اليهود كما كانت تقع الاعتداءات على مرأى ومسمع من مراقبى الهدنة.

ويبدو أن الصهيونيين قد أحسنوا الظن بصمت العرب وتقيدهم بالالتزامات التى قطعت ، فقاموا بالهجوم فى غير موضع ، واخترقوا شروط الهدنة فى جميع الساحات ، وقد تذرع العرب بالصبر واكتفوا بلفت نظر المراقبين وكتابة الشكاوى إلى مجلس الأمن. وانتهى ذلك كله بغير نتيجة فلم يستطع مجلس الأمن أن يفعل شيئاً حيال هذا الاعتداء المتكرر غير توجيه إنذار إلى الطرفين لحملهم على احترام قرار المجلس والتلويح بفرض عقوبات على الجانب الذى ينقض هذا القرار.

---

(١) عبد الله التل : (مذكرات) كارثة فلسطين.

وقد كان من جراء اضطرار العرب إلى قبول الهدنة أن عمد اليهود إلى الإغارة على عدة قرى وبلاد عربية شتتوا شمل أهلها ونهبوا ديارها فبات الأهلون بغير مأوى وغادروا قراهم يهيمون على وجوههم وأصبحت مشكلة اللاجئين تتقدم غيرها من مشكلات فلسطين.

وكذلك استغل اليهود فترة الهدنة الثانية أحسن الاستغلال ، فبانتقال المبادأة بالعمليات إليه أصبح قادراً على تهديد أى جزء من الخطوط المصرية بقوات بسيطة ، وجعل القوات المصرية فى حالة استعداد باستمرار ، أى أنه أمكنه استغلال مبدأ الاقتصاد فى القوة إلى أقصى حد ممكن.

وكذلك أمكنه فى فترة الهدنة أن يحسن مركزه من ناحية الأسلحة والذخيرة والطائرات على وجه الخصوص. وقد نجح فى استيراد كل ما أراده من الخارج ، بعكس حكومات الدول العربية التى لم تستطع الحصول على شىء يستحق الذكر وربما كان مرجع ذلك إلى نجاح اليهود سياسياً فى كسب عدد كبير من الدول ذات القدرة الإنتاجية إلى صفهم ومرونة نظامهم المالى.

ووجود وكلاء لهم فى جميع أنحاء العالم ، وكانت النتيجة الفعلية هى تدفق الأسلحة والطيران فى الوقت الذى اختاروه لابتداء العدوان.

وأمكن لليهود أيضاً استغلال فترة الهدنة فى تدريب قوات كبيرة فى بلدان شرق أوروبا المعضدة لهم ثم نقلهم بعد ذلك إلى فلسطين وهم كاملون التدريب والتسليح والعدة ، وبذلك تمكن اليهود من الحصول على كل ما يريدونه، بينما فشلت الدول العربية فى الحصول على أى شىء عدا أعداد محدودة من أسلحة مستعملة أو قديمة العهد من إيطاليا. وقد كان لتفوق العدو فى الطيران والأسلحة الآلية أثره الكبير فى اختلال توازن القوى لصالح إسرائيل عند بدء العمليات.

خلاصة الموقف حتى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨م:

يمكن تلخيص الموقف حتى الخامس من نوفمبر عام ١٩٤٨م فى أن الإسرائيليين قد استثمروا الهدنتين الأولى والثانية فى الارتقاء بقواتهم والعمل على تدريبها وتسليحها فى البر والبحر والجو ، وبلغ تعداد هذه القوات فى مطلع شهر أكتوبر عام ١٩٤٨م (أى بعد خمسة أشهر فقط على إعلان قيام إسرائيل) ٨٠.٠٠٠ مقاتل.

ولما لم يكن أحد يعرف متى تنتهى الهدنة الثانية إلا أن الفترة استغلت استغلالاً تاماً فقد دربت قوات دفاع إسرائيل وتوسعت وزودت بالمهمات وزادت قوتها بصورة مستمرة، وبحلول شهر أكتوبر وصل تعداد القوات الإسرائيلية إلى ٧٩.٨٨٩ جنديًّا.

وفى يوم ٢١ سبتمبر صار إعلان تأليف حكومة عموم فلسطين فى القاهرة وجعل مركز هذه الحكومة فى غزة.

ثم تطورت بعد ذلك الحوادث تطوراً ترتب عليه حصار الفالوجا وانقطع طريق تموينها من الشرق عندما انسحبت القوات من بيت جبرين إلى الخليل.

بدأت مشكلة جديدة ، هى انسحاب قوات الدول العربية فى الجهات المختلفة نحو حدودها ، الأمر الذى أتاح لليهود فرصة تحويل قواتهم إلى الجبهة المصرية.

وضعت قيادة القوات المصرية خطة لتقصير خطوط المواصلات لتتمكن من جمع احتياطى مناسب ولتحمى أوضاعها بعد أن تركزت عمليات اليهود فى الجبهة المصرية ، وذلك بالانسحاب إلى الخط غزة - بئر سبع، ولكنه بعد أن سقطت بئر سبع وأصبح من المتعذر تحقيق ذلك فعدلت الخطة للانسحاب إلى الخط غزة -

العوجة، وفى يومى ٢٧، ٢٨ أكتوبر تم سحب القوات من أسدود ونيستانيم وتم فى يومى ٣، ٤ نوفمبر إخلاء القوات المصرية الرئيسية من المجدل.

بعد سحب القوات من المجدل تحرج موقف قوات الفالوجا ، حيث استمرت الجهود لحل هذا الموقف سياسياً.

أعيد تنظيم القوات فى الخط الجديد بقصد تعزيز غزة ورفح والعوجة والاحتفاظ بقوة ضارية فى كل قطاع.

المرحلة الرابعة من الحرب الرسمية : ٦ نوفمبر - ١١ يناير ١٩٤٩م:

وقد كان مجمل الحوادث الهامة فى هذه المرحلة كالآتى :

اجتمع مؤتمر هيئة أركان حرب الجيوش العربية فى رئاسة الجيش المصرى فى الساعة ١٩٠٠ من يوم الأربعاء ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨م لبحث الموقف فى فلسطين وانتهى الاجتماع بوضع قرار رفع إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية.

وقد حضرها رؤساء هيئة أركان حرب الجيوش العربية (المصرى - العراقى - اللبنانى - السورى - السعودى - الأردنى) وجيوش الإنقاذ. وقد تناول قرار المؤتمر أربعة أمور خطيرة ، اختص الأول بالمقارنة بين القوات العربية والقوات اليهودية وموقفها، وبحث الثانى موقف الجيوش العربية فى ذلك الوقت، والثالث الأسباب الرئيسية لسوء الموقف ، والرابع والأخير ما كان يجب على الحكومات العربية أن تتقدم به ، وكان نص القرار كما يلى :

"بعد بحث الموقف فى فلسطين من جميع الوجوه استقر رأى رؤساء أركان حرب الجيوش على رفع القرار الآتى إلى اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية للاسترشاد والعمل على ضوئه".

بعد أن ضمن الجيش الإسرائيلى وقوف الجيوش العربية موقفاً سلبياً وأنها لن تشترك فى أى عمليات حربية متضامنة مع الجيش المصرى وركز كل قواته العسكرية، فى جبهة الجيش المصرى للوصول إلى حل سريع ونصر حاسم ينهى الأعمال العسكرية وذلك بتنفيذ الخطة حوريب.

يعتبر الإسرائيليون عملية حوريب (العين ٢٥ديسمبر ٤٨ - ٧ يناير ١٩٤٩م)[1] التى نفذها ايجال الون ومعه ايجال يادين كمدير للعمليات، هى أكبر وأهم حملة فى الحرب باعتبارها أدت إلى مفاوضات الهدنة مع مصر.

وتلخصت الخطة الإسرائيلية فى تحقيق المفاجأة واختيار الأراضى المناسبة للهجوم على القوات المصرية، التى كانت تتمتع بميزة الدفاع الثابت عن مراكز حصينة وهو نوع القتال الذى أثبت فيه المصريون عظمتهم.

وقد هزمت المحاولة الأولى بالهجوم على التبة ٨٦ فى قطاع دير البلح ثم المحاولة الثانية بالهجوم على العسلوج والعوجة وأبو عجيلة ومحاولة الوصول إلى العريش ، ثم قام الإسرائيليون بالمحاولة الثالثة بالهجوم على رفح لقطع طريق مواصلات القوات المصرية.

ولم يتمكن الإسرائيليون من تحقيق نجاح داخل الأراضى المصرية نتيجة لقيام الجيش المصرى بإفشال محاولاتهم داخل الأرض المصرية ، بينما نجحت القوات الإسرائيلية فى الاستيلاء على العسلوج والعوجة.

وانتهت العمليات الحربية بإعلان الهدنة الثالثة فى ٧ يناير وتوقف القتال ٩ يناير ١٩٤٩م.

---

(١) إبراهيم شكيب: حرب فلسطين ١٩٤٨ ، ص ١٠١.

مرحلة المدد اليهودى (١١ نوفمبر ١٩٤٨ - ٢٤ فبراير ١٩٤٩م)

ولقد استغل اليهود موضوع احترام القوات المصرية لتعليمات الهدنة وكان غرضهم تحقيق الأهداف الآتية:

أ- تحسين أوضاع قواتهم ليكونوا فى موقف أنسب عند استئناف العمليات، وذلك بمحاولة احتلال خط دفاعى مواجهاً للخط الدفاعى الذى احتلته القوات المصرية الممتد من المجدل - بيت جبرين - الخليل والذى فصلت به المستعمرات الشمالية عن المستعمرات الجنوبية.

ب- محاولة تموين المستعمرات الجنوبية وذلك إما بالطائرات وإما بقوات التسلل خلال الخط المصرى من المجدل - الخليل أو بعد الحصول على تصريح من لجنة الهدنة.

جـ- الاستعداد لفتح ثغرة فى الخط المصرى المجدل - الخليل عند استئناف العمليات ؛ لإعادة الاتصال بالمستعمرات الجنوبية والاستعداد لتطهير الطريق القدس - بئر سبع - العسلوج.

د- محاولة استطلاع مواقعنا ، وذلك عن طريق قوات التموين أو الطائرات بحجة إرسال تموين للمستعمرات الجنوبية.

وقد استمر الجانب الإسرائيلى فى مخالفة شروط الهدنة حتى وصلت إلى مائة وخمسون مخالفة. وقد انحصرت هذه المخالفات فى إطلاق النيران على أهداف أو أشخاص، وبلغت ٣٣ مخالفة، والهجوم المباشر على البلدان والقرى العربية وبلغت ٢٣ مخالفة، واحتلال قرى وأهداف بلغت ٥ مخالفات، واختراق المجال الجوى للقوات المصرية وبلغت ٣٦ مخالفة ، وحرق محصول الأهالى العرب والاستيلاء على مواشيهم وبلغت ٤٣ مخالفة ، وعمليات استطلاع وتسلل وبلغت أربع مخالفات ، وتكديس أسلحة وذخيرة تلغيم طرق وبلغت خمس مخالفات، وأخيراً اختراق المجال البحرى وبلغت مخالفة واحدة.

المرحلة الخامسة - الهدنة الأخيرة:

وكان مجمل الحوادث كالآتى:

١- فى ١٣ يناير ١٩٤٩م بدأت فى جزيرة ردوس إشراف نائب الوسيط الدولى الدكتور / رالف بانش مفاوضات الهدنة بين الوفدين المصرى والإسرائيلى للوصول إلى هدنة عكسرية فى نطاق قرارى مجلس الأمن الصادرين فى ٤، ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨م وبقيت هذه المفاوضات بين جزر ومد حتى تم الاتفاق نهائياً على المشروع الذى تقدم به الدكتور رالف بانش ووقعت الاتفاقية فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩م.

٢- وبناء على هذه الاتفاقية انتهى حصار الفالوجا وفى يوم ٢٦ فبراير وصلت طلائع قوات الفالوجا إلى غزة ورفح حيث استقبلت استقبالاً حماسياً رائعاً.

٣- وتمت بعد ذلك سلسلة من الاتفاقات بين الدول العربية وإسرائيل فوقعت الهدنة فى ١٣أكتوبر بين الأردن وإسرائيل ثم لبنان فى ٢٣ مارس فسوريا فى يوم ٢٠ يوليو ، وكان قد تم الاتفاق فى ١٤ يناير على سحب القوات الإسرائيلية من الأراضى والقرى اللبنانية التى احتلتها منذ بدء الحرب الفلسطينية.

وقد تضمنت اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل ما مجمله اثنتى عشرة مادة وثلاثة ملاحق وأربع مذكرات فى صورة برقيات.

المادة الأولى: عدم اللجوء إلى القوة فى تسوية مشكلة فلسطين وأن هذه الهدنة خطوة فى سبيل تسوية النزاع المسلح وعودة السلم إلى فلسطين.

المادة الثانية: ألا تقوم القوات المسلحة بأى عمل عدائى ضد الطرف الآخر أو ضد المدنيين أو تتعدى خطوط الهدنة أو تخترق الحدود الدولية أو تمر فى المنطقة الجوية أو البحرية الواقعة على بعد ثلاثة أميال من حدود الطرف الآخر.

المادة الثالثة: تنحسب القوات المصرية العسكرية الموجودة فى الفالوجا فى اليوم التالى للتوقيع على هذا الاتفاق إلى ما وراء حدود مصر وفلسطين تحت رقابة هيئة الأمم المتحدة.

المادة الرابعة: عدم حصول أى طرف على أى ميزة عسكرية فى أثناء الهدنة ولا يسترجع المواقع العسكرية السابق احتلالها أو غير المحتلة الآن، وليس الغرض من الاتفاقية إثبات أو اعتراف أو توكيد أو إضعاف أو إبطال أية حقوق إقليمية أو حراسة أو مطالب أو مصالح يطالب بها أحد الطرفين، بل وضعت الاتفاقية لاعتبارات عكسرية بحتة ونافذة فقط لمدة الهدنة.

المادة الخامسة: خطط الهدنة لا تفسر، بأى حال أى حدود سياسية أو إقليمية وقد وضع دون الإخلال بحقوق أى من الطرفين فى التسوية النهائية للمسألة الفلسطينية ووضع لمنع تجاوز القوات المسلحة لأى من الطرفين فقط.

والمادتين السادسة والسابعة: بخصوص تبين خط الهدنة.

والمادة الثامنة: تجريد العوجة من السلاح وعدم استخدامها للتحركات العسكرية.

والمادة التاسعة: بخصوص تبادل الأسرى.

والمادة العاشرة: بخصوص تشكيل لجنة الهدنة من ثلاثة من كل طرف تحت رئاسة هيئة الأمم المتحدة والرئاسة فى العوجة ، ثم تفسير اختصاصاتها فى حل شكايات أى من الطرفين.

والمادة الحادية عشر: ألا يخل أى حكم من أحكام هذه الاتفاقية، بأى حال من الأحوال بالحقوق والمطالب والموقف الخاص بأحد الطرفين فيما يتعلق بالحل السلمى النهائي للمشكلة الفلسطينية.

والمادة الثانية عشر: بخصوص سريان الاتفاقية أو وقف تطبيقها.

واعترف مجلس الأمن بهذه الاتفاقية فى ١١ أغسطس عام ١٩٤٩م كخطوة لتحقيق السلم فى فلسطين، ومن الواضح أن إسرائيل قد فرضت من خلال نصوص هذه الاتفاقية على العرب مبدأ التقسيم واستطاعت أن تقفز بمساحة الأراضى التى تضمها إلى ٧٧.٤٪ من إجمالى مساحة فلسطين بعد أن كانت ٥٦.٤٧٪ فى قرار الأمم المتحدة الذى صدر فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م وبعد أن كان مخصصاً للعرب فى هذا القرار ٤٢٪ من مساحة الأراضى تناقصت هذه النسبة بعد اتفاقيات الهدنة لتصبح ٢٤٪ للضفة الغربية، ١.٣٪ لقطاع غزة الذى عهد لمصر بإدارته (خريطة رقم ٣ ب).

نتائج الحرب بالنسبة إلى العرب واليهود:

بتوقيع الهدنة بين إسرائيل والدول العربية وتكوين الدولة اليهودية تم ترتيب منطقة الشرق الأوسط بولادة دول جديدة غريبة عنه ، وقد كان لحرب عام ١٩٤٨م النتائج التالية:

١ - مشكلة اللاجئين:

تعتبر مشكلة اللاجئين من أهم وأخطر وأعقد المشكلات التى تمخضت عن حرب عام ١٩٤٨م. وبالتالى ظلت مصدراً للنزاع المستمر بين العرب وإسرائيل والصخرة التى تحطمت عليها جهود السلام سواء التى بذلت بواسطة لجنة التوفيق الثلاثية بعد الحرب فى لوزان أو التى تلت بعد ذلك.

ويرجع خروج العرب من فلسطين إلى عام ١٩٣٦م إبان الثورة الفلسطينية الكبرى، ثم توقفت فى أثناء الحرب العالمية الثانية لتعود على نطاق أوسع بعدها وخصوصًا إبان الفترة التى أعقبت قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م لتصل إلى ذورتها خلال شهرى أبريل ومايو عام ١٩٤٨م وخلال الهدنتين والهجمات الإسرائيلية فى النقب والخليل فى أكتوبر ١٩٤٨م والعقبة فى مارس ١٩٤٩م ودفعهم تحت تهديد القوة إلى مغادرة البلاد.

وواضح أن استخدام إسرائيل للقوة العسكرية والحرب النفسية آنذاك لإرغام أكبر عدد من العرب على ترك ديارهم كان من شأنه توفير الأراضى والمبانى المطلوبة بإلحاح للمهاجرين اليهود الجدد والتقليل من تهديدات عرب فلسطين لخطوط المواصلات الإسرائيلية بالإضافة إلى إضعاف الدول العربية المجاورة والتعرض لمجهودها الحربى بإرغامها على مواجهة مشكلة كبيرة اقتصادية وإدارية غير متوقعة من اللاجئين ، وبالتالى توفر ورقة مساومة لإسرائيل يمكن أن تستغلها مستقبلاً عند أى تسوية سياسية.

ومن ثم ترتب على حرب ١٩٤٨م تغيير ديموجرافى تمثل فى إعادة توزيع للسكان على نطاق واسع ، فنزح ما بين ٧٠٠ ألف فلسطينى إلى ٨١٥ ألفًا [١] إلى ٩٠٠.٠٠٠ [٢] وأصبح أكثر من ٧٠٪ من سكان فلسطين العرب بلا مأوى وتحولوا إلى لاجئين توزعوا فى الأردن (حوالى ٦٠٪) وفى قطاع غزة (٢٠٪) وفى سوريا ولبنان (٢٠٪) وقد بلغ عدد أفراد الشعب العربى فى فلسطين الذين هاجروا إلى خارج ديارهم ١.٠١٠.٦٧٩ فى أبريل عام ١٩٤٩م [٣] ووفق الإحصاء الذى أجرته ذات الهيئة فى يونيو عام ١٩٥٨م بلغ عددهم ٩٦٣.٩٥٨ لاجئاً موزعين كالآتى : فى لبنان ١٠٢.٢٩١ لاجئاً، وفى سوريا ٩٦.٥٧٣ لاجئاً، وفى الأردن ٥٣٩.٥١٩ لاجئاً، وفى قطاع غزة ٢٢٥.٥٧٥ لاجئاً، نشأ عن هجرتهم بالضرورة مشكلات اقتصادية وسياسية واجتماعية ودينية وقانونية معاً.

وفى ديسمبر عام ١٩٤٨م وصل عدد السكان فى إسرائيل إلى ٨٦٧ ألف نسمة منهم ٧٥٩ ألف يهودى و ١٠٨ ألف عربى وفى نهاية عام ١٩٤٩م بلغ عدد سكان إسرائيل ٩٦٤ ألف نسمة منهم ٨٧.٢٪ يهودى، ١٢.٨٪ عربى .

---

(١) حامد أحمد صالح (لواء): اليهود حول ماضيهم وحاضرهم، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٨٧.

(٢) جاليتا نيكيتا: دولة إسرائيل، خصائص التطور السياسى والاقتصادى، دار الهلال، القاهرة، ص ٤٦.

(٣) إبراهيم شكيب: المرجع المشار إليه ، ص ٤٦٧.

وكان يسكن المنطقة الشمالية فى الجليل قبل إنشاء إسرائيل ٨٤٪ عرب، ١٦٪ من اليهود فبلغ التعداد عام ١٩٥١م فى نفس المنطقة ٤٣.٥٪ عرب، ٥٦.٥٪ يهود وفى المنطقة الجنوبية بئر سبع كان عدد السكان اليهود ٢٪ فارتفع عام ١٩٥١م إلى ٧٩٪، ٢١٪ عرب كما كان يسكن حيفا عام ١٩٤٨م، ٣٨.١٪ من العرب تناقصوا عام ١٩٦١م إلى ٦٪[1].

٢- المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل:

بفقد العرب للمعركة العسكرية فى فلسطين عام ١٩٤٨م وتوقيعهم لاتفاقيات الهدنة الدائمة مع إسرائيل أضحى من البديهى تحويل كل اهتمامهم إلى الإجراءات الاقتصادية ضدها وذلك بمقاطعتهم اقتصادياً لها.

وكانت تلك المقاطعة التى نظمتها الجامعة العربية بعد قيام إسرائيل موجهة فى بداية الأمر ضد التجارة الإسرائيلية مع الدول العربية ، ثم اتسعت تدريجياً لتشمل جميع أوجه النشاط.

٣- حق المرور فى الممرات المائية:

إذا كانت الهدنة الدائمة قد جمدت الجبهة من الناحية العسكرية فإن العرب ظلوا يعتبرون حالة الحرب قائمة من الناحية النظرية، وبناء عليه نفذت سياسة المقاطعة الاقتصادية وحظر على السفن الإسرائيلية استخدام الممرات المائية التى تقع فى المياه الإقليمية العربية. وفى مصر تكونت محكمة للغنائم البحرية بالإسكندرية ثم أخرى للغنائم التى يعثر عليها فى الطائرات، كما صدر قانون يحظر التعامل مع الأشخاص أو الهيئات التى لها نشاط اقتصادى مع إسرائيل.

---

(١) Catten, Henry, Plastine the Road to peace, London Longman.

ولإقفال الخليج فى وجه الملاحة الإسرائيلية تم الاتفاق مع حكومة السعودية التى تقع شواطئها على الطرف الآخر من الخليج ، وفى أوائل سنة ١٩٥٠م دخلت القوات المصرية جزريتى "تيران" ، و"صنافير"، بالاتفاق مع الحكومة السعودية.

لا شك أن غلق مضايق تيران فى وجه الملاحة الإسرائيلية قد أصاب اقتصادها بأضرار بالغة. ذلك لأن مخططى الاقتصاد الإسرائيلى عولوا على إيجاد أسواق للصناعات الإسرائيلية فى أقطار أسيا وأفريقيا المختلفة وعلى مصادر البترول الإيرانى بوجه خاص حيث كان يرد ٩٠٪ من احتياجات إسرائيل البترولية [١] - آنذاك - من ميناء عبدان بإيران مما اضطرها إلى شراء ما تحتاج إليه من بترول من أسواق نائية وبأسعار مرتفعة.

٤ - تغيير حدود وظهور كيانات جديدة فى المنطقة:

تمخضت الحرب عن تعديلات كبيرة فى مشروع التقسيم الذى أقرته الأمم المتحدة فلم تظهر الدولة العربية التى نص عليها هذا المشروع إلى عالم الوجود وقسمت أراضيها بين إسرائيل والأردن ومصر طبقاً لاتفاقيات الهدنة ، فحصلت إسرائيل على ٢٤٠٠ ميل مربع ضمتها إلى الجزء الذى خصص لها فى قرار التقسيم الذى بلغت مساحته ٥٦٠٠ ميل مربع وحصلت شرق الأردن على ٢٢٠٠ ميل مربع ضمتهم رسمياً إلى أرضها قبل التوقيع على اتفاقية الهدنة الخاصة بها ، وتحولت بذلك إلى المملكة الأردنية الهاشمية ، وذلك بأن دعا الملك بعض أنصاره فى مؤتمر بأريحا أول أكتوبر ١٩٤٨م [٢] وحيث طالب المؤتمرون بالانضمام إلى المملكة، ووضع مجلس الوزراء مشروعاً لتوحيد الضفتين، ثم وافق عليه مجلس الأمة الذى كان يمثل الضفة الشرقية وحدها، وذلك فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٨م.

---

(١) حامد سلطان : مشكلة خليج العقبة، ص ١٩-٢٢.

(٢) إبراهيم شكيب: المرجع المشار إليه، ص ٥١٧.

أما مصر فقد احتفظت بإدارتها على قطاع غزة ومساحته ١٣٥ كيلو مترا مربعاً دون أن تضمه إلى الأراضى المصرية ، ومن ناحية أخرى تحولت الحدود الدولية لفلسطين مع سوريا ولبنان إلى خطوط هدنة بينهما وبين إسرائيل أما القدس التى كان ينص مشروع التقسيم على أن تكون مدينة دولية ، فقد قسمت بين إسرائيل والأردن نتيجة اتفاق بينهما فى محادثات سرية بين الزعماء الصهاينة والملك عبد الله بدأت فور الموافقة على قرار التقسيم واستمرت حتى نهاية عام ١٩٥٠م وأنشئت عدة مناطق صغيرة منزوعة السلاح بين إسرائيل ومصر والأردن وسوريا.

٥- اتخاذ إسرائيل مبدأ الأمر الواقع كإستراتيجية لها:

لقد كان من أهم نتائج هذه الحرب هو اقتناع اليهود بمبدأ الأمر الواقع والتفوق العسكرى بأية وسيلة وأن الهيئات الدولية إذا لم تخدم أهداف إسرائيل فلا التزام بأى قرار يصدر منها وأن سياسة الأمر الواقع والتفوق والاعتماد على حليف قوى هو هدف إستراتيجى هام يجب أن لا تحيد إسرائيل عنه ، ومثال ذلك ما تم عند تطبيق الهدنة الأولى والثانية وكيف فوضت لصالح إسرائيل بمساندة حليف قوى هو الولايات المتحدة الأمريكية وإمكان خرق هذه الهدنة لمصلحة إسرائيل ، وكيف استفادت إسرائيل تماماً من هاتين الهدنتين ، وكذلك فإن اتفاقيات الهدنة تمثل مثالاً قوياً على سيادة مبدأ الأمر الواقع.

كذلك فإن إسرائيل استطاعت أن تفرض التقسيم وأن تضيف إليه أرض أخرى عن طريق الاعتداءات المتكررة حتى استولت على ٧٧٪ من مساحة فلسطين بينما كان التقسيم المخصص لها طبقاً للقرار لا يتجاوز ٥٥٪ وهذه إضافة إقليمية تم الاستيلاء عليها بقوة السلاح بعد أن كان مخصصاً للعرب ٤٢٪ من مساحة الأراضى وتناقصت هذه النسبة بعد اتفاقيات الهدنة لتصبح ٢١.٣٪ للضفة الغربية و١.٣٪ لقطاع غزة الذى عهد لمصر بإدارته.

٦- قصور نظام الهدنة:

إذا نظرنا فى تطبيق اتفاقيات الهدنة الدائمة نلاحظ أن كلا الطرفين لم يكونا راغبين فى تنفيذها، فإسرائيل تعد للتوسع والعرب ينتظرون فرصة أخرى لتحرير الأراضى السلبية؛ ولذلك فإن الخلافات التى نشبت بين العرب والإسرائيليين حول تفسير معنى نصوص اتفاقات الهدنة أخذت فى التفاقم وأدت فى النهاية إلى شن غارات وهجمات انتقامية تحولت فيما بعد إلى حرب شاملة ، فالعرب من جانبهم كانوا يؤكدون على الفقرات التى نصت على أنها وضعت وأمليت أساساً لاعتبارات عسكرية وأنها ستظل سارية المفعول حتى تحقق تسوية بين الأطراف وأنه لم يقصد بها إلغاء أى حقوق وصاية أو أى مطالب أو مصالح يطالب بها طرف من الأطراف فى أرض فلسطين. وأن خطوط الحدود التى أقيمت بحكم هذه الاتفاقات لا تعتبر بأى حال حدود سياسية أو إقليمية وأخيراً أنها وضعت دون الإضرار بحقوق أو مطالب أو مواقف أى طرف من الأطراف فيما يتعلق بالتسوية النهائية لمشكلة فلسطين.

ومن ثم فليس من حق أى طرف أن يزعم قانوناً بسلطته المطلقة عن النشاط المدنى فى المناطق منزوعة السلاح ولذلك تكررت الاشتباكات عبر الخطوط.

وقد ثبت قصور نظام الهدنة فى القطاع السورى لسببين رئيسيين[1]:

الأول: هو عدم التزام إسرائيل بالتنظيم الخاص بالمنطقة منزوعة السلاح.

والثانى: هو متاخمة الحدود للبحيرات ومرورها عبر حوض نهر الأردن وفروعه وما يترتب على ذلك من ضرورة وجود اتفاق لتنظيم توزيع المياه.

(١) صلاح العقاد: المشرق العربى المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠.

٧- ضعف التنسيق والتعاون العربى:

لقد جسدت الحرب أمرين بصورة واضحة ، الأول هو عدم قدرة العرب على التنسيق أو التعاون فيما بينهم ولو مرحلياً حتى أمام عدو مشترك واختلاف أهداف زعماء العرب ، فبينما الملك عبد الله تؤازره العراق يعمل على ضم المناطق العربية من فلسطين ، كانت مصر ومعها السعودية تعملان جاهدتين لمنع هذا الضم ، كما أن هذا الانقسام بين العرب انتقل بطبيعة الحال إلى جامعة الدول العربية التى كانت وما زالت تخطو خطواتها الأولى لتجميع ما يمكن أن يجمع العرب لمزيد من القوة والتعاون وأصبحت قرارات جامعة الدول العربية غير ملزمة وغير قادرة على تنفيذها.

٨- تغيير الحكام العرب وقيام الثورات والانقلابات العسكرية:

إن هزيمة العرب فى حرب فلسطين قد زعزعت العالم العربى وأدت إلى قيام الانقلابات والثورات العسكرية وكانت أول الدول التى قامت بها هى سوريا[1] لأن الهزيمة قد أدت إلى سقوط رئيس الوزراء جميل مردم وتولى خالد العظيم الحكم محله غير أن الإجراء لم يكن كافياً لتهدئة غضب الشعب والجيش الذى كان يعتقد أنه كان ضحية الخيانة ، وفى الثلاثين من مارس عام ١٩٤٩م ألقى الزعيم حسنى الزعيم بتأييد من حزب البعث العربى وحزب الشعب القبض على رئيس الجمهورية شكرى القوتلى ورئيس الوزراء وعدد من النواب وأعلن الأحكام العرفية وكان سخط الشعب قبل الانقلاب قد بلغ حداً كبيراً وتم هذا الانقلاب دون إراقة دماء ودون حوادث.

ثم بعد شهر قام انقلاب آخر بقيادة سامى الحناوى وتتابعت الانقلابات العسكرية فى سوريا.

---

(١) قامت فى سوريا العديد من الانقلابات لعدم استقرار الأوضاع السياسية فيها.

أما فى مصر فكانت الحرب الفلسطينية بالنسبة إلى عدد كبير من الضباط وبخاصة الضباط الأحرار تجربة من نوع مرير، وكان البعض منهم قد ذهب إلى الجبهة يشوبه حماس متقد ثم عام وقد انزاحت عنه الأوهام وأضحى على قدر أكبر من الوعى والنضج. فقد كانت كل الأخبار الحماسية الصادرة من وسائل الإعلام بالعاصمة القاهرة عن كيفية احتياج القوات المصرية إلى المواقع الإسرائيلية. بينما الحقيقة العارية تؤكد أن تسليح الجيش لم يكن كافياً كما لم تكن له قيادة بالمعنى المتعارف عليه لمفهوم القيادة. كما أن أخبار الأسلحة الفاسدة[1] قد شاعت وتوجهت أصابع الاتهام إلى الملك. كما أن جيب الفالوجا الذى وجد الكثير من الضباط الأحرار أنفسهم محاصرين به قد ساهم فى امتصاص جزء من الحكم العام على نتيجة حملة فلسطين.

كل هذا أدى إلى تقوية تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٣م وعزل الملك وغير شكل الحكم فى مصر.

وقد اغتيل كل من رياض الصالح رئيس وزراء لبنان والملك عبد الله ملك المملكة الأردنية فى عام ١٩٥١م.

تعليق:

أولاً: كان موضوع اللاجئين الفلسطينيين من أهم نتائج الحرب عام ١٩٤٨م وقد كان من المنتظر من جامعة الدول العربية والدول العربية منذ اليوم الأول بعد انتهاء الحرب وعقد اتفاقات الهدنة إثارة هذا الموضوع بكل جدية، فى جميع المحافل الدولية خصوصًا أنه صدر من هيئة الأمم المتحدة القرار رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٩ الخاص باللاجئين والذى أعطاهم حق العودة أو التعويض المالى وترك هذا القرار

(١) ثبت فى محكمة الثورة التى عقدت فى نوفمبر عام ١٩٥٣ براءة المتهمين فى قضية الأسلحة الفاسدة (إبراهيم شكيب: المرجع المشار إليه، ص ٢٨٢ – ٥٠٨).

دون تداوله وإثارته والسعى وراءه فى الوقت المناسب ، وترك اللاجئين موزعين فى الدول العربية وفى أنحاء العالم ذلك فى الوقت الذى كان من المناسب أن يعرض هذا الموضوع والدفاع عنه وآثار الحرب ما زالت ماثلة أمام العالم.

ثانياً: كان من المتوقع بعد انتهاء الحرب يعلن عن قيام الدولة الفلسطينية فى الأرض المتبقية من فلسطين وتشكل من الضفة وقطاع غزة ، ولكن أحلام إنشاء الممالك أفشل هذه الخطة الرئيسية التى لو كانت تمت لكان لمشكلة الشرق الأوسط شكل ثان وخففت كثيراً مما أصاب دولها وعلى الأخص مصر من المشكلات السياسية والعسكرية والاقتصادية وقد تم هذا بالرغم من صدور قرار فى ١٣ أبريل ١٩٥٠م بعدم جواز ضم أى جزء من أراضى فلسطين وكان هذا موجهاً ضد الإجراءات التى اتخذها الملك عبد الله لضم الضفة الغربية. ورغم ذلك ضم الملك عبد الله الضفة الغربية.

ثالثاً: تم فى مارس عام ١٩٥٠م التوقيع على معاهدة دفاع مشترك وتعاون اقتصادى تضمنت ١٣ مادة وملحقاً عسكرياً ولم يتم توقيع عليه لجميع الدول إلا فى ١٦ فبراير ١٩٥٢م ، وإذا كان هذا الميثاق قد ظل بدون تنفيذ فعلى لكان ذلك دليلاً على أن الدول العربية لم تستنفذ بين درس حرب فلسطين عندما دخلت هذه الحرب بقوات متفرقة تجمعها قيادة واحدة.

أصبحت قضية فلسطين يدير شؤونها جامعة الدول العربية والزعماء العرب ولم يترك للشعب الفلسطينى الفرصة لحصوله على إمكانية الحل بواسطة أبناء الشعب الفلسطينى كما أصبحت فلسطين قضية يتاجر بها الزعماء العرب واهتمت الشعارات.

الموقف فى منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب:

لقد كانت حرب ١٩٤٨ من المتغيرات الرئيسية الإقليمية والدولية بالمنطقة والتى كان لها تأثير كبير على الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط ومواقف القوى

الدولية حيالها وظهرت فى المحافل الدولية باسم مشكلة الشرق الأوسط ، ولعل من أهم أسباب هذه المشكلة هو أن عوامل استمرار الصراع العربى - الإسرائيلى ظلت سائدة ومستمرة فى المنطقة وتتلخص أهم هذه العوامل فيما يلى:

١ - عدم إقرار الصلح بين العرب وإسرائيل.

٢ - قصور نظام الهدنة.

٣- حق المرور فى الممرات المائية والمقاطعة الاقتصادية لإسرائيل.

٤ - تغيير حدود الدولة اليهودية كما جاء فى قرار التقسيم.

٥ - ظهور مبدأ الأمر الواقع وفرضه بالقوة ونجاحه فى إنشاء إسرائيل.

وبجانب ذلك كان لتلك الحرب تأثير فى تكوين الفكر العسكرى السياسى الإسرائيلى ، ولعل أهم دعائمه هى:

١ - مبدأ القوة والتوسع ، وذلك نتيجة للانتصار والشعور بالقوة بمساعدة الغرب والاتحاد السوفيتى.

٢- الاتجاه إلى إقامة علاقات قوية مع دول الغرب والاتحاد السوفيتى لاستدامة الحصول على المساعدة العسكرية والاقتصادية والسياسية وإن كان الاتجاه أصبح يميل إلى الغرب نتيجة لما تقدمه من مساعدات خلال الحرب ولقوة تأثير القوى الصهيونية فى دول الغرب لصالح إسرائيل.

٣- العمل على عدم اتحاد العرب والمحاولة للتفريق بينهم لما تسبب تلك الوحدة من خطر على دولة إسرائيل.

أما الدول العربية فقد خرجت من الحرب منهكة القوى وقد وضحت الظواهر التالية فيما بينهم:

١ -الخلافات وعدم التنسيق وعدم التعاون بين الدول العربية.

٢-الصراعات داخل بعض الدول العربية أضعفتها وساعدت على قيام الثورات والانقلابات.

٣-استمرار خضوع غالبية الدول العربية للنفوذ الغربى المساند لإسرائيل ومع ذلك تزايد العداء للغرب بين الشعوب العربية.

٤-الضعف العسكرى والسياسى بجانب عدم الصلح وعدم الحسم مع إسرائيل ، مما أدى إلى استمرار المشكلات واضطراب الأحوال فى المنطقة.

ولهذا فقد كانت الظاهرة المميزة فى منطقة الشرق الأوسط هى استمرار عدم الاستقرار فى المنطقة لبعض دولها ، واستمرار الضعف والتفكك بين دولها العربية مع قيام دولة جديدة لإسرائيل فى المنطقة بمساعدة الغرب وجد فيها ما يمكن أن يحقق أطماعه فى الشرق الأوسط وفقاً للخط الإستراتيجى المتصل ، وهو العمل على إبقاء المنطقة ضمن نفوذه والمعاونة فى تنفيذ هدفه الإستراتيجى واحتواء الاتحاد السوفيتى ومحاصرته فى الحرب الباردة للأهمية الإستراتيجية لموقع الشرق الأوسط فى ذلك المخطط ، ولهذا فقد أصدرت الدول الثلاثة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا تصرح عام ١٩٥٠م وهو معني بعدم الإمداد بالسلاح والمعدات للدول التى ما زالت فى حالة حرب ، وينطلق على الدول العربية ولم يطبق على إسرائيل مما زاد من إضعاف الدول العربية.

الفصل الرابع

الجولة الثانية ١٩٥٦م من الصراع العربى الإسرائيلى

حرب العدوان الثلاثى ١٩٥٦م:

تتميز فترة الخمسينيات من القرن الماضى بالتغيرات الإقليمية والعالمية ، فقد بدأت الدول العربية فى الاستقلال من المحيط إلى الخليج عدا إمارات الخليج العربى والجنوبى اليمنى والجزائرى ، وبدأت الحرب الجزائرية لطرد الفرنسيين من الجزائر وشهدت هذه الفترة أيضاً الثورات العسكرية فى مصر وسوريا والعراق ، وتولت مصر قيادة الأمة العربية بإنعاش حركة القومية العربية ومقاومة المشروعات الغربية المتمثلة فى الدفاع المشترك والذى رفض من قبل من حكومة النحاس وكذلك محاربة حلف بغداد وعدم توسعه مع بداية إقامة علاقات أوثق مع الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد مع استمرار الصراع العربى الإسرائيلى بالرغم من عقد الهدنة ، وأصبح للعرب هدف واحد هو طرد إسرائيل من أرض فلسطين خلال تلك المرحلة ، وشاب العلاقات العربية مد وجزر من صداقة إلى انقسام إلى مؤتمرات ولكن قبل توضيح فترة الجولة الثانية من الصراع العربى الإسرائيلى أود أن أؤكد على أمرين ظلت الأقلام والشعارات تنطلق بهما ، وهما الأمن القومى والمجال الحيوى للدولة.

أما الأمن القومى فالمفاهيم الرئيسية له تتحدد فى البنود التالية:

(أ) البقاء والمحافظة على الذات ، ويقصد به السعى الدائم للدولة للتمسك بما تملكه بدون تفريط من أي جزء منها.

(ب) الرفاهية والازدهار ، ويقصد بهما تحقيق الرفاهية لمجموع الشعب من خلال معدلات نمو اقتصادى عالى مع عدالة اجتماعية.

(جـ) الحرية ، ويقصد بها حرية الوطن والمواطنين وتمتد إلى حرية الإرادة الوطنية فى اتخاذ قرارها والحرية للمواطنين فى الداخل ، وذلك عن طريق استقرار نظام سياسى حر وعادل مع تماسك الجبهة الداخلية.

فأي عامل يؤثر على هذه البنود الثلاثة سواء داخليًا أو خارجيًا وهو ما يمس الأمن القومى للدولة أو الأمة أو المجال الحيوى للدولة فهو المناطق المرتبطة بالدولة جغرافيًا واقتصاديًا وسكانيًا وطبيعيًا ويحقق الأمن القومى لهذه الدول ويحق أن تكون موضوعات الأمن القومى للدولة التى حدد عليها هذا المجال الحيوى ذات أهمية قصوى بالنسبة إلى الدولة وتمثل موضوعات ترتبط بنجاة أو موت الدولة وكذلك ازدهارها ورخائها وتمثل تهديداً طبيعيًا على أمنها وسلامتها.

اتفاقية السودان:

بعد مفاوضات بين بريطانيا ومصر لمدة تقل عن أربعة أشهر وقعت كل منهما اتفاقاً حول السودان وذلك فى يوم ١٣ فبراير ١٩٥٣م يعطى السودانيين حقهم فى تقرير مصيرهم، وقد عملت القاهرة على لم الشمل السودانى فى حزمة واحدة ، ثم جرت الانتخابات فى السودان كله وجاءت بجمعية تأسيس حققت فيها الأحزاب الصديقة لمصر انتصاراً كاملاً ، ولكن لبعض الأخطاء من القاهرة واختفاء الرئيس محمد نجيب من صدرة الحكم والذى كان له شعبية كبيرة ؛ اختارت الجمعية التأسيسية الاستقلال الذى أعلن الأول من يناير عام ١٩٥٦م وهناك نقطتان هامتان على تلك الاتفاقية وهما:

١- لم يحدد بشكل واضح حدود مصر المذكورة فى اتفاقية ١٨٩٩م والتى تحدد الحدود الجغرافية بخط عرض ٢٢° وبذلك تلغى الحدود الإدارية ، وكانت أغلقت ملف حلايب الذى ظل شوكة فى جانب العلاقات المصرية السودانية.

٢- بعد توقيع الاتفاقية واختيار السودان الاستقلال ولت مصر وجهها نحو الشرق ولم تقم بأي اهتمام نحو الجنوب كسابق العصر الملكى ، وأصبحت علاقة عامة وأصبح التركيز للسياسة المصرية على القومية العربية واستغلال دولها ودول القارة الإفريقية ، بالرغم من أن السودان هى من أهم مناطق الأمن القومى المصرى ، وبذلك حدث فراغ كان هدفاً لإسرائيل أن تتدخل فيه خصوصًا فى جنوب السودان والتى كان العون الرئيسى للجانب السودانى الجنوبى فى الحرب الأهلية الأولى ، والتى كانت تسعى من خلالها إسرائيل بالتعاون مع إثيوبيا بتنفيذ إستراتيجية "الحلف" الذى كان هدفه عزل مصر عن دورها الإفريقى والوصول إلى مصادر النيل وجذب انتباهها عن القضايا العربية.

القضايا العربية:

اتفاقية الجلاء عن مصر:

وفى ٢١ أكتوبر عام ١٩٥٤ نجحت مصر فى أن توقع مع بريطانيا اتفاقية تنص فيها على الجلاء عن القطر المصرى بعدما استخدمت الثورة المفاوضات وأعمال العدائيين الناجحة فى القتال مما أرغم بريطانيا على الجلاء عن مصر واعتبرت نصرًا لمصر وللثورة.

الموقف العربى:

تأثر الموقف العربى خلال الخمسينيات بالتغيرات الدولية والإقليمية وكان لها تأثير قوى ، ونجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان لها تأثير إقليمى كبير على الحالة السياسية والإستراتيجية ، وبالتحليل للموقف العربى نجد الآتى:

١- تتزايد روح العداء للدول الغربية وعلى الأخص بريطانيا العظمى وفرنسا ، حيث حملت الدول العربية هاتين الدولتين المسؤولية الأولى لما حدث من فشل للدول العربية فى هذه الحرب ؛ ولهذا بدأت معظم الدول العربية فى قطع روابطها وإلغاء

معاهداتها مع بريطانيا[1]. والمطالبة بالجلاء التام للجيوش الأجنبية لهاتين الدولتين، كما أن مساعدة الغرب لدولة إسرائيل فى أثناء حرب ١٩٤٨م كان من العوامل التى جعلت استجابة الدول العربية لمخططات الغرب ضعيفة.

٢- كان لبعد الولايات المتحدة الأمريكية عن الماضى الاستعمارى فى الشرق الأوسط ومناداتها بشعار الحرية بجانب إخفاء الدور الرئيسى لها فى قيام دولة إسرائيل فى الفترة الأولى من الخمسينيات والعمل على وضع بريطانيا كمسؤول أول لقيام دولة إسرائيل بجانب أن السياسة الأمريكية حاولت تقديم الصداقة والمعاونة لدول الشرق الأوسط وعلى الأخص المملكة العربية السعودية وكذلك مصر ؛ مما جعل الولايات المتحدة وجهًا مقبولاً من الدول العربية فى هذه الفترة من أوائل الخمسينيات.

٣- خططت الولايات المتحدة الأمريكية إستراتيجياتها على أساس وراثة الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية والإحلال محلها فى الشرق الأوسط.

٤- حاول الاتحاد السوفيتى النفاذ إلى الشرق الأوسط محاولاً اختراق الحصار الغربى له معتمداً على أسلوب أيديولوجى ، وذلك بتكوين الأحزاب الشيوعية وخطب ود إسرائيل وهى الطريقة التى لم تنجح ، حيث أن الولايات المتحدة هى التى نجحت فى جذب إسرائيل لتدور فى فلكها.

٥- تميزت هذه الفترة بتزايد الشعور الوطنى فى دول الشرق الأوسط والنزعة الاستقلالية فقد قامت الثورات فى شمال أفريقيا فى كل من تونس والمغرب ، وأعقب ذلك ثورة الجزائر ثم استقلال ليبيا فى ٢٤ ديسمبر١٩٥١م ثم كان انقلاب مصدق الذى قام به ضد التدخل البريطانى وشركات البترول البريطانية، مما هدد المصالح الغربية فى منطقة الشرق الأوسط[2]، مما أدى إلى

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع المشار إليه ، ص ٩١ - ٩٣.

(٢) محمد سعد زايد: المشكلات الحديثة فى الشرق الأوسط، دار الكتاب العربى، مصر، ١٩٥٥، ص ١٤١.

التدخل الأمريكى السافر للقضاء على هذا الانقلاب وإعادة إيران إلى النفوذ الغربى ، وأصبحت من ذلك الوقت الولايات المتحدة الأمريكية هى المؤثر الرئيسى فى السياسة الإيرانية وأصبحت إيران تمثل عنصراً رئيسياً منفذاً للإستراتيجية الغربية (الأمريكية) فى الشرق الأوسط.

٦- كانت سياسة المحاور بين الدول العربية واستقطاب الدول الغربية لهذه المحاور العربية هى السمة الرئيسية لسياسة الدول العربية وكان على رأس هذه المحاور المحور الهامشى (العراق ـ الأردن) والمحور الآخر المملكة العربية السعودية ، وقد انضمت مصر إلى السعودية وذلك فى ظل مصر الملكية ومصر الجمهورية ، وأصبحت سوريا ميدانًا للجذب والشد لأن من يسيطر على سوريا أو يتمتع بصداقتها يمكن له أن يعزل الآخر وكان أساس إستراتيجية الغرب هو النفاذ إلى هذه المحاور.

٧- استخدام القضية الفلسطينية شعارًا للمتاجرة بين الأحزاب العربية والدول العربية بدون إيجاد الحلول العملية لحل هذه القضية ، مما أدى إلى جمود حل القضية الفلسطينية.

٨- ظهور ونمو شعار الوحدة العربية والمناداة به والعمل على تحقيق ذلك الهدف بالوحدة الاندماجية بين الأقطار العربية ، مثل محاولة العراق لتحقيق مشروع الهلال الخصيب ومشروع سوريا الكبرى ثم الوحدة بين سوريا ومصر.

وقد كانت الوحدة العربية فى خلال هذه الفترة قضية عاطفية أكثر مما هى فكرة سياسية محددة تماماً ، وليس لدولة أو زعيم أو حزب أن يدعى أنه بطلها المطلق على أن يوجد معناها فى محض السياسات المتنافسة للدول المتصارعة من أجل إحراز زعامة العالم العربى.

٩- ظهور أحزاب قوية ذات تأثير جماهيرى وأيديولوجى مثل حزب البحث فى سوريا والعراق ، وكذلك الحزب القومى السورى فى سوريا ولبنان، كما أن

الأحزاب الشيوعية أصبحت أكثر تنظيمًا وقوة وتولاها مواطنوين من الدول العربية ، وكان الحزب السورى والعراقى والسودانى من أقوى الأحزاب الشيوعية ، وبجانب ظهور هذه الأحزاب كانت الأحزاب التقليدية فى البلدان العربية تلفظ أنفاسها ومؤيديها من الجماهير، وبجانب ذلك كانت تجربة الحزب الواحد ظاهرة أخذت فى النمو وبالذات فى مصر التى بدأت بجبهة التحرير ثم الاتحاد القومى.

١٠- كانت سوريا مركزًا للضغط فى الشرق الأوسط لكل القوى المحلية والإقليمية والعالمية حيث توالت الانقلابات العسكرية لثلاث مرات على سوريا ، وحاولت كل من العراق والأردن (المحور الهامشى) ضم سوريا إلى مشاريعهما وهى الهلال الخصيب أو سوريا الكبرى ، واستخدم فى ذلك الأموال والضغوط السياسية والحشود العسكرية للعراق عام ١٩٥٥م بجانب ذلك قامت تركيا بالتهديد العسكرى لسوريا بحشد قواتها على حدودها الشمالية مما حدا بمصر بإرسال قوات عسكرية لمعاونة سوريا فى توسعها وكان تدخل النفوذ السوفيتى بمعدل عال بأمل أن تكون سوريا أولى الدول العربية التى تنحاز إلى الكتلة الشرقية ، كما مد الاتحاد السوفيتى سوريا بصفقة سلاح عام ١٩٥٤، ١٩٥٥م وقد وقف ضد هذه التيارات محور السعودية ومصر مع تدخل النفوذ الأمريكى لمنع سقوط سوريا فى يد الاتحاد السوفيتى بجانب ذلك بدأ نفوذ حزب البعث العربى فى تصاعد فى المجال السياسى السورى مما حداه إلى التوجه إلى القاهرة ورئيسها جمال عبد الناصر طالبًا الوحدة الاندماجية ، التى تحققت فى فبراير ١٩٥٨م.

١١- كانت ظاهرة التكتلات والانقسامات العربية هى الظاهرة السائدة خلال الخمسينيات وتميزت أيضاً بالمحاور التى كتلت فى كل محور عددًا من الدول العربية ، والخارج من هذه التكتلات أما مازال تحت الاحتلال مثل دول شمال

أفريقيا والإمارات الخليجية وجنوب عدن وإما فضل أن يكون على الحياد مثل اليمن وليبيا ولبنان والسودان ، وقد ظهرت تلك المشروعات والتكتلات بمضمون قيام وحدة بين أقطاره العربية وإزالة الحدود والحواجز المصطنعة التى أقامها الاستعمار الغربى للفصل بين أبناء الأمة الواحدة.

ومن كل هذه المشروعات حاز اثنان منها شهرة واسعة، وأثارا موجة من الجدل لم يسبق لها مثيل فى العالم العربى، وكان المشروع الأول يدعو إلى إعادة توحيد الأقاليم التى كان يتكون منها ما عرف جغرافيًّا باسم بلاد الشام، ولهذا السبب أطلق على المشروع اسم سوريا الكبرى[(١)]. وكان المشروع الثانى يهدف إلى توحيد البلاد العربية التى تتميز بخصوبة أراضيها، وفى نفس الوقت تكون جغرافيًّا قوسًا أشبه بالهلال وهى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ولذا أطلق على المشروع اسم الهلال الخصيب[(٢)]. ورغم ما كان للمشروعين من جاذبية وبريق بحكم دعوتها لتحقيق الوحدة العربية التى كانت وقتئذ أمنية كل القوميين العرب فإنهما قوبلا بمعارضة شديدة، ونظر إليهما نظرة الشك والحذر، باعتبارهما من وحى وتخطيط السياسة البريطانية.

وقد اهتم بالمشروع الأول الملك عبد الله وهو سوريا الكبرى الذى قوبل بعداء صريح من القاهرة والرياض وبيروت من جامعة الدول العربية ، وقد انتهى هذا المشروع بالفشل ، أما بالنسبة إلى الهلال الخصيب فقد تولت العراق العمل عليه ومحاولة ضم سوريا لها أو على الأقل إيجاد عرش للأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق فتدخلت العراق بكل ثقلها المالى والسياسى لتنفيذ غرضها ، ولكن فشلت أيضاً فى تحقيقه ، واستمر هذا المحور الهاشمى (العراق والأردن) حتى قيام الثورة العراقية فى يوليو ١٩٥٨م.

---

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الرسالة الثالثة والعشرون، الجولة الخامسة، ١٩٨٤.

(٢) باتريك سيل: الصراع على سوريا، دار طلاس، دمشق ١٩٦٤، ص ١٩-٢٢.

وكان المحور الثانى الرياض ـ القاهرة هو المحور الذى كان موجودًا بين مصر والسعودية وبخاصة أيام الملك عبد العزيز آل سعود ولكن بعد قيام الثورة المصرية واجهت السعودية مشاريع المحور الهاشمى ، مما تطلب ظهور قوة قادرة على تحديها فى الشرق العربى ؛ ولذلك كان يلزمها إيجاد حليف قوى لتنفيذ هذه السياسة التى أوجدت فى مصر الثورة حيث كانت المملكة العربية السعودية وحكامها يكنوا للهاشميين الكراهية واستمرت السياسة المصرية السعودية فى هذا التحالف وأساسها جذب سوريا من محاولات سيطرة بغداد عليها حتى انتهت إلى توقيع الميثاق الثلاثى فى مارس ١٩٥٥م[1]بين سوريا والسعودية ومصر ، وبذلك تم توقيع التصريح المشترك فى ٢ مارس ١٩٥٥م فى دمشق والذى يتضمن عدم الانضمام إلى الحلف التركى العراقى وإقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادى عربى مشترك وتتميز هذه المحاور بعدم الثبات والتغير فى التحالفات، فقد خرج الأردن لمدة قصيرة من المحور الهاشمى بعد الثورة الشعبية فى الأردن عام ١٩٥٥م بعد محاولة ضم الأردن إلى حلف بغداد وطرد الجنرال جلوب من الأردن وانضم إلى محور القاهرة والرياض وما لبث أن انضم ثانياً إلى المحور الهاشمى.

واستمر محور الرياض – القاهرة حتى عام ١٩٥٨م حيث الوحدة مع سوريا وثورة العراق التى أطاحت بالحكم الملكى واتجاهها انفرادياً فى معاداة باقى الدول العربية على رأسها القاهرة ، واتخاذها تحالفًا سياسيًّا مع الاتحاد السوفيتى فبدأ محور الرياض ـ القاهرة فى التفكك ، فقد بحث الأردن على حليف جديد فوجوده فى الحكم الملكى فى السعودية ، وتباعدت الخطوط بين القاهرة والرياض حتى كانت السعودية إحدى الدول التى ساعدت على الانفصال وتمحور الشكل العربى إلى محورين جديدين هما الدول الملكية (الدول الراديكالية أو ما أطلق عليها الرجعية

(١) باتريك سيل : المرجع المشار إليه، ٣٨-٤٠.

وأساسها السعودية والأردن ، ودول تقدمية جمهورية على رأسها مصر، كما ظلت بعض الدول على الحياد بين المحورين.

وبهذا كان الموقف العربى من الضعف وألقى بظلاله على جامعة الدول العربية التى افتقدت وجود الحد الأدنى من التعاون والاتفاق على هدف إستراتيجى واحد ، وضاع الصراع العربى الإسرائيلى فى هذا الخضم من الانقسامات والتكتلات ، ولعل بذرة الانقسامات والاختلافات التى ولدت فى دولة الأندلس فى أثناء الحكم العربى قد عادت إلى الحياة مرة ثانية.

١٢- نتيجة الإستراتيجية الغربية (البريطانية والأمريكية) زادت الانقسامات والنزعات، فقد كانت إستراتيجياتها كالآتى:

١- الإستراتيجية الأمريكية:

محاولة التوفيق بين السياستين البريطانية والأمريكية من خلال إستراتيجية غربية موحدة لها أن الضرورة الإستراتيجية التى تفرضها سياسة الحصر الأمريكية[1] تتطلب كون منطقة الشرق الأوسط قوية مستقرة، لذلك لا يمكن للولايات المتحدة أن تتغاضى عن مسألة الدفاع الإستراتيجى عن المنطقة، ولذلك صممت على المحافظة على المنطقة بأى ثمن، حيث تعلم أنه لو تحولت دولة واحدة إلى المعسكر السوفيتى ربما أحدث ذلك صدعاً يستحيل درؤه، كما أن الولايات المتحدة تعتبر الشرق الأوسط جزءاً حيوياً من العالم الحر الذى تريد به حصر مخاطر الشيوعية ، وهى ترى أن ضعف هذه المنطقة يخلق فراغاً خطيراً لا يمكن سده بمجرد إنشاء قواعد عسكرية بريطانية أمريكية، فإستراتيجية الحصر التى وضعتها تدعو إلى تقوية هذه المنطقة سياسيًّا واقتصاديًّا وبالتالى حربيًّا حتى ولو كان الأثر المباشر لهذه السياسة فقد بعض المكاسب التجارية.

---

(١) إستراتجية أمريكية تعمل على حصاد الاتحاد السوفيتى وعمل طرق حوله من الأحلاف الصديقة.

٢- الإستراتيجية البريطانية:

ولهذا كانت إستراتيجية بريطانيا تهدف دائمًا إلى مراعاة انقسام الشرق الأوسط وضعفه سياسيًا واقتصاديًا حتى تتمكن الشركات البريطانية من العمل فى ظروف مفيدة لهم وحتى يمكن للحكومة البريطانية فرض سيطرتها على المنطقة تطبيقاً للمبادئ "الميكافيلية"(١) ولهذا ظهر فى تصرف الدولتين الغربيتين إزاء معظم مشكلات الشرق الأوسط وعجزها عن توحيد خططها فى أغلب الأحيان، وظهر هذا واضحاً جلياً عند تكوين حلف بغداد وعند العدوان الثلاثى على مصر ولهذا كان على الولايات المتحدة التى تملك قوة عسكرية واقتصادية أن تهيئ الدفاع عن الشرق الأوسط ، إلا أنها لا تملك تنفيذ هذه السياسة إلا متعاونة مع المملكة المتحدة التى كان جهاز دفاعها يضم شطراً كبيراً من المنطقة فى أوائل الخمسينيات.

كما يجب عليها أن تعمل على تعاون شعوب المنطقة لضمان سلامة الخطط الإستراتيجية للدفاع عن الشرق الأوسط.

ولهذا فقد تعرض الشرق الأوسط إلى ثلاثة مشاريع غربية هى:

١- الدفاع المشترك.

٢- حلف بغداد.

٣- مشروع أيزنهاور والذى تقدم بعد العدوان الثلاثى على الفراغ لخروج بريطانيا وفرنسا من الشرق الأوسط.

ولهذا رفضت مصر كل هذه المشاريع وكان صدى ذلك الرفض أن اتجهت السياسة الأمريكية بكل وسائلها للضغط على مصر والعمل على عزلها عن باقى الدول التى اتجهت إلى تلك السياسة أيضاً لكى تجذبها بعيداً عن مضمار القومية العربية التى ازدادت فى منطقة الشرق الأوسط.

(١) خطاب من أنطونى أيدن إلى تشرشل بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٥٤.

وكان لتزعم مصر الرفض ومحاولة تجمع الدول لرفض هذه المشاريع الأثر الرئيسى لفشل تلك المشاريع ، ولكنها فى نفس الوقت أدت إلى المزيد من الانقسامات والانشغال بهذه السياسة مما أدى إلى عدم ظهور الصراع العربى الإسرائيلى فى صدارة تفكير الدول العربية.

١٣- فى التصريح الثلاثى الصادر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠م وبمقتضاه تتعهد الدول الثلاث الكبرى بعدم تسليح أقطار الشرق الأوسط إلا فى ضوء اعتبارات . إذا ضمنت عدم استخدام الأسلحة فى النزاع العربى الإسرائيلى، كما أنها تعهدت بضمان الحدود القائمة سواء عن طريق الأمم المتحدة أم خارجها، ولما كان العرب أكثر تصريحاً من الإسرائيليين عن رغبتهم فى تغيير الحدود فقد فهم التصريح على أنه محاولة لحماية إسرائيل على أن اشتراك بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل فى الاعتداء على مصر سنة ١٩٥٦م جعل هذا التصريح لاغيًا، وظل مفهوم الدول الغربية لمكونات التصريح كما هو ، والمتمثل فى اعتبار أن حدود الهدنة بين العرب وإسرائيل قد أصبحت حدوداً نهائية وذلك بالرغم من مخالفتها لقرار التقسيم واعتبار أن توازن التسليح يتم بمقارنة الدول العربية مجتمعة ، وبين إسرائيل بمفردها، بمعنى أن كل ما تحصل عليه الدول العربية من أسلحة يتم إمداد إسرائيل فى المقابل بكمية مساوية لها.

ولما كانت مصر الوحيدة من الدول العربية استمرت فى النظر إلى الصراع العربى الإسرائيلى بأحد وسائله وهو المقاومة بالفدائيين التى أنجزت نجاحًا من خلال قطاع غزة ، فقد قامت إسرائيل بعد أن تولى بن جوريون برئاسة الوزراء بالغارة الشهيرة على قطاع غزة فى ٢٨/ ٢/ ١٩٥٥م وهنا شعرت القاهرة أن الحجر عليها لتسليح قواتها المسلحة يجعلها عرضة للعدوان الإسرائيلى ؛ ولذلك اتجهت إلى الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتى ووقعت اتفاقية احتكار السلاح من خلال صفقة أسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ، مما أثار الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى مؤتمر

باندونج عام ١٩٥٥م انضمت مصر إلى الهند ويوغسلافيا فى حركة عدم الانحياز أصبحت بسياستها ضد الأحلاف والمشروعات الإستراتيجية الغربية فى المنطقة.

سحب عرض تمويل مشروع السد العالى:

كان مشروع السد العالى حلماً لجميع المصريين وهدفًا قوميًّا وقد قبلت الولايات المتحدة الأمريكية بتمويل المشروع عن طريق البنك الدولى ، ولكن رداً على صفقة السلاح السوفيتى سحبت الولايات المتحدة عرضها بطريقة مهيبة ، وهنا انتهز الاتحاد السوفيتى الفرصة وتقدم بعرض لتمويل المشروع فيما أوجد له قدماً فى هذه المنطقة الإستراتيجية.

تأميم قناة السويس:

رداً على سحب العرض الأمريكى قام الرئيس جمال عبد الناصر بالرد الحاسم وهو تأميم قناة السويس ؛ مما أشغل روح الوطنية والقومية فى الدول العربية وفى مصر خاصة ، ومن وجهة نظرى أن هذا القرار من القرارات التاريخية للرئيس جمال عبد الناصر ، ولست مع القائلين بأن ننتظر حتى عام ١٩٦٨م لترجع القنال إلى مصر حيث أن هذا القرار أعاد الكرامة إلى مصر لما حدث لها حيث أن المصريين ذاقوا الهوان والمؤامرات من أجل فتح قنال السويس وكانت دائمًا قنال السويس سبباً لمشكلات مصر ومطمعًا لمصر.

الموقف الإسرائيلى خلال الخمسينيات:

استغلت إسرائيل هذه الفترة استغلالاً جيداً خطبت به بمساندة ومعاونة الدول الغربية جميعها ، وإقامة علاقات وثيقة مع فرنسا حيث وجدت فيها العنصر المساعد لها فى شؤون التسليح، وقد تطورت إستراتيجية وسياسة إسرائيل خلال الخمسينيات فى ثلاث مراحل رئيسية :

١- المرحلة الأولى: البناء الداخلى وفرض الدولة الناشئة على جيرانها العرب فى الفترة من عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٥٣م.

٢- المرحلة الثانية: إثبات الوجود فى المنطقة ومحاولة إيجاد دور لها فى المنطقة من عام ١٩٥٤م إلى عام ١٩٥٥م.

٣- المرحلة الثالثة: التآمر والتنفيذ لإستراتيجية الغرب فى الفترة التى بدأت من عام ١٩٥٦م وهى المرحلة التى تم فيها العدوان الثلاثى والتى عندما تيقنت إسرائيل من أن بريطانيا وفرنسا تعملان على القيام بعمل عسكرى ضد مصر بعد تأميم قناة السويس لم تترك الفرصة تضيع منها ، هذا هو مبدؤها فى إستراتيجيتها وانضمت إلى التحالف الثنائى بعيداً عن الولايات المتحدة الأمريكية وقع التحالف الثلاثى معاهدة سيفر[١]. ٢٤ أكتوبر ١٩٥٤م بعد مفاوضات سرية ورحلات ماكوكية سرية وتم وضع خطة العدوان الثلاثى على مصر.

كانت الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ينتظرون الظروف المناسبة وكانت هى تأميم مصر لقناة السويس رداً على سحب عرض تمويل السد العالى الأمريكى لمصر، وبهذا بدأ التوافق البريطانى الفرنسى الإسرائيلى لتنفيذ التآمر على مصر أو ما عرف بالعدوان الثلاثى ، وقد ظن الشركاء الثلاثة أن الظروف مواتية بالنسبة إليهم وأنه يمكن أن تنضم أمريكا إليهم لما سببه عبد الناصر لها من مشكلات فى المنطقة ودوره العنيف فى عملية سحب تمويل السد العالى واعترافه بالصين الشعبية وصفقة الأسلحة التشيكية ، وبدأ تسلل النفوذ الشيوعى إلى المنطقة وحذو بعض الدول العربية لمنهج مصر وبخاصة سوريا وكان من المحتم أن يتم التصادم

(١) معاهدة سيفر ،الملحق رقم (١).

بين أهداف مصر وأهداف كل من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل وكانت خطوات التصادم كالآتى:

أولاً: خط التصادم البريطانى:

ويمر هذا الخط بالأحداث الرئيسية التالية:

١ - معركة الجلاء، وتبدأ نقطته القريبة منذ بدء الثورة حتى تحقيق اتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤م.

٢- معركة مناهضة الأحلاف ومقاومة حلف بغداد، وتبدأ متوازية مع بدء المفاوضات للجلاء ولا تنتهى إلا بيأس الغرب من مصر ، وطرد جلوب من الأردن فى مستهل شهر مارس ١٩٥٦م.

٣- معركة الاتجاهات القومية العربية، ونشاط مصر السياسى الحيادى التحورى فى العالم . تبدأ مع الثورة وتتبلور فى مؤتمر باندونج فى أبريل عام ١٩٥٥م.

٤ - معركة كسر احتكار السلاح[١].

ثانياً: خط التصادم الفرنسى:

بدأ خط التصادم القريب مع فرنسا، منذ فقدت فرنسا نفوذها فى تونس والمغرب، ورغبت فى التمسك بالجزائر، وكان أن صادفت ضغطاً قوياً من المجاهدين الجزائريين جعلها تصطدم بمصر التى وفرت التأييد المعنوى والمادى لهؤلاء المجاهدين.

وحدث اصطدام آخر عندما تحالفت فرنسا عسكرياً مع إسرائيل وبدأت تزودها بالسلاح[٢].

(١) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، شركة الأهرام للترجمة والنشر ، ص ٣٤٢، ص ٨، ٣٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٠-٣٠١.

ثالثاً: خط التصادم الإسرائيلى:

بدأ هذا الخط مع ظهور مشكلة فلسطين، وفى الطريق كانت الإغارات الانتقامية الإسرائيلية المستمرة على الحدود العربية ثم أعمال المؤامرات والتجسس والتخريب والاغتيال داخل الحدود العربية ، كالقضية المعروفة بقضية لافون عام ١٩٥٤م ، اغتيال الملحق الحربى المصرى فى عمان ، وكذا رئيس مخابرات غزة فى صيف عام ١٩٥٦م، وصفقة الأسلحة التشيكية والتدريب عليها واستيعابها ، مما يؤدى إلى قلب موازين القوى فى المنطقة.

العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦:

قامت حرب العدوان الثلاثى على مصر فى مساء ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦م وقد وضعت ودارت معاركها وفقاً لأيدولوجية الحرب المحلية للمدرسة العسكرية الغربية والتى تضع فى الاعتبار الأول عامل السرعة والحسم لحصر الحرب فى نطاق محلى محدود ، كانت مراحل الحرب كالآتى:

١ - المرحلة التمهيدية.

٢ - مرحلة خلق الذريعة وتدبير الشرك.

٣ - مرحلة التمهيد الجوى المركزى.

٤ - مرحلة الاقتحام والاستيلاء على رأس الشاطئ.

٥ - مرحلة حسم الحرب المحلية.

أما من النظرة التحليلية إلى الحرب فإنه يمكن أن تكون مراحلها كالآتى:

١ - المرحلة الابتدائية ، وتمت فيها الجهود السياسية والعسكرية التى مكنت من بدء الحرب.

٢ - مرحلة النضال من أجل الاتزان الإستراتيجى ، ورتبت خلالها محاولات كل من الجانبين أن يدفع خصمه نحو اتجاه إستراتيجى خاطئ.

٣- مرحلة التحول إلى القتال فى المجهود الرئيسى ونضوب إستراتيجية العدوان التى كشف فيها المعتدى على مخططه.

٤- المرحلة الختامية للحرب ، وفيها فشل المخطط العدوانى بفضل التدخل الأمريكى والضغط على بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وضغط الاتحاد السوفيتى وجود مصر السياسية فى هذا الإطار.

وكان أهداف الدول الثلاث من العدوان الثلاثى كالآتى:

بالنسبة إلى بريطانيا:

- تحطيم مصر سياسيًا والتخلص من حكومة الثورة.
- إعادة احتلال القاعدة فى منطقة القناة.
- استرداد المركز التقليدى فى الشرق الأوسط بعد أن تعرضت لحركات تحريرية أخرى فى كل المنطقة بعد جلائها عن مصر.
- قطع الصلة بين مصر وليبيا والسودان والأردن، حيث كانت تأمل بريطانيا فى الانفراد بالعمل فى هذه الدول لحسابها الخاص.
- القضاء على فكرة التعاون الاقتصادى بين مصر وروسيا.

بالنسبة إلى فرنسا:

- استرجاع مصالحها فى استغلال شركة القناة وإلغاء قرار التأميم.
- القضاء على صوت العرب مركز الدعاية السياسية لإثارة حركة التحرير بالجزائر.
- التخلص من حكومة الثورة كمثل تضربه لحكومات شمال إفريقيا.
- إزالة مركز قيادة الجزائريين الأحرار من مصر ، مما يضعف مقاومة الجزائريين فى بلادهم ضد قوات فرنسا.
- شد أزر إسرائيل.

بالنسبة إلى إسرائيل:

- إرغام مصر على الصلح معها وبالتالى الصلح مع باقى الدول العربية.
- تحقيق حرية الملاحة فى خليج العقبة.
- تحقيق حرية المرور فى قناة السويس لفك الحصار الاقتصادى عليها.
- التخلص من اللاجئين فى قطاع غزة وضم هذا القطاع إليها.
- تحطيم مواصلات سيناء وكل المرافق التى بها ، ضماناً لعجز مصر من محاولة حشد قوات أخرى على حدود إسرائيل تهددها مستقبلاً.
- تحطيم القوة العسكرية المصرية لتتفرغ لتسوية باقى أطماعها على حساب الدول العربية الأخرى قبل استيعاب الجيش المصرى لصفقة الأسلحة التشيكية.

وقد كانت نتائج العدوان الثلاثى كما يلى:

١-زعزعة ثقة الرأي العام فى كل الشرق الأوسط وفى الكتلة الآسيوية الإفريقية بالدول الغربية حتى بأمريكا التى وقفت فى بدء المعركة وقفة ضد حلفائها، وربما كان ذلك من وحى مصلحتها أيضاً حتى تكسب من وراء تلك الفرصة العديد من دول المنطقة إلى جانبها ، خشية أن يفلت منها الزمام بعد أن أظهرت روسيا والصين الشعبية جهوداً مادية إيجابية وتأييداً سياسيًّا وأدبيًّا كاملاً لمصر، وقد كان رأي أمريكا مع بداية أزمة تأمين قناة السويس هو عدم استخدام العنف مع مصر ويظهر ذلك فى رد الرئيس أيزنهاور على أيدن موضحًا فيه سياسة أمريكا إزاء المشكلة حيث يقول[١] إننى لا أريدك أن تستعمل مثل هذه اللغة فى الحديث عن التاريخ، إنك تجعل من ناصر شخصاً أكبر مما هو فى حقيقته وسوف يكون خطأ على وجه التأكيد إذا تصرفنا على نحو يجعل منه بطلاً لكل العرب إن "ناصر" ينتعش بالمواقف الدرامية وعلينا أن نستنفده خطوة بعد خطوة بدون مشاهد

(١) محمد حسنين هيكل: المرجع المشار إليه، ص٤٧٧.

درامية حتى نعيده إلى حجمه الطبيعى ، فيسقط وحده دون أن تسقط معه مصالحنا فى العالم العربى.

٢- وكان من أثر هذا أيضاً أن حاولت الولايات المتحدة أن ترث بريطانيا[١] فى تلك المنطقة فقد ظهر مشروع أيزنهاور (الذى قدم فى الكونجرس فى ٥ يناير ١٩٥٧م)[٢] لمساعدة دول منطقة الشرق الأوسط التى تطلب معونة أمريكا ضد العدوان الشيوعى، وقد قوبل هذا المشروع على هذه الصورة بالرفض من مصر وسوريا واليمن ولم ترحب به السودان ولم تعلن المملكة العربية السعودية والأردن رسميًّا قبوله.

٣- انشطرت منطقة الشرق الأوسط، من جراء هذا المشروع الذى وضعه أيزنهاور ليجمع بين دفتيه كل الشرق الأوسط، وأفادت الكتلة الشرقية من جمود وعناد السياسة الغربية وبذلك ازداد التوتر من جديد بسبب هذا التطور الذى نجم عن مولد مشروع أيزنهاور.

٤- وكان اشتراك الولايات المتحدة فى حلف بغداد نتيجة مباشرة للعدوان على مصر بمعنى آخر نتيجة ملازمة لتطبيق مشروع أيزنهاور ، إذ أن اشتراك أمريكا فى اللجنة العسكرية للحلف إنما هو السبيل المادى الصريح لتقديم المعونة العسكرية الأمريكية للدول التى قبلت مشروع أيزنهاور وهى دول حلف بغداد علاوة على ما قد ينضم إليها مستقبلاً من الدول الأخرى مثل لبنان والأردن، ولو بصورة علمية ، وأن تكون غير رسمية.

٥- وكان من نتائج فشل العدوان على مصر أن اتجهت السياسة البترولية الدولية العليا إلى وضع خطة بناء ناقلات ضخمة من حمولة ٨٠.٠٠٠ طن[٣].

---

(١) د. محمود فوزى: حرب السويس، ١٩٥٦، دار الشروق، ١٩٨٧، ص٣٢.

(٢) محمد فوزى: المرجع المشار إليه، ص ٤٢٦.

(٣) محمد كمال عبد الحميد: المرجع المشار إليه، ص ٤٢٦.

و١٠٠.٠٠ طن لتكون وسيلة تبادلية فى المستقبل لنقل البترول الخام من منطقة الخليج الفارسى عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى أوروبا بدلاً من مرور البترول بالناقلات العادية عبر قناة السويس.

٦- استطاعت إسرائيل ضمان حرية الملاحة فى خليج العقبة.

٧- بدأت بريطانيا خطة لتخفيف قواتها فيما وراء البحار، وتخفيف الأعباء المالية على خزينتها كان من النتائج المباشرة لفشل عدوانها على مصر، وذلك لتخفيف مصروفاتها من جهة، ولتعديل نظم التسليح من جهة أخرى لتعتمد على قوة النيران الذرية بدلاً من القوات العددية ، كذلك كان قرار بريطانيا بالجلاء من الأردن من نتائج هذه المعركة أيضاً.

٨- حققت مصر تخلصها نهائيًّا من التزامات اتفاقية الجلاء التى وقعت مع بريطانيا عام ١٩٥٤، وذلك بأن ألغت من جانبها هذه الاتفاقية وتحررت تمامًا من كل احتمال عودة بريطانيا للانتفاع "بالقاعدة" فى المدة التى تضمنتها الاتفاقية (٧ سنوات من توقيعها، وبشروط معينة).

٩- قررت بريطانيا نقل قيادة قواتها فى الشرق الأوسط من قبرص إلى كينيا ، ومعنى ذلك اهتمام الإستراتيجية البريطانية الجديدة بمستقبل القارة الإفريقية.

١٠- لقد كان من أهم نتائج العدوان الثلاثى أن بدت دولة إسرائيل وإستراتيجياتها مرتبطة بالإستراتجية الغربية فى المنطقة وأن أهدافهم متكاملة ومتماثلة دائمًا، ويمكن أن تكون أداة التدفق للإستراتيجية الغربية ولكن الدرس الذى تعلمته من الاشتراك فى العدوان الثلاثى أن تعتمد على القوى العظمى والمحرك الرئيسى لهذه الإستراتيجية وهى الولايات المتحدة الأمريكية وهذا ما نفذته بعد ذلك[1].

---

(١) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، الجزء الأول، مؤسسة الأهرام، ص١٤٠ (من ملفات لجنة الأمن والدفاع بمجلس الوزراء الإسرائيلى) كتبها البروفسيور مايكل برشر.

وهكذا كان من نتائج حرب ١٩٤٨م وقيام دولة إسرائيل أن وجد فيها الغرب الحليف الذى ينشده لتنفيذ إستراتيجية فى المنطقة، وبعد نهاية العدوان الثلاثى حتى نهاية الخمسينيات حدثت عدة أحداث رئيسية فى منطقة الشرق الأوسط وهى:

١- إتمام الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير ١٩٥٨م والتى عارضتها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وإسرائيل وعملوا على فشلها.

٢- ثورة العراق فى يوليو ١٩٥٨م والقضاء على النفوذ الغربى فى العراق وإيجاد موطئ قدم للاتحاد السوفيتى فى المنطقة بعد نجاح عبد الكريم قاسم بالتحالف مع الحزب الشيوعى العراقى.

٣- تدخل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالقوات العسكرية فى لبنان والأردن فى يوليو عام ١٩٥٨ فى أعقاب الثورة العراقية ، وذلك خشية أن يلتهب شعور الوطنيين فى لبنان والأردن فتسقط الأنظمة القائمة الموالية للغرب، وقد تم التدخل بطلب من الحكومتين اللبنانية والأردنية.

وهكذا وبنهاية الخمسينيات كان الموقف فى منطقة الشرق الأوسط كالآتى:

١- وطد جمال عبد الناصر زعامته وانتشرت القومية العربية وأصبح رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة.

٢- فشلت إستراتيجية الاحتواء الغربية لفشل حلف بغداد ومبدأ أيزنهاور، وفشل العدوان الثلاثى فى تحقيق أهدافه.

٣- أصبحت الدول الموالية للغرب فى موقف الدفاع عن نفسها.

٤- أصبح الاتحاد السوفيتى أحد القوى الإستراتيجية التى لها دور فى منطقة الشرق الأوسط.

٥- ورثت الولايات المتحدة الأمريكية ، بريطانيا فى القيام بالدور الرئيسى للإستراتيجية الغربية فى المنطقة.

٦- جنت إسرائيل أحد ثمار العدوان الثلاثى وهى حرية المرور فى مضيق تيران ولكن لم تحل مشكلة الصراع العربى ـ الإسرائيلى وأصبح موقف إسرائيل دقيقاً بعد وحدة مصر وسورياً، وبعد أن اتضح أنها أداة لتنفيذ سياسة الغرب فى المنطقة وأصبحت سياساتها مرتبطة أساساً بالولايات المتحدة الأمريكية خاصة أنها قد استهدفت سياستها القيام بجولة أخرى لتحقيق أهدافها.

٧- أصبحت مصر هدفاً للإستراتيجية الغربية والسوفيتية معًا . الأولى لأن مصر أدت إلى فشل إستراتيجياتها فى المنطقة والثانية لأن مصر أدت إلى فقدها سوريا كما أنها منعت الشيوعيين فى مصر وسوريا من العمل بحرية.

٨- حاولت السعودية بقيادة الملك سعود إيجاد دوز عربى قيادى لها فى المنطقة وأصبح حتمية التصادم بينها وبين مصر وشيك الحدوث.

تعليـــق:

بدراسة نتائج العدوان الثلاثى على مصر نجد أن هناك بعض النقاط التى ظهرت ضمن نتائج هذا العدوان وأثرت على مجرى السياسة فى السنوات التالية وعلى الصراع العربى الإسرائيلى كالتالى:

١- انطلقت الدعاية المصرية بقوة تؤكد أن مصر قد انتصرت على ثلاث دول منها دولتان عظيمتان وكانت طبول الدعاية عالية بالنسبة إلى الشعب والقوات المسلحة وأعطى شعوراً بأن ذلك حقيقة وأنه ممكن لمصر أن تتعامل مع أي قوات تحاول غزو مصر مع أنه فى الحقيقة عدوان ولا يمكن أن يطلق عليه حرب بين قوتين متوازيتين بل هو مؤامرة انضمت إليها إسرائيل لتحقيق هدف ، هو عودة السيطرة على قناال السويس وإزاحة جمال عبد الناصر ، وكان من الممكن أن نكون موضوعين فى ذلك الأمر بحيث يكون هناك صمود رائع وشجاع من المصريين وكفاءة جمال عبد الناصر فى قيادته وسياسته ، وأن الحقيقة لولا تدخل

الولايات المتحدة الأمريكية لما انسحبت بريطانيا وفرنسا وأيضاً إسرائيل التى انسحبت فى مارس ١٩٥٧م وهذا لأن الولايات المتحدة كانت قد خططت لوراثة بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط وأن الاتحاد السوفيتى حقيقة لم يكن له تأثير معنوى ولو ظل الأمر فى حدوده لعرفنا أنه يجب العمل والعمل الجاد انتظاراً لجولة أخرى.

٢- قرار انسحاب القوات المسلحة أو تفريقها من سيناء ، هذا القرار الذى اتخذ بعد وضوح المعالم للمؤامرة ، وهجوم إسرائيل مبكراً لإيجاد السبب للتدخل الأنجلو - الفرنسى فى مصر حسب السيناريو الموضوع ، قراز حكيم فى ذلك التوقيت الزمانى والمكانى ولا يتعدى أن يصير قرارًا جيدًا وليس عبقرياً لا مثيل له أو قد ينفع فى جولة أخرى لأن العمليات القتالية لكل حالة لها حلها وقد أخذت الدعاية تضخم من أهمية هذا القرار مما كان له الأثر البعيد فى حرب ٦٧ كما سنرى.

٣- كانت هناك معارك تكتيكية قد حدثت وتفوقت القوات المصرية على الإسرائيلية ولم تركز عليها الضوء أو الحدث عنها مما يعطى انطباع - لو وضحت - أن المقاتل المصرى قوى ويتميز عن المقاتل الإسرائيلى.

٤- إسرائيل كعادتها لم تترك أية فرصة إلا واغتنمتها فكان ثمن انسحابها من سيناء حرية الملاحة فى خليج العقبة ، وللأسف أنزل على هذا الأمر ستائر النسيان، ولم يعد يتناول إلا في محيط صغير وغاب عن معظم المصريين هذا الموضوع وأصبح شوكة فى جنب جمال عبد الناصر من فترة إلى أخرى يضغط عليه محور الملكية ، مما سبب له كثير من المشكلات وفى إدارة لصراع الجولة التالية (حرب ٦٧).

٥- عند بحثى فى موضوع وجود قوات الطوارئ الدولية فى سيناء والتى كانت مباحثاتها من الرئيس جمال عبد الناصر وسكرتير هيئة الأمم المتحدة داج همر شولد لم أصل إلى الحقيقتين الآتيتين:

(أ) من هو صاحب القرار الذى يستطيع أن يأمر بانسحاب أو خروج قوات الطوارئ الدولية من سيناء ؟ هل هو الرئيس جمال عبد الناصر أو سكرتير هيئة الأمم المتحدة؟

(ب) لماذا لم يوضع قوات طوارئ على الجانب الإسرائيلى.

٦- الوحدة بين سوريا ومصر هذه تعتبر من الفرص الضائعة فى الصراع العربى الإسرائيلى لأن ، وإن كانت هذه الوحدة استمرت على أساس سليم ، فإن إسرائيل تكون محاصرة من الشمال والجنوب ومواجهة قوات مسلحة واحدة بجميع أفرعها من برية وبحرية وجوية ، مما كان قد يجرى أحداثًا كثيرة قد تغير فى الصراع العربى الإسرائيلى ، ولكن الوحدة تمت بدون أساس ، فإن خوف حزب البعث من العراق وتركيا والسوفيت والأمريكان وسوريا توجهوا إلى الرئيس جمال عبد الناصر طالبين العون والوحدة واضطر الرئيس أن يستجيب لهم ، وتمت وحدة قومية بين القاهرة ودمشق بدون تأصيل وتجهيز الشعبين للوحدة ، ولا مراعاة ظروف كل دولة وطبيعتها وتوجهاتها وجعلت هذه الوحدة من جمال عبد الناصر مفتوناً بسوريا بما لاقاه من استقبال وحب ، وقد جبلت هذه الوحدة جميع الخصوم إلى محاربتها إقليميًّا ، وذلك عن طريق السعودية والأردن والاتحاد السوفيتى الذى كان يتمنى أن تكون سوريا دولة يسارية وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى لا تريد جمال عبد الناصر أن يكبر ويقوى ، وخوفًا على إستراتيجية الأحلاف والسيطرة على الشرق الأوسط التى تتبعها وتريدها ، وإسرائيل كانت تعتبر هذه الوحدة موجهة إليها أساسًا فأصبحت كل هذه الأطراف على حدوث الانفصال ، بالإضافة إلى أخطاء من القيادة السياسية والعسكرية تجاه التعامل مع سوريا بتطبيق القرارات الاشتراكية وتقليص نفوذ حزب البعث ، أدت جميعها إلى حدوث الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١م ومن ذلك الوقت بدأ تشكيل محور السعودية والأردن (الدول الملكية) ومحور القاهرة الذى ظل الانقسام والخلافات تزداد حتى وإن وصل إلى التصادم العسكرى فى اليمن وأصبحت القوى العربية

تنازع بعضها البعض الآخر وانتقل هذا الانقسام إلى الجامعة العربية التى عملت السعودية على حصار مصر ، ولعل مؤتمر شتورا فى لبنان خير دليل على ذلك ، وأصبحت مصر فى وحدة إقليميًّا وخارجيًّا.

٧- كانت ثورة العراق فى يوليو ١٩٥٨م انفجاراً ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وحلف بغداد ، وبالرغم من أن الأمل كان يجدد الرئيس جمال عبد الناصر أن تكون تلك الثورة عوناً له وإضافة إلى القوة العربية فى صراعها مع الكتلة الغربية، وكذلك فى الصراع مع إسرائيل ولكن انحرفت هذه الثورة إلى مؤامرة سيطر عليها الشيوعيون وكانت أحلام الزعامة الوحيدة (وهى أحد أمراض زعمائنا فى الدول العربية) سببًا فى مزيد من تمزيق النسيج العربى والخلافات والانقسامات ، حتى أن عبد الكريم قاسم كان الأول فى محاولة ضم الكويت له ولولا مصر وبريطانيا لتمكن من ذلك ، مما زاد من الجراح وأصبح الصراع العربى الإسرائيلى يعيد لتخطيط سليم أو تنفيذ جيد بينما إسرائيل تنمو خطوة بخطوة.

٨- استبعد الرئيس جمال عبد الناصر انضمام إسرائيل(١) إلى بريطانيا وفرنسا وبالرغم من المعلومات التى وصلت إليه عن جيش العدوان ظل على تقييم أنه لا يمكن لبريطانيا وفرنسا أن تضما إسرائيل معهما فى القتال ضد مصر مما كان مفاجأة فى بداية العمليات له.

٩- لم تتم دراسة ما حدث فى مسرح العملية والخروج بالدروس المستفادة والمقصود هنا معرفة أين الخطأ وأين الصواب وكيف تعالج الخطأ ، بالرغم من ذلك لم تتلق هذه الدراسات العناية الكاملة بتطبيقها على القوات فى الأرض ، ولعل طبول الإعلام بالنصر غطت على احتمال لتصحيح ما كان خطأ فادحاً.

---

(١) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، المرجع المشار إليه.

الفصل الخامس

الجولة الثالثة ١٩٦٧م من الصراع العربى الإسرائيلى

الموقف العربى فى عقد الستينيات

تميز الموقف العربى بشدة التطورات والانقسامات والخلافات حتى وصل إلى حد الصدام المسلح بين قوى عربية فى اليمن.

ومع بداية الستينيات وقع الانفصال فى دولة الوحدة بين مصر وسوريا والتى كانت أملاً فى تحقيق شيء ما إيجابى فى الصراع العربى الإسرائيلى ، وكان وراء هذا الانفصال من القوة الإقليمية السعودية والأردن ، وكذلك من القوى العالمية الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى بجانب انسحاب حزب البعث عن تأييده لعبد الناصر ؛ لهذا فقد أعلنت سوريا انفصالها عن الجمهورية العربية المتحدة التى لم يبق لمصر منها غير الاسم فقط وهكذا تفجرت نواة الوحدة العربية وشعر عبد الناصر باضطراب عميق وأجرى مراجع شاملة لسياسته فى كل المجالات واعترف صراحة بأن المصريين قد ارتكبوا بعض الأخطاء فى حكم سوريا ووصف السوريين بخيانة المثل الأعلى للأمة العربية[1].

وحاصر العرب مصر والرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر شتورا بلبنان وفى هذه الأثناء قامت الثورة اليمنية فى سبتمبر ١٩٦٢م وأعلن قيام الجمهورية فى اليمن واعترف بها كل من الجمهورية العربية والاتحاد السوفيتى، غير أن الملكيين عادوا إلى

---

(١) جمال عبد الناصر: مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثانى، القاهرة، مصلحة الاستعلامات.

المجتمع خلف الإمام البدر الذى تسانده المملكة العربية السعودية كما أن الولايات المتحدة لم تعترف بالجمهورية ، وأرسل عبد الناصر قوات سريعة لنجدة الثورة، وفى العراق أطاح الانقلاب العسكرى بحكومة عبد الكريم قاسم فى فبراير ١٩٦٣ وانتقل الحكم بالتالى إلى ائتلاف من الناصريين والبعثيين، وبعد مرور أقل من شهر على الانقلاب العراقى قام العسكريون السوريون فى دمشق بانقلاب عسكرى وأتى بالبعثيين إلى السلطة كما هى الحال فى بغداد.

وهكذا كان العالم العربى فى الشرق فى ربيع ١٩٦٣م خاضعاً لنظامين يعلن كل منهما أنه يؤيد الاشتراكية ويعتنقان مبادئ القومية العربية الوحدوية وهما حزب البعث فى العراق وسوريا، والناصرية فى مصر وبنهاية عام ١٩٦٣م أصبح العالم العربى مقسماً، فقد كانت سوريا فى حالة حرب باردة مع مصر وفى حالة سلام فاتر مع لبنان ، وقام عداء بين سوريا وكل من الأردن والمغرب وبين مصر والسعودية فقد تصادمت مصر والسعودية فى اليمن وكانت الجزائر فى خلاف مع المغرب حول الحدود مع موريتانيا التى اختلفت هى الأخرى مع المغرب ، وقد أدى هذا كله إلى قلة حوادث الحدود مع إسرائيل وبدأت المشكلة الفلسطينية وكأنها فقدت جانباً من حدتها، غير أن الأوضاع قد تغيرت وازدادت خطورة ابتداء من عام ١٩٦٣م بسبب النزاع حول تقسيم مياه نهر الأردن[1]. وأصبحت المشكلة الفلسطينية فى ذلك الوقت متبلورة حول هذا الموضوع.

(١) نهر الأردن هو النهر الوحيد ذو الأهمية الذى يشق إسرائيل وكمية المياه التى يعطيها هذا النهر سنويًا تبلغ مليار و٨٨٠ مليون متر مكعب وفى الفترة من مارس ١٩٥٣ - ١٩٥٦م أعد ايريل جونستون الممثل الشخصى للرئيس أيزنهاور مشروعاً بشأن هذه المشكلة ولم يتعرض هذا المشروع للمشكلة الفلسطينية من الناحية السياسية، كذلك فإن إسرائيل لم تبدأ العمل الجدى لاستغلال نهر الأردن لرى أراضى النقب الصحراوية الجرداء إلا فى عام ١٩٥٣م.وكان اقتراح جونستون فى عام ١٩٥٥م أن يخص ٧٣٤ مليون متر مكعب من مياه النهر إلى الأردن، ٣٩٤ مليون إلى إسرائيل و٤٥ مليونًا إلى سوريا وقد قبلت إسرائيل هذه الصيغة ، أما الخبراء العرب والجامعة العربية فقد رفضوا المشروع=

ولنجاح إسرائيل فى تحويل مياه نهر الأردن وتشغيل خط أنابيب المياه الإسرائيلى دعا عبد الناصر إلى اجتماع لرؤساء الدول العربية ليتدارسوا الأمر لمواجهة المشروعات الإسرائيلية لنهر الأردن.

وبالرغم من حالة الصدام بين الجمهورية المتحدة ومصر والسعودية فقد اجتمع مؤتمر القمة العربى الأول فى القاهرة ما بين ١٣، ١٧ من يناير عام ١٩٦٤م وقد حدث ما توقعه عبد الناصر حيث رفضت وجهة النظر المتطرفة التى كان ينادى بها اللواء أمين الحافظ الرئيس السورى ، والذى كان طالب بالقضاء على إسرائيل بالقوة وتقرر أن يكون الرد على ما أقدمت عليه إسرائيل من ضخ مياه نهر الأردن هو تحويل اثنين من روافد هذا النهر إلى كل من نهر الليطانى ونهر اليرموك بهدف حرمان إسرائيل من نصف مياه نهر الأردن وتم الاتفاق على وضع القوات العربية أو جزء منها تحت قيادة هيئة أركان حرب مشتركة يشرف عليها اللواء المصرى على علي عامر[1].

وقد كان مؤتمر القمة العربى الأول[2] وما تلاه ذلك من مؤتمرات والتى عقدت بصورة مباشرة من أجل البحث فى موضوع تحويل إسرائيل لنهر الأردن ووضع الخطة العربية المضادة لها قد انتقلت إلى معالجة مشكلة فلسطين بالكامل حيث وافق رؤساء هيئة أركان حرب الدول العربية على تنظيم الشعب الفلسطينى فى "كيان"

= نهائياً، كذلك فشلت الخطة الأمريكية لسبب آخر هو موقف دالاس آنئذ من الشرق الأوسط، أما الأردن فقد حصلت حينذاك على مساندة من الولايات المتحدة لتنفيذ خطة ري جديدة تعتمد أساسًا على استغلال نهر اليرموك وهو من روافد نهر الأردن وهنا جاء قرار إسرائيل بتحويل المياه من أعالى نهر الأردن إلى النقب الصحراوى لاستيعاب أربعة ملايين من المهاجرين المرتقبين وهو ما أثار قلق الرأي العام العربى وفى عام ١٩٥٩م مضت إسرائيل فى مشروعها فأقامت المستعمرات ووضعت المشروع ليتم خلال سبع سنوات.

(١) أسعد مرزوق : إسرائيل الكبرى، سلسلة كتب فلسطين إصدار منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٨، ٥٨-٥٩.

(٢) KADI,LEDA S., ARAB SUMMIT CONFERERENCES AND THE PALESTINE (1996-L966) PALESTINE BOOKS NO 4, BEIRUT, 1966,P91-210.

جيش التحرير الخاص به ، وأكدوا أن العرب فى سياسة الدفاع المشترك عن النفس التى يتبعونها سوف يقيمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية فى المجال الدولى على أساس من موقف الدول الأخرى حيال الكفاح العربى فى مواجهة الأطماع الصهيونية وكلف مؤتمر القمة العربى الأول السيد/ أحمد الشقيرى مندوب فلسطين الدائم لدى جامعة الدول العربية - بمهمة التشاور مع ممثلى الشعب الفلسطينى والحكومات العربية لمناقشة أسس إقامة الكيان الفلسطينى.

وتنفيذاً للمهمة قام الشقيرى بجولة فى الدول العربية فيما بين ١٩ مارس - الخامس من أبريل ١٩٦٤م كما عقد ثلاثين اجتماعاً مع وفود تمثل تجمعات الشعب الفلسطينى فى الدول العربية، وكذلك انعقد المؤتمر الفلسطينى الأول فى القدس فى ٢٨ مايو ١٩٦٤م وقرر الموافقة على قيام منظمة التحرير الفلسطينية وانتخاب أحمد الشقيرى رئيساً للجنة التنفيذية للمنظمة[١].

وعلى الجانب الإسرائيلى استمر تحدى إسرائيل لحق العرب فى المياه فى واشنطن أعلنت الحكومة الأمريكية أنها لن تقف مكتوفة الأيدى إزاء أي عدوان يقوم به أي بلد عربى فى الشرق الأوسط ورحبت إسرائيل بهذا التصريح الذى حفز همتها ، فنشطت فى خلق التوتر العسكرى على الحدود مع العرب وبخاصة سوريا ، فازدادت كثافة الاشتباكات الإسرائيلية على الحدود السورية وأمام هذا الواقع الجديد اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية فى الإسكندرية فى الفترة من ٥-١١ سبتمبر ١٩٦٤م وقرروا فى هذا الاجتماع البدء فوراً فى تنفيذ مشروعات تحويل روافد نهر الأردن.

وبعد اتخاذ القرار كان لا بد من البحث فى نتائجه، فأعلن رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة على على عامر أن تدخلاً عسكريًّا من جانب إسرائيل أمر لا مناص

(١) منظمة التحرير الفلسطينية : مواقف حاسمة وقومية فى قضية فلسطين ، بدون تاريخ وإصدار ، ص ٢٣-٢٩.

منه خلال تنفيذ مراحل الإعمار ، الأمر الذى يستدعى النظر فى وضع قوات عسكرية عربية مشتركة منذ بداية تلك الأشغال ، غير أن كل من لبنان والأردن لم يقبلا مطالب الفريق/ على على عامر وعارضت الدولتان فى وجود قوات مصرية فى أراضيها فى وقت السلم.

وانقاذاً للمؤتمر من الفشل تقرر الاكتفاء بالإجراءات المأمونة وقصور الأعمال الأولى فى عملية التحويل على بناء سد على نهر اليرموك الذى لم تعترض عليه إسرائيل من قبل فى مشروع جونستون(1). وفيما يتعلق بقيام منظمة التحرير الفلسطينية فقد حدثت ردود فعل متباينة، فالأردن يشك ويخشى من قيام عمل فلسطينى مستقل، لأن ذلك سينازعه الصفة التمثيلية للفلسطينيين وقد أوضح الأردن بالفعل فى مناسبات عديدة أن قيام كيان فلسطينى فى الأردن يمكن أن يهدد مستقبل الوحدة بين الضفة الشرقية والضفة الغربية للأردن ويمكن أن يثير الحساسية بين الفلسطينى والأردنى داخل الأردن.

وفى سوريا: أصدر حزب البعث خطة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية تتكون من نقطتين ، فطالبت الخطة بمنح الفلسطينيين السيادة الكاملة على فلسطين بحيث يقوم الكيان الفلسطينى فى المنطقة المتبقية من فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة ومنطقة الحمة) وأن تقوم العضوية فى مؤسسات الكيان الفلسطينى على أساس الانتخابات، ورد الشقيرى معترضاً على هذه الخطة.

أما السعودية فقد أوضحت أنها لا تعارض الكيان الفلسطينى ، وإنما يتركز تحفظها فى نقد طريقة بناء هذا الكيان.

أما لبنان فقد أعلن موافقته على قيام منظمة التحرير الفلسطينية ككيان سياسى، ولكنه لم يقبل أن تنتهز المنظمة هذه الفرصة لتمارس مهامًا عسكرية فى صورة تدريب الفلسطينيين فى لبنان عسكريًا.

---

(١) أحمد الشقيرى: على طريقة الهزيمة مع الملوك والرؤساء، دار العودة ، بيروت، ١٩٧٢ ، ص ٥-٧.

كذلك أعلنت ست منظمات فلسطينية سرية أنها ترى أن الكيان الفلسطينى نشأ جهازاً سياسياً خاليًا من المضمون الثورى وأنها ترى أن الكفاح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهكذا لم يكن مؤتمر القمة العربى الثانى بأسعد حظاً من مؤتمر القمة العربى الأول ، ولم يكن الملوك والرؤساء العرب على مستوى الجدية أو الصدق ، فلقد حاول الملوك والرؤساء إثبات رغبتهم فى تنفيذ قراراتهم "الضخمة" بشأن مشكلة فلسطين ابتداء بإنشاء هيئة الروافد إلى تكوين قيادة عربية موحدة ووصولاً إلى أعداد الشعب الفلسطينى للقيام بدوره فى تحرير وطنه بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، فقد ابتدعوا أسلوباً جديداً للتنفيذ والتطبيق لم يسبقهم إليه الذين سبقوهم فى الأربعينيات من الملوك والرؤساء وهو ما تلقفته إسرائيل بذكاء وحذق ومهارة انعكست على استغلالها هذه القرارات المعلنة بأساليبها الدعائية.

ثم ظهرت بوادر الأزمة بين العرب وألمانيا[1] إلى أن بدأت فى شهر ديسمبر ١٩٦٤ حينما ألقى عبد الناصر خطابًا ندد فيه بصفقات الأسلحة الألمانية الموردة لإسرائيل والتى تدفع الولايات المتحدة الأمريكية ثمنها، ثم دخلت الأزمة فى طور حاد يوم ١٤ من يناير ١٩٦٥ فحينما تلقى والتر أولبرخت رئيس مجلس الدولة فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية الدعوة إلى زيارة مصر، كما أكد عبد الناصر للسفير الألمانى فى القاهرة أن مصر سوف تعترف بألمانيا الشرقية إذا ما استمرت صفقات الأسلحة الألمانية إلى إسرائيل.

ورداً على ذلك فى اليوم السابع من مارس أعلنت حكومة ألمانيا الاتحادية قطع المعونة الاقتصادية عن مصر وأن الإجراءات سوف تتخذ فوراً لإقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل.

وفى ١٢ مايو ١٩٦٥م تم إقامة العلاقات الدبلوماسية رسميًا بين ألمانيا وإسرائيل وفى اليوم التالى قطعت كل من مصر وسوريا ولبنان والعربية السعودية

(١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٦، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧، ص٥٧٥.

والأردن والكويت واليمن والجزائر تلك العلاقة، وفى ١٦ من مايو اتخذت السودان قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا ، أما المغرب وتونس وليبيا فقد رفضت الاشتراك فى هذا القرار(١).

ونشأت خلال هذه الفترة المحاولات الرامية إلى تخفيف حدة الصراع العربى الإسرائيلى من داخل المنطقة ذاتها حيث عرض الرئيس بورقيبة - عقب زيارته مصر والأردن وأرجاء أخرى من الشرق الأوسط - نوعاً من أنواع الحلول للمشكلة الفلسطينية ، وهو تجميع دول الشرق الأوسط داخل نطاق اتحاد تجد إسرائيل مكانها فيه على أن الواجب يقضى مع ذلك على إسرائيل أن تقبل عودة جزء من اللاجئين إلى بلادهم وأن تدفع التعويضات للجزء الأكبر منهم وأن مشكلة فلسطين لا يمكن حلها إلا بالقضاء على إسرائيل - الذى يبدو عملاً محفوفاً بالمخاطر وغير محتمل الحدوث ولا بتدعيم تلك الدولة - الذى يبدو عملاً لن يرضى العرب.

أما رد الفعل العربى فجاء عنيفًا فقد ساد الهياج والاحتجاج الرأي العام العربى، وأعلنت الأوساط الغربية تقديرها لشجاعة الرئيس بورقيبة، وكذلك أعلن الاتحاد السوفيتى تأييده لبورقيبة الذى أخذ لنفسه وضعاً يزداد ميلاً نحو حل النزاع بطريق المفاوضات(٢). غير أن إسرائيل أعلنت رفضها لمشروع بورقيبة، وقدم ليفى أشكول حلاً آخر يقوم على أساس تحديد التسليح وخضوعه للرقابة المتبادلة بين العرب وإسرائيل وتخصيص الموارد المتحصلة عن هذا الطريق لتوطيد اللاجئين الفلسطينيين فى البلاد العربية.

وهكذا فشلت فى عام ١٩٦٥ المحاولة التى قام بها الرئيس بورقيبة والمحاولات الأخرى التى تولدت عنها.

(١) أحمد الشقيرى: المرجع المشار إليه، ص٣٠.

(٢) أحمد الشقيرى : المرجع المشار إليه ، ص٢٠١-٢٠٥.

وفى ظل هذه الظروف أعلن حزب البعث عداءه التقليدى لجمال عبد الناصر، وكانت الأوضاع العربية وأحوالها بادية الضعف، فمعظم قوات الجيش المصرى مقيدة الحركة فى اليمن ، والاستنزاف للاقتصاد المصرى مستمر ويزداد بدرجة خطيرة ، والجيش العراقى يخوض غمار حرب غير محققة النتائج ضد الأكراد ، والجيش الأردنى كان يعيد تنظيم قواته ، والجيش السورى كان فى حالة شلل من جراء أوضاع سوريا السياسية والاقتصادية المتعثرة.

وفى إسرائيل كان هناك من يرى أن هذه هى أحسن الظروف مناسبة لشن الحرب على العرب فوراً ، شرع قادة إسرائيل يكاشفون الرأي العام الإسرائيلى والعالمى على السواء بالموقف الحازم "يجب اتخاذ إجراءات عسكرية لمنع الدول العربية من تنفيذ برامجها الخاصة بتحويل روافد نهر الأردن".

وفى هذه الظروف عقد مؤتمر القمة العربى الثالث فى الدار البيضاء فى الفترة من ١٣-١٧ من سبتمبر ١٩٦٥م، ومع أن المؤتمرين الأول والثانى عقدا خلال عام ١٩٦٤ إلا أنه لا يمكن فصل ما أسفر عنه هذان المؤتمران عن نتائج المؤتمر الثالث وكان أهم قراراته عن "ميثاق التضامن العربى".

وفى الفترة التالية لمؤتمر القمة العربى الثالث برزت مرة ثانية جذور التنافس بين الدول الملكية والدول الثورية التى هاجمت سياسة مؤتمرات القمة برمتها ، كذلك اتسمت فترة مؤتمرات القمة برفض الرأي العام العربى للحلول التى لا تتلاءم وأهداف العمل الجماعى العربى آنئذ، أيضًا اتسمت فترة ما بعد مؤتمر القمة العربى الثالث بتوتر العلاقات وبالاختلافات والاتهامات المتبادلة والتشكيك، فإذا كان هناك عدم رضا المملكة العربية السعودية والأردن على طلب مصر تأجيل مؤتمر القمة العربى المقرر عقده فإن هناك قيام الأردن بشن هجوم إعلامى على مصر، وهناك أيضاً مسألة توتر العلاقات بين سوريا والأردن إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

وفيما يختص بالعمل الفلسطينى فقد انقسم إلى صيغتين ، إحداهما منظمة التحرير الفلسطينية والأخرى منظمة فتح التى مدت سوريا لها يد المساعدة الفعلية، ولم تستطع منظمة التحرير الفلسطينية الاستحواذ على رضا سوريا لها بالرغم من كونها من الدول الثورية، وبالطبع لا يمكن فصل ذلك عن قضية التنافس الشديد بين مصر وسوريا ، حيث أيدت الأولى منظمة التحرير واتجهت الثانية إلى توجيه تأييدها الرئيسى إلى حركة التحرير الوطنى الفلسطينى "فتح" ، ولكنها لم تنفض يدها عن منظمة التحرير الفلسطينية.

وأصبح موقف سياسة الدول العربية بالنسبة إلى النفوذ الأمريكى والسوفيتى كالتالى:

١ - دول يعتمد عليها الغرب فى تحقيق إستراتيجية وزيادة مركز ثقل إيران (التى حاولت أن تكون البديل عن مصر كقوة مؤثرة فى المنطقة) : السعودية - الأردن - تونس - المغرب - السودان - لبنان - الكويت (بعد استقلالها).

٢ - دول استطاع النفوذ السوفيتى الحصول على صداقتها وتأييدها : الجمهورية العربية المتحدة (مصر - سوريا) وإن كان فى سوريا استطاع التغلغل بواسطة الحزب الشيوعى أكثر من مصر - العراق والذى استطاع أن ينفذ إلى عبد الكريم قاسم رئيس الجمهورية وأصبح الحزب الشيوعى العراقى يتولى السلطة فى العراق، كما اتجهت الجزائر بعد حصولها على استقلالها من فرنسا إلى اتخاذ الأسلوب الاشتراكى كمنهاج لسياستها.

٣ - دول حاولت اتخاذ سياسة الحياد الإيجابى ومحاولة منح الدوران فى فلك الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى ومحاولة قيادة وزعامة المنطقة ، وكانت مصر بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر مثالاً لذلك.

تعليـــــق:

هكذا كانت حال الدول العربية ، انقسامات ومحاور واختلافات حتى وصلت إلى صدام مسلح طوال فترة الستينيات مما جعل الوصول إلى حل أو حلول للصراع العربى الإسرائيلى ليس له الأولوية المطلقة ، وذلك ظهر على السطح لم يجد له الحلول والإستراتيجيات ، فبالرغم من وجود العدو ومعرفته لم يخطط أية خطة إستراتيجية محددة المعالم قابلة للتنفيذ كحد أدنى للدول العربية بل استمرت حال الدول العربية فى التردى بينما كانت إسرائيل تسير حسب مخطط للاستعداد لجولة أخرى ويمكن أن نحدد موقف الدول العربية فى النقاط التالية:

١- محورين أساسيين هما الرجعية والتقدمية ، وأهم ظاهرة هى النماذج فى التسميات البراقة وليس فى مضمون العمل.

٢- الصدام المسلح فى اليمن بين مصر وهو القوة الرئيسية فى الصراع العربى الإسرائيلى مع الفصائل اليمنية بمساندة مباشرة من السعودية ، مما أثر على الكفاءة القتالية والاقتصاد المصرى وبجانب آخر تورطت القوات العراقية فى حرب أهلية مع الأكراد.

٣- التشرذم بين الكتلتين الشرقية والاتحاد السوفيتى والكتلة الغربية والولايات المتحدة كان لا يكفى الدول العربية التمحور الإقليمى ، ففى المحور اليسار كان الخلاف بين سوريا ومصر.

٤- عدم وجود خطط الاستعداد القتالى والعمل على تسليح القوات المسلحة العربية بالأسلحة الحديثة ، وحتى فى التخطيط لمواجهة تحويل نهر الأردن كان تخطيطًا على ورق لا أكثر أو أقل.

٥- رفض جميع المشاريع المقدمة من بعض الدول العربية الخاصة بحل المشكلات الفلسطينية وعدم تقديم بديل لأي حل تقدمت به دولة عربية ، وهذه هى طريقة العرب دائماً.

٦- ولادة منظمة التحرير الفلسطينية هى إحدى الإيجابيات فى هذه المرحلة ولكنها ولدت بذور الخلاف والانشقاق العربى مما أضعف تأثيرها وفاعليتها.

الإستراتيجية الإسرائيلية للاستعداد لجولة أخرى.

وعت إسرائيل الدرس المستفاد من حرب عام ١٩٥٦م وبدأت تخطط للبحث عن حليف قوى بدلاً من بريطانيا وفرنسا الدولتين اللتين زال نفوذهما فى منطقة الشرق الأوسط وأصبح لزامًا للسياسة الإسرائيلية أن تحدد الخطوط التى يجب أن تكون عليها إستراتيجيتها فى منطقة الشرق الأوسط وقد توصلت السياسة الإسرائيلية بعد بحث مكثف إلى مجموعة خطوط[1]:

١- الجيش الإسرائيلى - بفضل ما أتيح له من إمداد فرنسى، وبريطانى قبل المعركة وفى أثنائها - ما زال يمثل أقوى قوة ضاربة فى المنطقة، ومن الآن فصاعداً، فإن هذا الجيش لا بد له أن يحصل على أولوية مطلقة فى موارد إسرائيل، وكانت فرنسا على استعداد لتوريد السلاح حتى بعد المعركة على أمل أن تستطيع إسرائيل أن تكون رادعاً للحركة القومية العربية وبالذات بالنسبة إلى امتداد هذه الحركة إلى شمال إفريقيا وفى الجزائر بالتحديد.

٢- التركيز فى القوة الإسرائيلية على الطيران، فهو السلاح القادر على الحركة الخاطفة فى إحداث المفاجآت، وهو سلاح يتطور بسرعة وتتزايد طاقته بكثافة ، فمن النيران ما يمكن نقلها فى دقائق إلى أرض "العدو العربى" وإلى أعماقه البعيدة، فضلاً عن أنه سلاح لا يحتاج إلى حشد بشرى كبير لا تملكه إسرائيل التى كان تعدادها فى ذلك الوقت لا يزيد على مليونين ونصف المليون من البشر.

(١) محمد حسنين هيكل :سنوات الغليان، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، من ملف الأمن والدفاع فى مجلس الوزراء الإسرائيلى، ص ١٣٨.

ولقد كلف "شيمون بيريز" و "موشى ديان" بالحصول من فرنسا على خطط عمليات القيادة الجوية المشتركة التى قامت بتوجيه الضربة الجوية الأولى إلى مصر وكانت فرنسا مستعدة ليس فقط لتسليم الخطط، ولكن لتسليم العمليات ذاتها.

٣- إحاطة الجيش الإسرائيلى بهالة أسطورية تستند إلى تقدمه السريع فى سيناء لتكون من هذه الهالة الأسطورية فى حد ذاتها قوة ردع نفسية تفرض الخوف فى نفس الأعداء.

٤- ضرورة البحث عن حليف دولى قوى يحل محل فرنسا الأكثر إخلاصاً وإن كانت أقل قوة ، وبريطانيا التى كانت باستمرار موضع تساؤل وشك بسبب روابطها التقليدية مع القبائل الحاكمة فى أجزاء متعددة من الوطن العربى.

وكان الاختيار الطبيعى هو "الولايات المتحدة". ولكن الولايات المتحدة كانت فى ذلك الوقت رغم تعاطفها الشديد مع إسرائيل، ترسم لنفسها سياسة عربية طموحة تحل بها محل الإمبراطوريتين القديمتين (بريطانيا وفرنسا) وقد بدا بعد المعركة أن سقوط نفوذهما ووجودهما فى المنطقة مؤكد ومحقق، ومع ذلك فإن الضرورات هى الضرورات، فليس هناك بديل للولايات المتحدة خصوصاً إذا دب الخلاف بين هذه الإمبراطورية الصاعدة وحركة القومية العربية التى بدت قوة مؤثرة على الأرض العربية.

٥- وكان الجسر الرئيسى هو اللوبى الصهيونى بالولايات المتحدة، ويهود العالم عموماً، وهكذا فإن مسلك الاستعلاء الذى كانت الدولة اليهودية تمارسه إزاء الهيئات اليهودية الأمريكية والعالمية من قاعدة أنهم آثروا الحياة فى التيه على العودة إليها واكتفوا بضريبة المال بديلاً عن ضريبة الدم، وبالتالى فليس لهم أن يشاركوا فى رسم سياستها (ولكن هذا المسلك بدأ يقل كثيرًا) ويظهر ليهود العالم أن دولتهم الموعودة تضع مصيرها أمام أعينهم بعد أن تخلى الكبار عنها، وكانت تلك فترة بها شبه اندماج بين الحركة الصهيونية فى العالم والدولة اليهودية فى

فلسطين، وتشهد الطفرات التى طرأت على حجم المساعدات اليهودية لإسرائيل على هذه الحقيقة، ففى حين أن ما جمعته إسرائيل من يهود العالم كان سنة ١٩٥٦م فى حدود مائة مليون دولار، فإن هذا المبلغ وصل سنة ١٩٥٧م إلى خمسمائة مليون دولار[1].

٦- تقوية الاتصالات بين إسرائيل والولايات المتحدة وتأكيد مفهوم أن إسرائيل تستطيع ان تقوم بدور فى المنطقة وأنها الحليف الرئيسى لها وأن اعتماد إسرائيل أساساً على الولايات المتحدة حتى أعلن الرئيس كيندى فى عام ١٩٦٢م أن إسرائيل حليف الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

٧- تقوية القوات المسلحة الإسرائيلية وإيجاد أكثر من مصدر سلاح ، فبعد صفقة الطائرات سوبر ميستير من فرنسا تسلمت من بريطانيا غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طنًا ضمن صفقة سلاح قيمتها ٥٠ مليون جنيه ثم صفقة الدبابات السنوتريان، وبعد ذلك تم التوصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتكون مصدراً لأول مرة للسلاح وتمكن الضغط الصهيونى فى الولايات المتحدة من عقد صفقة الصواريخ هوك فى شهر أغسطس عام ١٩٦٢م وبهذا أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مورداً للسلاح لإسرائيل.

٨- استغلال عقدة اضطهاد اليهود لدى ألمانيا الاتحادية وتم عقد اجتماع بين بن جوريون وأيزنهاور رئيس ألمانيا فى عام ١٩٦٠م وتم توقيع اتفاقية سرية للمعونة بالأسلحة وبالنواحى الاقتصادية ، وكانت المساهمة الألمانية فى المعونة الاقتصادية بمبلغ ٣٥-٤٠ مليون دولار بعد انتهاء مدفوعات التعويضات عام ١٩٦٥م، أما المعونة العسكرية كانت حوالى ٥٠ مليون دولار[2] فى السنة من عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٦٥م.

(١) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، ص١٤٠.

(٢) المخابرات العامة، تقرير بدون - المساعدات الألمانية لإسرائيل ١٩٧٥.

٩- اعتبار القوة النووية هدفاً أساسياً فى الضرورات الإسرائيلية، فهذه القوة ضمان أخير إذا عزت واردات السلاح التقليدى فى يوم من الأيام، ثم أن هذه القوة لا تحتاج إلى حشود بشرية فى ميدان القتال يمكن أن تكلف إسرائيل تضحيات بالدم لا قبل لها بها فضلاً عن أن السلاح النووى أرخص فى التكلفة على المدى البعيد من سباق الأسلحة التقليدية، فوجود سلاح نووى حتى وإن استحال تطويره إلى المستوى الأرقى فى العالم فهو سلاح رادع حتى فى أشكاله البدائية. وقد قامت إسرائيل بوضع سياستها موضع التنفيذ بتطبيقها فى سرية وغموض.

فى إطار القوة القومية تم الاتفاق مع الحكومة الفرنسية قبل تولى الرئيس ديجول الحكم رفع طاقة مفاعل "ديمونة" من ٥٠٠ كيلو وات إلى ٢٤٠٠٠ كيلوات حرارى[1]. كما قامت فرنسا بتسليم إسرائيل من كمية من اليورانيوم الطبيعى إلى جانب معدات التبريد باستعمال الماء الثقيل ، وكان ذلك يسمح لإسرائيل فى يوم من الأيام بإمكان تحويل البلوتونيوم المحترق إلى قنابل ذرية.

وأقامت إسرائيل وحدة للأبحاث النووية فى معهد "وايزمان" (أهم معاهد العلوم والتكنولوجيا فى إسرائيل) وتوجهت بالدعوى إلى كل العلماء اليهود بأن يهرعوا إلى الوطن الموعود ليضيفوا علمهم إلى عوامل آمنة ، بل وبقاءه ، وكان أبرز الذين ذهبوا سراً فى ذلك الوقت الدكتور "ادوارتيللر" وهو عالم أمريكى من أصل هنجارى شارك فى صنع القنبلة الهيدروجينية وقد بقى "تيللر" سنتين كاملتين وراء جدران معهد "وايزمان"[2].

١٠- استغلت إسرائيل تورط مصر فى حرب اليمن وامتلاك قدرات عسكرية واقتصادية فائقة ؛ للعمل على تحقيق هدف محدد هو تحويل مجرى نهر الأردن ،

(١) لواء د/ كمال محمد فايد: الاستخدام السلمى للطاقات النووية وتوجهها لامتلاك قوة ردع بمسرح الحرب بالمنطقة العربية، ١٩٨٧، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

كما ساعدت على استمرار التورط المصرى فى حرب اليمن بالاشتراك وتنفيذ خطة "ماجو"(١). والتحدث على دور الولايات المتحدة وبريطانيا فى احتجاز قسم رئيسى من القوات المصرية فى اليمن مما يعطى لها الحرية والقدرة على العمل فى المنطقة.

١١- باستخدام اللوبى الصهيونى والإرهاب ضد العلماء الألمان فى مصر الذين يعملون فى مشروع صناعة الصواريخ بمصر، تمكنت إسرائيل من إدخال الولايات المتحدة كطرف فى الضغط على مصر من أجل تجميد مشروع الصواريخ فى مصر ، وكذلك لتوسيع شقة الخلاف والإساءة إلى العلاقات المصرية الأمريكية وقطع المساعدات الاقتصادية عنها.

١٢- بذلت إسرائيل جهداً كبيراً لإقناع الولايات المتحدة باعتمادها وكيلاً لها فى أفريقيا بالذات فى الدول حديثة الاستقلال واعتمدت على أن هذا النشاط يناسب الولايات المتحدة الأمريكية ويخدم أغراضها بكامل التكاليف للأسباب التالية:

(أ) أن الخبرة الإسرائيلية رخيصة، فالخبير الإسرائيلى لا يتكلف أكثر من ٨٠٠ دولار فى الشهر فى حين أن أي خبير أمريكى يحتاج إلى ضعف هذا المبلغ على الأقل.

(ب) إسرائيل دولة أصغر، فإنها يمكن أن تكون أكثر نفاذاً إلى دول أفريقيا.

(جـ) ٥٠٪ من سكان إسرائيل من أصل آسيوى وأفريقى فإن ذلك يجعلهم قادرين بسرعة على التأقلم.

١٣- استمرت محاولات إسرائيل لإبرام الصلح مع جيرانها العرب وضمان بقائها ومحاولة الحصول على ذلك من الاتحاد السوفيتى باستغلال مقررات مؤتمرات

---

(١) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، ص ٦٧٠.

القمة العربية ومشاريع الوحدة الثلاثية وإظهار بقاء إسرائيل فى خطر من جانب الدول العربية بإظهار العرب بأنهم يعملون على إزالة إسرائيل وأنها محتاجة إلى الأمن والحماية من الولايات المتحدة الأمريكية.

١٤- ما أن ساءت العلاقة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية حتى تغيرت الإستراتيجية الإسرائيلية إلى أسلوب آخر ، وهو استعراض القوة لجيرانها والحد من العمل الفدائى العربى الذى بدأ بميلاد منظمة فتح الفلسطينية واعتباراً من عام ١٩٦٥م قامت بتصعيد العمليات العسكرية الحادة فشنت فى يوليو ١٩٦٦م هجوماً جويًا كبيرًا على مناطق التحويل فى سوريا لتدمير المعدات المخصصة لتنفيذ مشروعات المياه عند منابع الأردن، وفى نوفمبر ١٩٦٦م شنت إسرائيل عدواناً بريًا واسع النطاق ضد قرية السموع فى قطاع الخليل بالضفة الغربية للأردن ؛ مما أدى إلى قتل ما يزيد عن ٢٠٠ مواطن من سكانها وكانت هذه العملية الوحشية سبباً فى ازدياد التوتر وتصاعد الصدام المسلح عبر الحدود وخطوط الهدنة.

إستراتجية الدول العربية تجاه الاستعداد لجولة مقبلة:

كانت الدول العربية مشتبكة فيما بينها وزادت الانقسامات والمحاور والصدام العسكرى فى اليمن والعراق وبين الجزائر والمغرب ، وأصبحت سوريا بعد انقلاب البعث وتولى صلاح الحكم أكثر يسارية وأقرب إلى الاتحاد السوفيتى الذى كان يطمع فى تكوين أول دولة شيوعية عربية ، أما السعودية وحليفتها الأردن كانتا تهاجمان مصر فى اليمن ، وبذلك لم يكن هناك استعداد حقيقى لإرادة صراع مع إسرائيل ولكن مكان مصر وهو القوة الرئيسية فى هذا الصراع والذى لا يبالغ إذا قلنا إنها تحملت ٩٠٪ من هذا الصراع كان يجب عليها أن تراقب وتعمل على أن تكون جاهزة لجولة مقبلة ، لهذا أستعرض ما تم فى مصر خلال فترة الستينيات قبل حرب يونيو ٦٧ وكان كالتالى:

العمليات فى اليمن :

مع بداية الستينيات حدث الانفصال المصرى السورى والذى نتج عن حصاد القاهرة من معظم الدول العربية وفى هذه الفترة حدث فى سبتمبر ١٩٦٢م ثورة اليمن فأخذها الرئيس عبد الناصر فرصة لرد ما قامت به السعودية كدور هام فى الانفصال السورى عن مصر ووجدها فرصًا لنقل الهجوم على أعتاب دار السعودية بجانب استرداد هيبة مصر وزعامتها إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل تقدير عبد الناصر أيضاً للاعتبارات "الجبويوليتيكية" اتصالاً بانتشار النفوذ المصرى والوجود العسكرى فى جنوب الجزيرة العربية.

وكان موقف مصر مؤيداً للثورة فى اليمن فقد اعترفت مصر بالنظام الجديد ، وكان التقدير المصرى أن مساندة الثورة ستقتصر على دعمها سياسيًّا بينما يتولى رجالها تأمينها والسيطرة على البلاد ، ولكن الأمور لم تجر على هذا النحو المنشود ، فقد أثار انهيار الجيش وقرار البدر وعدم سيطرة الثورة على البلاد ، فتم توقيع مصر واليمن على معاهدة الدفاع المشترك وأصبحت السند السياسي والقانونى للدعم المصرى العسكرى فى مواجهة القوى الخارجية التى بادرت بالتدخل ضد الثورة ، مما أدى إلى إرسال وحدات متكاملة لوضع نهاية سريعة لمقاومة الملكيين ، ومنذ منتصف نوفمبر كان لمصر فى اليمن عشرة آلاف جندى[1] وفيما بين ديسمبر ١٩٦٢م وأبريل ١٩٦٣م فشلت مبادرتان أمريكية ودولية لتحقيق تسوية للحرب الأهلية، يتم بمقتضاها انسحاب القوات المصرية من اليمن وإزاء تصاعد عمليات القوات الملكية التى أصبحت أقدر على التصدى لقواتنا وشن عمليات هجومية أوسع نطاقاً أصبح على مصر تعزيز قواتها ، وبذلك تم زيادة حجم القوات المصرية حتى أصبحت من ٤٠٪ إلى ٦٠٪ من القوة العاملة للقوات ، مما أخل بالتوازن

(١) د/ عبد الرحمن الهوارى: الدور المصرى فى اليمن، ١٩٨٨، ص ٨٢.

الإستراتيجى للقوات[1] وأثر سلبيًا على قدراتها القتالية وأنهك بصورة جوهرية مواردها الاقتصادية مما اضطر مصر إلى إيجاد إستراتيجية جديدة وهى الالتزام بسياسة الدفاع الإيجابى عن مثلث صنعاء - تعز - الحديدة لإمكان تخفيض حجم القوات المصرية بحلول مايو ١٩٦٦م وأصبح اليمن مقسمًا إلى منطقة جمهورية ومنطقة ملكية ، ولكن نتيجة لخطة الاستنزاف التى وضعت للقوات المصرية من الجانب المعادى لم تستطع تنفيذ هذه السياسية.

وبخروج الولايات المتحدة من أزمة كوبا ١٩٦٢م كانت اتجاهات سياستها ملخصة فى الآتى:

١- الاستمرار فى تبادل الاتصال المباشر مع جمال عبد الناصر على هيئة مراسلاته بين الرئيس كيندى والرئيس عبد الناصر وكان هدفها منع ازدياد النفوذ والتدخل المصرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تأمل فى مقابل الاعتراف المشروع بالنظام الجديد أن يسحب جمال عبد الناصر قواته من اليمن وردها إلى داخل بلاده.

٢- المساندة والدعم للسعودية وللأسرة المالكة وضمان الحماية لهم من التدخل المصرى ، وقد وضعت خطة عمل أطلق عليها الاسم الرمزى (السطح الصلب)[2]. وبعد أيام تقدم "كومر" بخطة العمل لها ، وكان مجمل هذه الخطة يقضى بإجراء عرض للقوة الأمريكية فى السعودية يتمثل فى إجرائين:

أولهما: إرسال سرب واحد من الطائرات إلى السعودية للمرابطة فى أحد مطاراتها مع الإعلان عن ذلك بطريقة تلفت الأنظار إلى أن هناك تعهدًا أمريكيًا قاطعاً بالدفاع عن أمن السعودية ونظامها.

(١) د/ عبد الرحمن الهوارى: المرجع السابق، ص ٨٥.

(٢) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، المرجع السابق، ص ٥٢٠.

والثاني: إرسال أسطول صغير من المدمرات الأمريكية يقوم بزيارات لموانئ المنطقة الشرقية لكى يحقق ذلك مزيداً من التأكيد للضمان الأمريكى.

٣- الاستمرار فى مساندة عبد الناصر اقتصاديًا مما يؤدى إلى زيادة إمكانيات الضغط عليه، وكانت القوة المؤثرة فى حرب اليمن إلى جانب الملكية ، وهى السعودية والأردن والتى تم عقد اتفاقية الطائف بينهما فى ٢٩ أغسطس عام ١٩٦٢م وهى تشمل مجالات سياسية واقتصادية وعسكرية وتستهدف فى الواقع تحقيق تحالف بين القوتين وتنسيق الدعم للقوات الملكية بالسلاح والأموال والتدريب، هذا بالإضافة إلى بريطانيا العظمى وكانت سياستها ترى أنها قد تخرج من تحت المظلة الأمريكية مهما كان الثمن ؛ لأنها وجدت نفسها مهددة عند آخر موقع بقى لها عند نقطة التقاء بالبحر الأحمر مع المحيط الهندى ، وكان رأي السياسية البريطانية مخالفاً لرأي الرئيس كيندى الذى كان لا يزال ميالاً إلى حل توفيقى فى حين أن الحكومة البريطانية كانت ترى ضرورة مواجهة جمال عبد الناصر بالحزم إلى درجته القوية ؛ لهذا اتجهت بريطانيا إلى تعاون وثيق مع السعودية وأصدقائها وكذلك مع بعض القوى الهامة فى الولايات المتحدة.

وبدأ الصدام بين بريطانيا ومصر ، فقد وجهت بريطانيا فى ٢٨ مارس عام ١٩٦٢ ضربة لمنطقة حرب فى شرق اليمن.

وكان هذا الصدام أحد الأسباب التى أدت بمصر إلى التدخل فى جنوب اليمن بالإمداد بالسلاح وتشجيع الثوار ولمحاربة الاستعمار البريطانى ففى ٢٥/ ٦/ ١٩٦٤م أنشئ مكتب خاص للإشراف على عمليات ثوار الجنوب وسميت بالعملية (صلاح الدين) وتم تكوين عدد اثنين من اللواءات أرقام ٢٠١ - ٢٠٢ بقوة ٦ كتائب فى ٢٨/ ٣/ ٦٧ للعمل ضد القوات البريطانية بمعونة مصرية، وقد تشكلت فى الجنوب اليمنى المنظمات لمواجهة الاحتلال البريطانى الآتية:

١ – منظمة تحرير الجنوب اليمنى تشكلت عام ١٩٦٥م.
٢ – الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل تشكلت عام ١٩٦٦م.
٣ – رابطة الجنوب العربى تشكلت عام ١٩٦٦م.
٤ – حركة القومية العربية تشكلت عام ١٩٦٦م .
٥ – جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل تشكلت عام ١٩٦٦م.

وكانت سياسة إسرائيل ترى أن التدخل المصرى وتورطه فى اليمن بالقوات والأموال يعمل على استبعاد مصر ولو مؤقتًا من التعرض لها وإضعاف القوات المصرية ، ولهذا كان من أهدافها زيادة التورط المصرى، وقد تأكد فيما بعد أن إسرائيل شاركت فعليًّا فى عمليات اليمن، وتولت إسقاط أسلحة وذخائر لجيوب الملكيين المحاصرة فى جبال اليمن ، وكانت تمارس هذا النشاط من قاعدة "جيبوتى" الواقعة تحت الاحتلال الفرنسى فى ذلك الوقت ، وكان الاسم الرمزى لدور إسرائيل فى عملية إسقاط الأسلحة والذخائر والمؤن على مواقع المرتزقة ، ففى اليمن هو "مانجو"[1] وإلى جانب ذلك قامت إسرائيل بنشاط على جبهة أخرى ، فقد استطاعت إسقاط أعداد من اليمنيين اليهود الذين هاجروا إليها لكى يزينوا فى محيط الجماهير اليمنية فى المدن أو القرى ، ويتراوح تقديرات أعداد اليمنيين الإسرائيليين الذين جرى إسقاطهم بالمظلات ما بين ثلاثمائة وأربعمائة فرد.

تعليـــــق:

١ – بالنسبة إلى ثورة اليمن عند تقييمها نجد أنها تتألف من مجموعة من ضباط الجيش وليست وحدات ، حيث لم يكن هناك جيش يمنى بالمعنى المعروف مع بعض المثقفين المعارضين ، وأغلبهم خارج اليمن ، وتفتقد إلى تأييد عناصر القوة المتمثلة فى القبائل ، وهى القوة المؤثرة فى اليمن وبالتالى فإن احتمالات استمرار الثورة من الاحتمالات الصعبة.

(١) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، المرجع السابق، ص ٦٧٠.

٢- كان يجب على مصر الخروج فى أسرع وقت بعد تأسيس الثورة حيث أنها مستنقع عسكرى واقتصادى يضر بمصر ، وكانت هناك فرصتان كالآتى:

(أ) فى فترة الرئيس كندى التى كانت إلى حد ما فترة هادئة فى العلاقات مع مصر ، وبعد اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالثورة اليمنية كان يمكن الاتفاق مع الولايات المتحدة على تأمين هذه الثورة فى مقابل الخروج من اليمن.

(ب) خلال أغسطس ١٩٦٥م تم توقيع اتفاقية جدة بين المملكة العربية السعودية ومصر كان يمكن أن تأمن القدرة ، ويتم خروج القوات المسلحة المصرية من اليمن ولما لم تخرج مصر من اليمن اتفق الجانب المعادى بتحالفاته المختلفة لخطة استنزاف لقوى مصر العسكرية والاقتصادية.

٣- كان يجب أن يكون مفهوماً على مستوى القيادة العليا (وهى هنا السياسة العسكرية) أن تتفادى العمل على جبهتين ، حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية (وهى قوى عظمى) قبل انتهاء الحرب الباردة كانت تقول إن إستراتيجيتها تعتمد على قدراتها على مواجهة ١.٥ حرب أي العمل على جبهة واحدة وتثبت الباقى إلى جبهات أخرى.

٤- كانت تكاليف العمليات فى اليمن من الضخامة بحيث أثرت اقتصاديًا على مصر، مما أدى إلى عدم استطاعة استكمال الخطة الخمسية الأولى وعلى نواحى كثيرة اقتصاد الدولة المصرية.

٥- كانت نوعية العمليات مختلفة تماماً عن مسرح العمليات مع إسرائيل حيث كانت تقاتل فى أراضى جبلية وضد مجموعات صغيرة وشعب تخالف ما يمكن أن تقابله القوات المسلحة المصرية بكل أفرعها ووحدتها بجانب الاستهلاك فى المعدات والأسلحة والشهداء الذين بلغوا ما يربوا إلى عشرين ألف شهيد بجانب الجرحى والمعاقين.

٦- بالرغم من أن التدخل المصرى فى اليمن وجنوب اليمن أفاد الاتحاد السوفيتى وأعطاه منفذًا على البحر الأحمر وفى نفس الوقت لم تأخذ مصر مقابلاً لهذه المعاونة فى تحقيق بعض أهداف الاتحاد السوفيتى على شكل صفقات سلاح تستعوض المستهلك أو رفع ديون عسكرية على مصر ، وليس من الغريب أن هذا هو الأسلوب العربى الذى يعطى بدون مقابل وهذا ليس من أساليب السياسة السلمية الناجحة لتكفل لكل فعل يجب أن يكون رد مساو له وبقيمته.

تصنيع وإنتاج صواريخ أرض أرض فى مصر

لا شك أن هذا القرار من القرارات الإستراتيجية الهامة والتى لو كانت نجحت لأحدثت تغييرًا شاملاً فى المنطقة ، لأن من الواجب أن تكون إستراتيجية الردع من مكونات الفكر المصرى فى الصراع العربى الإسرائيلى وقبل أن نستطرد فى موضوع تصنيع الصواريخ يجب أن نوضح ما هى إستراتيجية الردع.

لما كانت جوهر السياسة العسكرية هى الاستخدام السياسى للقوة كما أنها أيضاً تحول الحرب الساخنة إلى حرب باردة تلعب فيها السياسية العسكرية الدور الرئيسى تجنباً لاستخدام القوة ، فإن أكثر المبادئ أو السياسات التى يمكن أن تطبق هذا المفهوم هو سياسة الردع، حيث أنها فى جوهر مضمونها الاستخدام السياسى للقوة.

مفهوم الردع

إن الردع فى جوهر معناه منع أنواع معينة من الأحداث غير المنتظرة من النشوب ولكى تحقق هذا الهدف يصبح من الضرورى أن توصل بطريقة ما إلى العدو ما يمكن أن يحدث له إذا قام بإثارة أزمة ، وبهذا سوف نرد عن التحرك فى اتجاهات تعتبر ضارة له على الأقل طالما كانت هناك حلول بديلة أقل ضرراً مفتوحة أمامه كما أن سياسة الردع يجب أن تشكل نوعًا من التنبؤ بالتكاليف والأخطار التى سوف يجابهها الجانب الآخر إذا قام بأعمال معينة ، وذلك بالتنسيق مع السياسة الخارجية للدولة.

عند تنفيذ سياسة الردع يجب أن تحاط بجو من القابلية للتصديق وهذا يتحقق بالآتى:

(أ) مجال المقدرة:

إقناع العدو بأن مقدرونا أن نعمل وأن يعدل عن توجيه أي عمل عدائى.

(ب) مجال الخسائر:

إننا بعملنا سوف نفرض على العدو خسائر أعظم من الفوائد التى كسبها من الحصول على هدفه بامتلاك قوة مسلحة متطورة قوية قادرة.

(جـ)مجال النوايا:

لا بد أن يعلم أن الأدوات ليست موجود فحسب بل يعلم أنها قابلة للاستخدام وأننا جادون فى استخدام هذه القوة.

وهذا يتبين إما من تصرفات فى أحداث مماثلة فى الماضى وإما تصريحات أو سلوك الحكومة والرأي العام داخلياً وخارجياً.

وعلى هذا فإنه عند وضع السياسة الخارجية تكون أكثر فعالية إذا اعتمدت على قوة ردع فعالة ، وعليه فإن سياسة الردع تعنى الاعتماد بصفة أساسية على طاقة عظيمة للرد بالقوة الفورية وبوسائل وفى أماكن من اختيارنا ، وعليه يتم وضع شكل التنظيم العسكرى الذى يتناسب مع هذه السياسة بدلاً من محاولة الاستعداد لمقابلة اختبارات العدو المختلفة ، ونتيجة لذلك نحصل على الأمن للدولة بنفقات أقل ، ومن هذا المنطلق تبلورت سياسة الردع التى تؤكد أنه من أجل زيادة الرفاهية والرخاء لا بد لها من حارس قوى حكيم هو سياسة الردع.

ولهذا فإن وجود قوة صاروخية تكون عاملاً أساسيًا لردع القوى الإقليمية الأخرى ، وكانت البداية لهذا التصنيع قرارًا سليمًا ولكن ما تلاه من تصرفات أضرت بالمشروع فبينما كانت إسرائيل تبنى قوتها النووية فى سكون وسرية وغموض قمنا نحن بالإعلان والتهديد ، بحيث جلب الضغوط الأمريكية على مصر وعملت

إسرائيل على إفساده بالاعتداء وتهديد الخبراء الألمان وكان من المفضل العمل فى ذلك المشروع فى سرية وسكون حتى ينتهى المشروع بالكامل ، لأنه عند الإعلان عن سلاح ردع فإنه يجبر الجانب الآخر على العمل للوصول إلى حقيقة هذا السلاح ومدى فعاليته ، وحيث أن مشروع تصنيع الصواريخ لم ينته العمل منه وكان ينقص التوجيه إلى الصاروخ لكى يصل إلى هدفه بدقة وذلك عندما ينتهى أمره كسلاح ردع إذا توصل الجانب الآخر أن المشروع زائف، ولو كان قدر لهذا المشروع أن يكمل لكان غير كثيراً من الأحداث التى حدثت فى المنطقة.

كما تم إيقاف المشروع النووى المصرى فى منتصف الستينيات بجانب ذلك انشغلت القوات المسلحة بالمعاونة فى السد العالى وإدارة نقل القاهرة وإحداث الإقطاع وتصفيته وتعيين أهل الثقة بدلاً من أهل الخبرة.

ونتيجة للانتهاك الاقتصادى لم يستكمل بناء النطاقات الدفاعية فى سيناء إلا النطاق الأول كما أن الرئيس جمال عبد الناصر قال عام ٦٤/ ٦٥ تعقيباً على طلب قيادة القوات الجوية إنشاء دشم للطائرات باهظة التكاليف (بخلاف الدشم التى تم إنشاؤها فيما بعد)، "أعمل مخابىء للطائرات أم أشترى قمحًا للشعب؟[1]" .

الإستراتيجية الأمريكية تجاه مصر خلال عقد الستينيات

كانت الإستراتيجية الأمريكية أحد العوامل الرئيسية خلال فترة الستينيات وحرب ٦٧ ويمكن تقسيم الإستراتيجية الأمريكية تجاه مصر خلال تلك الفترة إلى الآتى:

أولاً: المرحلة الأولى: مرحلة الاحتواء لمصر (من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٣م):

يظهر ويوضح هذا المفهوم فى رأي الرئيس الأمريكى أيزنهاور فى القومية العربية فى أثناء مناقشة الشرق الأوسط فى اجتماع مجلس الأمن القومى[2] حيث قال

(١) اللجنة الفرعية العسكرية لتسجيل تاريخ الثورة ٢٣ يوليو ٥٢، حافظة ٦٠٠٤/ عام (٨).

(٢) مضبطة اجتماع مجلس الأمن القومى، بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٨.

"إنه يرى أن هناك أساساً لحركة القومية العربية، وعلينا إما أن نتعاون معها، وإما أن نحاول تغييرها وإما أن نقوم بمزيج من الأمرين "ثم أضاف "أيزنهاور" إنه حاول بكل جهده ينسق مع الملك سعود ، ولكن محاولته لم تسفر إلا عن نتائج هزيلة ورد "جون فوستر"(١) قائلاً: إن هذه السياسة على الأقل أعطتنا فسحة سنتين كاملتين فى المنطقة لكى نمنع تحولها إلى الشيوعية "ورد "أيزنهاور" بأن الموضوع كله يبدو له شديد التعقيد وأنه يحتاج إلى بحث معمق.

وقد قامت الإستراتيجية الأمريكية فى فترة الرئيس أيزنهاور على خطوط رئيسية تعتمد على الآتى:

١- انتزاع الملك "سعود" ملك المملكة السعودية من العلاقة مع "جمال عبد الناصر" وكان "أيزنهاور" يعتقد أن التعاون بين الثورة السعودية والثورة المصرية فى مقاومة حلف بغداد ، يعطى للحركة القومية فى العالم العربى تأثيراً فعالاً وقوياً وكان "أيزنهاور" يدرك أن عداء الملك "سعود" لحلف بغداد وتعاونه فى هذا المجال مع "جمال عبد الناصر" يرجع أساسًا إلى التناقض بين الأسرة السعودية الحاكمة فى الرياض والأسرة الهاشمية فى بغداد ، وعلى هذا الأساس فقد بدا له أنه يستطيع إقناع السعوديين بأن التناقض الاجتماعى بين الثورة أخطر وأعمق من العداء القبلى القديم.

٢- الفصل بين القاهرة ودمشق بمحاولتها تنفيذ انقلاب لصالحها وقد اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية موقفًا تكتيكيًا أمام وحدة مصر وسوريا لأنه منع الأخيرة من سقوطها فى يد روسيا ، ولكن استمر الخط الرئيسى للفصل بين الدولتين حتى نجح بالانفصال ، والذى لعبت فيه كل من السعودية والأردن دوراً رئيسياً.

(١) توجيه رقم ٢٢٧٩ لرؤساء البعثات الأمريكية فى الشرق الأوسط، عن السياسة الولايات المتحدة فى الجمهورية العربية المتحدة، بتاريخ ١٨ أبريل ١٩٥٨م.

٣- محاولة تصفية مركز وزعامة جمال عبد الناصر ، إما عن طريق العزل السياسى وإما عن طريق الحصار الاقتصادى وكذلك العمل على إثبات أن مصر اضطرت إلى تقديم بعض التنازلات فى حرب عام ١٩٥٦ وذلك يضعف من مركز جمال عبد الناصر خصوصاً أن الوضع الاقتصادى فى مصر أخذ فى التدهور ، والانتقادات فى ازدياد.

٤- محاولة تحرير فكر عبد الناصر من أن أصدقاءه الوحيدين هم السوفييت بتقديم المعاونات المحدودة.

٥- التعاطف مع القومية العربية ، وذلك كما صرح به مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط بعذ مقابلته جمال عبد الناصر فى القاهرة حيث أعلن أن الولايات المتحدة تعترف بحركة القومية العربية، وتحترم دوافعها ، وأن هذه هى سياسة "أيزنهاور" الجديدة.

٦- تقوية إيران عسكرياً واقتصاديًا كبديل لزعامة مصر وجمال عبد الناصر فى الشرق الأوسط.

وبتولى الرئيس جون كيندى السلطة فى الولايات المتحدة طلب من مستشاريه بحث العلاقات مع بلدان العالم الثالث لتحديد خطوط السياسة العامة للتعامل مع هذه البلدان وقد توصلوا إلى تحديد النقاط التالية:

١- مع إدراك أن مساحة العالم الثالث واسعة ومتنوعة، فإن هناك ثلاثة من البلدان لا بد من التركيز عليها وهى الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة.

٢- إن التعامل مع هذه البلدان الثلاثة يجب أن يجرى ليس بمقتضى العلاقات الثنائية معها، ولا باعتبار اتصالها بمشكلات إقليمية محدودة بموقعها من العالم، وإنما يجب أيضاً مع هذين المستويين إضافة مستوى ثالث ، هو اعتبار دور كل منها على النطاق العالمى وفى مجال التأثير الدولى. وقد طلب الرئيس كنيدى إلى مدير

المخابرات المركزية إلان دالاس أن تكون ملامح السياسة الأمريكية تجاه الرئيس جمال عبد الناصر فى خطين متوازيين هما[1]:

(أ) خط مساعدة "جمال عبد الناصر" فى المواجهة الدائرة بين الاتحاد السوفيتى والشيوعية العربية.

(ب) خط ردع "جمال عبد الناصر" عن تحويل مصر إلى قوة إستراتيجية فى المنطقة تضر بمصالح الغرب فيها بمجرد دعوتها وعملها على استقلالها لأن الاستقلال فى حالة مصر لا يمكن إلا أن يكون ضد الغرب باعتبار أن المنطقة داخلة فى إطار نفوذه التقليدى، ثم ركز "إلان دالاس" على دور السعودية باعتبارها مركز قوة الردع فى العالم العربى، ثم أوضح المشقة الكبيرة أمام السياسة الأمريكية حين يكون عليها أن تحافظ على "موطن الثروة" قريبًا جداً منها وأن تحافظ فى الوقت نفسه على "قوة الردع" فى متناول يدها مباشرة.

وقد تميزت فترة الرئيس كيندى بسياسة الاتصالات المباشرة وإيفاد مبعوثين شخصيين له إلى جمال عبد الناصر، ولما وجد الرئيس كيندى أن أكبر الصعوبات أمام الإستراتيجية الغربية فى المنطقة هى الصراع العربى الإسرائيلى وبدأ فى تنفيذ أولى التوصيات وهى الاتصالات المباشرة بين واشنطن والقاهرة ، بمبادرة منه حاول أن يجد حلاً لهذا الصراع.

ففى خلال عامى ١٩٦١م، ١٩٦٢م تم تبادل الخطابات بينه وبين جمال عبد الناصر[2]. لمعرفة أسباب الصراع ومحاولة لحله ، ولكن كانت الآراء مختلفة لكل من الجانبين ، فالرئيس كيندى تناول المشكلة على أساس أنها مشكلة لاجئين فى حين أن الرئيس عبد الناصر رأى أنها أكبر من مشكلة لاجئين وأن الحل فى النظرة التوسعية

---

(١) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، ص ٥٢١.

(٢) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، ص ٧١٤-٧١٥.

لإسرائيل ، وضرورة تطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة . وقد استمرت الخطابات المتبادلة بينهما أملاً فى إيجاد قنوات مفتوحة بين القاهرة وواشطن ، وكذلك جذب جمال عبد الناصر ناحية الغرب ومحاولة لإحلال السلام بين العرب وإسرائيل.

وقدمت الحكومة الأمريكية معاونات اقتصادية أهمها تزويد مصر بالقمح ، كما تبرعت لمشروع إنقاذ آثار أبو سمبل بمبلغ عشرة ملايين جنيه، ثم تطورت موضوعات الخطابات المتبادلة بين كيندى وعبد الناصر ، وذلك لنشوب ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م فى اليمن وبدأت حرب اليمن التى كانت تمثل خطراً على أهم أصدقاء الولايات المتحدة فى المنطقة وهى السعودية، كما أنها أدت إلى اقتراب مصر من منطقة البترول الذى يمثل تهديداً لمصالح الغرب الحيوية ، كما أن وصول القوات المصرية إلى اليمن يعطى لها اليد الطولى للسيطرة على شريان المواصلات العالمى البحر الأحمر ، بجانب ذلك فإن سياسة مصر تحولت إلى الهجوم المضاد والعمل خارج مصر رداً على أحداث الانفصال والتى تمثل خروجًا على هدف سياسة أمريكا بالنسبة إلى مصر التى كانت تخطط أن تهتم مصر بأحوالها الداخلية.

وتعتبر المراسلات هى الأجهزة فى عهد الرئيس كندى بجانب أزمة اليمن ، واتسع نطاق الموضوع فصار يشمل إسرائيل والمفاعلات النووية والصواريخ التى تقوم مصر بتصنيعها مما أوجد قليلاً من التوتر فى العلاقات بينهما.

ثانياً: المرحلة الثانية: الصدام بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية (من ١٩٦٤م إلى ١٩٦٧م):

كانت احتمالات الصدام بين الإستراتيجية الأمريكية وسياسة مصر كبيرة نتيجة لتغير الظروف فى الشرق الأوسط وبخاصة من ناحية مكانة مصر وزعماتها للمنطقة العربية وكذلك لتغيير القيادة الأمريكية وسياستها تجاه المنطقة.

ولقد كان أهم الأحداث التى وقعت فى منطقة الشـرق الأوسـط فى تلك الفترة ما يلى:

١- ثورة العراق فى فبراير ١٩٦٣ وكذلك الانقلاب البعثى فى سوريا فى مارس ١٩٦٣ ومباحثات الوحدة الثلاثية ، وأصبحت الجمهورية العربية محورًا لتجمع عربى.

٢- النزاع على تندوف المنطقة الغنية بالحديد على الحدود بين المغرب والجزائر وانحياز مصر إلى الجزائر ومساندتها بالقوات والعتاد ، كذلك دول من الكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى وكوريا تساعد الجزائر ، وفى الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تؤيد وتساند المغرب.

٣- كانت مصر ملتقى القمم طوال عام ١٩٦٤م:

(أ) مؤتمر قمة عربية فى القاهرة (١٣ يناير ١٩٦٤م).

(ب) مؤتمر قمة عربية سوفيتية بين " (خروشوف) " و"جمال عبد الناصر". وشارك فى مرحلة لاحقة منه كل من الرئيس الجزائرى "بن بيلا" والرئيس العراقى" عبد السلام عارف" مايو ١٩٦٤م.

(جـ) مؤتمر قمة أفريقى فى القاهرة يوليو ١٩٦٤م.

(د) مؤتمر قمة عربى ثان فى سبتمبر ١٩٦٤م.

٤- تزايد قرارات التأميم والاتجاه إلى الحل الاشتراكى فى جمهورية مصر العربية والاقتراب نحو الاتحاد السوفيتى.

٥- استمرار القوات والتدخل المصرى فى اليمن بالرغم من عقد اتفاقية جدة بين مصر والسعودية التى حدد فيها عقد مؤتمر بحرض للاتفاق بين الأطراف اليمنية المتنازعة ولكن انهار مؤتمر حرض وفشل تحقيق الاتفاق المصرى - السعودى وعاد الملكيين إلى استئناف نشاطهم وبذلك أصبحت حرب اليمن طويلة المدى.

٦- تدعيم مصر ومعها الهند ويوغسلافيا سياسة الحياد الإيجابى فى مؤتمر رؤساء دول وحكومات الدول المنحازة فى ١٥ اكتوبر ١٩٦٤م والذى صدر منه إعلان مبادئ السلام والتعاون الدولى.

٧- اتجاه مصر إلى زيادة تسليح وتقوية الجيش المصرى وتصنيع وإنتاج الصواريخ أرض/ أرض بالاستعانة بالخبراء الألمان مما يهدد أمن إسرائيل حليفة الولايات المتحدة الأمريكية.

٨- تجميد أية محاولة للصلح مع إسرائيل واستمرار الصراع العربى الإسرائيلى.

٩- التدخل المصرى بالسلاح والمعونة لثوار الجنوب اليمنى المحتل بغرض طرد بريطانيا من مستعمراتها فى عدن وذلك رداً على التدخل البريطانى فى حرب اليمن ، كانت بريطانيا تعتبر عدن وإمارات الخليج مناطق نفوذها، والذى نجحت فى أن تفرض اتفاقيات ومعاهدات غير متكافئة لفرض الحماية على هذه المناطق.

أما فى الولايات المتحدة فإنه يتولى الرئيس ليندون جونسون رئاسة الولايات المتحدة فإن مرحلة جديدة سيطرت على مخططى الإستراتيجية الأمريكية لأن شخصية لندون جونسون وفكرته كانت تميل إلى مساندة إسرائيل ، وضرورة تحطيم نفوذ عبد الناصر ، وتحجيم دور مصر فى منطقة الشرق الأوسط وعودتها إلى حدودها ، وهذا الفكر للرئيس جونسون لم يكن وليد لحظتها فإنه عندما كان عضواً فى الكونجرس وكذلك نائبًا لرئيس الجمهورية كانت هذه اتجاهاته وفكره.

وبدأت سحب الشكوك بين القيادتين الأمريكية والمصرية لأن الرئيس جونسون بدأ فترة رئاسته بإعلان فى اجتماع لجمع التبرعات لمعهد "وايزمان" (وهو أرقى المعاهد العالمية فى إسرائيل) وذلك فى ٦ فبراير ١٩٦٤م بأن الولايات المتحدة قررت أن تتعاون مع إسرائيل فى إيجاد طريقة رخيصة لتحويل مياه البحر المالحة إلى

مياه غير مالحة صالحة للري والشرب وذلك ضمن سياسة استخدام الذرة من أجل السلام ، كما أضاف فى خطابه أن الولايات المتحدة ستواصل سياستها الحيادية فى الشرق الأدنى إلا أنها مستعدة للوقوف مع أية دولة فى المنطقة يقع عليها عدوان من أية دولة أخرى فى المنطقة.

ومع بداية عام ١٩٦٥م تولى جونسون رئاسة الولايات المتحدة بعد فوز ساحق على منافسه مؤكداً انتخابه وتوليه مهامه ليس باعتباره نائب الرئيس الذى أكمل مدة رئاسة سلفه الذى اغتيل فجأة.

وبدأت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى الاتجاه إلى الشدة مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وفى منتصف عام ١٩٦٥م بدأت سياسة الحصار الاقتصادى[١] لمصر لمحاولة الحد من نفوذ جمال عبد الناصر ، وذلك بمنع إرسال شحنات القمح إلى القاهرة فى عام ١٩٦٥م - والتى تقدر بـ ٣٧ مليون دولار وما يمثل هذا المنع من مشكلات اقتصادية لها - وكانت استقالة السفير الأمريكى فى القاهرة "جون بادو" فى ١٧ مايو ١٩٦٤م فى ذلك الوقت تعتبر خسارة لأحد عوامل استمرار الحوار والفهم وعدم تصعيد دوافع الشك والاصطدام بين القاهرة وواشنطن ، فى وقت كانت تحتاج العلاقات بينهما إلى ذلك ثم تصعدت أزمة العلاقات العربية الألمانية فى عام ١٩٦٥م[٢]. والتى نشأت نتيجة اكتشاف صفقة السلاح بين إسرائيل وألمانيا الغربية وتزعم مصر الحملة ضد ألمانيا الغربية والغرب فى المنطقة وقطع العلاقات الألمانية العربية والاعتراف بألمانيا الديمقراطية ، واستمرت عوامل الشد والتوتر بين القاهرة وواشنطن ومنها سقوط طائرة أحد رجال البترول من أصدقاء الرئيس "جونسون" بوسائل الدفاع الجوى المصرى ،

---

(١) جون بادو: محاولة الاتصال، أمريكا بالعالم العربى، واشنطن، ١٩٦٧، ص١٤٧.

(٢) دكتور صلاح العقاد: تطور النزاع العربى الإسرائيلى ١٩٥٦ - ١٩٦٧م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٧٨-١٨١.

وبجانب ذلك استمرار الولايات المتحدة فى تشديد الحصار الاقتصادى ، وذلك بإيقاف المعونة عن مصر وكانت ١٠٠ مليون سنويًا وعدم تجديد اتفاقية القمح عام ١٩٦٦[1]. وأصبح أمام مخططى السياسة الأمريكية أنه لاستكمال إستراتيجية الغرب والسيطرة على منطقة الشرق الأوسط يجب أن تعود مصر إلى حدودها الداخلية وفقد نفوذها فى منطقة الشرق الأوسط ، وفى نفس الوقت تلاقت الأهداف الإستراتيجية الإسرائيلية مع الأمريكية وكان الرأي أنه لا وسيلة إزاء مصر، كما ذكر من قبل فى تقرير الوكالة المخابرات المركزية الأمريكية[2] غير بدليين:

إما الاغتيال .

وإما هزيمة ساحقة أمام إسرائيل .

ولما كان البديل الأول لم يؤت ثماره أو على الأقل رد"جمال عبد الناصر" إلى حدوده الداخلية ، كان البديل الثانى هو المطروح بالتنسيق مع الإستراتيجية الإسرائيلية.

حرب يونيو ١٩٦٧:

ومع مطلع عام ١٩٦٧م بدأت سحب التصادم فى منطقة الشرق الأوسط تتجمع وتتطور الأحداث بسرعة تدفع أمامها احتمالات الصدام المسلح فى المنطقة وحدوث الجولة العربية الإسرائيلية التى حققت نجاح الإستراتجية الغربية فى المنطقة ، والتى قامت بتنفيذها إسرائيل وقد كان من أسباب نجاحها أن أهداف الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والاتحاد السوفيتى ، واحدة وإن كانت الأسباب مختلفة، فقد اجتمعت هذه الأطراف على القضاء على زعامة مصر فى المنطقة وإرجاعها إلى حدودها حتى تتمكن كل من هذه القوى تنفيذ أهدافها، فالولايات المتحدة تستطيع

(١) جون بادو: المرجع المشار إليه، ص١٧٨.

(٢) تقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية برقم (٣٦/ ١/ ٥٥).

أن تسيطر على هذه المنطقة الهامة وإسرائيل تفرض السلام الإسرائيلى والاتحاد السوفيتى إيجاد موطئ قدم له فى هذه المنطقة لإحباط الإستراتيجية الغربية بها.

وهكذا توالت الأحداث، فمنذ عام ١٩٦٦م تصاعدت الخلافات بين العرب، فمصر تناصب السعودية العداء بسبب الحرب الأهلية فى اليمن ، وسوريا تهاجم الأردن بسبب موقفها من منظمة التحرير الفلسطينية ، وأنشطة الفدائيين والعراق تشن حملة الكراهية ضد الحكم السورى، وتونس ترفض حضور اجتماعات القمة بسبب نفورها من حاكم مصر الذى نال من شخص رئيسها بورقيبة فى خطبة على الملأ بما أجبرها فى أكتوبر ١٩٦٦م على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر.

أما خطط القيادة العربية الموحدة فقد ظهر للكافة أنها لا تعدو أن تكون حبرًا على ورق إذا رفضت لبنان والأردن وسوريا السماح بتمركز قوات مصرية على أرضها تنفيذاً لممارسته تلك الخطط[1]. وقد سبقت الإشارة إلى ضعف وتفكك العالم العربى، وفى نفس الشهر زعم الاتحاد السوفيتى إن إسرائيل تحشد قواتها قرب الحدود السورية لدفع دول المواجهة العربية إلى حشد قواتها فى وقت هى غير جاهزة فيه للقتال مع إسرائيل فوقعت فى المصيدة.

مقدمات حرب ٦٧:

لقد استمرت المنازعات بين أنظمة البعث المختلفة حتى ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٦م حين عاد الجناح اليسارى فى البعث إلى السلطة فى أكثر الانقلابات تلطخًا بالدماء (وهو الانقلاب الثانى عشر منذ أن استقلت سوريا) واعتقل أمين الحافظ والبيطار وغيرهما من زعماء الحزب القدامى، وأصبح نور الدين الأتاسى الرئيس الجديد للدولة، بينما استلزمت السلطة الفعالة فى يد عدد قليل من اللواءات وينتمى معظم القادة الجدد إلى مجموعات عنصرية ودينية تنتمى إلى الأقليات وعلى الأخص المجموعة العلوية ثم إلى الدروز والإسماعيليين بدرجة أقل.

---

(١) د. صلاح العقاد: تطور النزاع العربى الإسرائيلى، ص ١٥٧.

وبدأ التعاون بين الشيوعيين وحزب البعث بعد انقلاب عام ١٩٦٦م وتولى عدد منهم مناصب وزارية ، وقد كانت هذه الخطوة ضرورية سياسيًا حيث أن البعث كان فى حاجة إلى قاعدة جماهيرية ، وكان كذلك فى حاجة إلى تأييد خارجى يستطيع الحصول عليه ، كما أن صد الشيوعيين كان سيلحق الضرر بالعلاقات مع موسكو ، وأظهرت موسكو استعدادها بتقديم المساعدة فأقيمت ستارة واقية حول سوريا لوقايتها من أعدائها، وفى خلال عام ١٩٦٦-١٩٦٧م كانت وسائل الإعلام السوفيتية. تنشر أخبارًا متتالية عن مؤامرات مزعومة للإطاحة بالنظام الجديد تتم داخل البلاد العربية وفى إسرائيل، وقد نصح جمال عبد الناصر بأن يتعاون بصورة أوثق مع البعث الجديد حتى يكفل بذلك بقاء النظام الجديد فى سوريا.

وفى ٤ نوفمبر ١٩٦٦ أعلن الرئيس عبد الناصر توقيع ميثاق دفاع مشترك مع سوريا وإنشاء قيادة عسكرية بينهما يتولى بموجبها رئيس الأركان المصرى قيادة جيوش مصر وسوريا.

وفى ديسمبر عام ١٩٦٦ حضر قائد البحرية السوفيتية فى زيادة للجمهورية العربية المتحدة قابل فيها قائد القوات البحرية المصرية الفريق سليمان عزت وطلب منه بعض التسهيلات البحرية.

كما طالب بقاعدة جوية مصرية توضع فيها طائرات استطلاع سوفيتية وكلف المشير عامر الوزير شمس بدران بمقابلته وعدم إعطائه وعداً بشيء ، كما قابل الرئيس جمال عبد الناصر قائد البحرية السوفيتية ولم يحقق أيًا من مطالبه، وبعد أن عاد إلى موسكو وردت الإشارة التالية عن طريق الملحق الحربى بموسكو.

ذكر قائد القوات البحرية السوفيتية إن هناك طبقة بورجوازية فى القوات المسلحة المصرية تحول دون انتشار الاشتراكية فى مصر[1].

---

(١) اللجنة الفرعية العسكرية لتاريخ الثورة : ملف رقم ٤٧ ، شريط ٢٦٦ ، ص٢٠.

وفى تقرير لهيئة عمليات القوات المسلحة بتاريخ ١٢/١٢/١٩٦٦ جاء فيه "لايجوز التورط فى عملية مع إسرائيل طالما أن لنا حجمًا كبيرًا من القوات فى اليمن".

وفى إسرائيل استشرت مع مطلع عام ١٩٦٧ الأزمات الداخلية، وتفشت فى أرجائها البطالة تفشيًا هائلاً، وهبط معدل استثمار رؤوس الأموال الأجنبية فيها وارتفعت نسبة نزوح المهاجرين منها إلى الخارج حتى وصلت إلى هجرة ٢٥٠ ألف نسمة، وفى نفس الوقت توقف تيار الهجرة اليهودية إليها رغم الحاجة إلى زيادة خمسين ألف نسمة حتى لا يتحول اليهود فى إسرائيل إلى أقلية فكان كل هذا منذراً مفزعاً وعوامل خطيرة، هددت كيان إسرائيل وعرقلت أحلام نموها المنشود.

وإزاء تداعى الأحداث على هذه الصورة المفزعة أسرعت الحكومة الإسرائيلية بالبحث عن مغامرة سياسية أو عسكرية تمتص بها غضب الشعب، وتحول انتباهه إلى قضايا خارجية، لا سيما وقد كانت الخلافات تكاد تمزق حكومة الائتلاف التى كانت أكثر شعبية من حزب الماباى الذى اشتق عليه دافيد بن جوريون فى العام السابق وكون مع بعض أقطابه من صقور المؤسسة العسكرية الإسرائيلية حزب رافى الجديد.

وكانت المنظمات الفدائية الفلسطينية ظاهرة هامة فى الستينيات فقد خرجت أول حركة منظمة هدفها إعداد المناضلين من مجموعة من الطلبة الذين كونوا جماعة فتح (حركة تحرير فلسطين) التى بدأت تمارس نشاطها منذ أول يناير ١٩٦٥م بعد إعداد طويل، ولقد فرض على المنظمة كثير من القيود فى الأردن ولبنان نتيجة للغارات الثأرية التى قامت بها إسرائيل ومنذ عام ١٩٦٦م أصبح نشاطها مقصوراً فى الجانب السورى، ونظمت فتح غارات ناجحة داخل إسرائيل ونجحت فى الاتصال بالصين الشعبية التى قامت بإمدادهم بالأسلحة الخفيفة وساعدت فى تدريبهم.

وكانت قد تكونت منظمة التحرير الفلسطينية بمقتضى قرار صدر عن مؤتمر القمة العربى الثانى فى سبتمبر عام ١٩٦٤ حيث تعهدت الدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية بدفع أنصبتها فى ميزانية المنظمة.

وكان رد الفعل الإسرائيلى أن تصاعدت الغارات الإسرائيلية بالتدريج فبدأت بتدمير محطات المياه والمنازل القريبة من الحدود إلى الإغارة على القرى (جنين - قلقلية) وركزت على الأردن فقامت بهجوم على قرية السموع الأردنية فى نوفمبر ١٩٦٦م مستخدمة قوات مدرعة وميكانيكية فى وضح النهار وبررت هجومها بقيام الفدائيين بشن غاراتهم من الأراضى الأردنية وكانت لها نتائج على المستوى العربى والدولى ، نتيجة لهذه الغارة تحول معظم نشاط الفدائيين من الأردن إلى سوريا. وفى ٧ أبريل ١٩٦٧م قامت الطائرة الإسرائيلية بغارة على ضواحى دمشق نتيجة قيام المدفعية السورية بضرب الجرارات الإسرائيلية وفقدت سوريا فيها ست طائرات.

وكانت العلاقة المصرية الأمريكية قد انحدرت فى السنوات السابقة على عدوان ١٩٦٧ حتى اقتربت من حافة الهاوية.

ومع توالى الشهور ازداد الاتجاه إلى استخدام العنف ضد القومية العربية فى سياسة الولايات المتحدة الخارجية، وتتالت حملات الضغط الاقتصادى والمعنوى المعزز بموجات متلاحقة من الأعمال السرية.

ثم قام دافيد بن جوريون فى ١٩ أبريل ١٩٦٧م يدق أجراس الخطر وأعلن على العالم أجمع من تل أبيب أن مستقبل دولة إسرائيل أصبح غير مضمون وأسهم وزير خارجية إسرائيل فى هذه الحملة المسعورة ، فأرسل فى العاشر من مايو ١٩٦٧ يطلب من كل سفراء إسرائيل بالخارج العمل على إقناع الدول التى يعملون فيها بخطورة الوضع على الحدود السورية الإسرائيلية والتأكد بأن سوريا هى المسؤولة عن إراقة الدماء الصهيونية الآلية، والإعراب عن إن استمرار الأمر على هذا المنوال سيجبر إسرائيل - وهى آسفة - إلى أن تتصرف بمثل ما يجب على كل حكومة مدركة لمسؤوليتها إزاء مواطنيها أن تعمله.

وأدلى رئيس حكومة إسرائيل بدلوه فى معركة التمهيد النفسانى للعدوان المبيت على العرب فصرح بأن "حرب العصابات أمر لا يقبله العقل ولا يمكن ترك الأمر

له فى إسرائيل، ومن الواضح أن سوريا هى مصدر التخريب والمخربين الذين يفدون إلينا، وربما كان هناك مخربون من الصين الشعبية ، فالشائعات تشير إلى ذلك.

وفى يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ وردت معلومات (١) من اللواء/ أحمد سويد أن رئيس أركان الجيش السورى إلى الفريق أول/ محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية بأن إسرائيل استدعت القسم الأعظم من احتياطياتها وتحشد جزءًا كبيراً من قواتها المسلحة أمام الجبهة السورية، تقدر بحوالى ١٥ لواء وإنها تنوى الهجوم على سوريا وسوف تستخدم فيه قوات المظليين بكثافة، ويقدر أن يكون تاريخ هذا الهجوم ما بين ١٥-٢٢ مايو ١٩٦٧م.

وفى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧م أصدر المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة تعليمات عمليات حربية رقم ١/٦٧ بشأن متابعة موقف التهديد الإسرائيلى العلنى لسوريا باستخدام القوة ضدها بهدف إسقاط الحكم السورى واستبداله بآخر عميل مع الاستعمار كحلقة من حلقات المؤامرة، وبهذا تم إعلان حالة الطوارئ فوراً.

وهكذا بدأت عجلة الحرب تدور اعتباراً من ١٤ مايو ١٩٦٧ وكانت الفترة من ١٤ مايو إلى ٤ يونيو هى فترة الاستعداد واستكمال التعبئة ودفع بالقوات إلى سيناء وفى ٥ يونيو بدأت إسرائيل الحرب بالضربة الجوية.

وكان الموقف العالمى من الحرب كالآتى:

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب:

وكانت أهداف الولايات المتحدة الأمريكية من إيقاع الهزيمة بمصر هى:

١- ضرب النظام السياسى الحاكم فى مصر أو إضعافه بالدرجة التى تجبر مصر على تغيير سياستها وإيقاف المد الثورى فى المنطقة.

(١) إشارة رقم ٩٩٣ بالقيادة العامة تحت رقم ١٣٠/ ٦٤١٥ بتاريخ ١٤ مايو ١٩٦٧.

٢- حصر النفوذ المصرى عن المنطقة جنوب البحر الأحمر وإزالة التهديد عن المصالح البترولية الأمريكية فى المنطقة بإرغام مصر على سحب قواتها العسكرية من اليمن.

٣- إضعاف هيبة مصر فى العالم العربى والإقلال من حجم زعامتها لدول المنطقة لتدمير قوتها العسكرية باعتبار أن ذلك سيكون عاملاً أساسياً لفرض الاستقرار السياسى فى هذه المنطقة التى كانت تموج بالشعارات الثورية.

٤- رفع التهديد الذى كانت تتعرض له المملكة العربية السعودية نتيجة لحشد القوات المسلحة المصرية على حدودها الجنوبية بإرغام مصر على سحب قواتها من اليمن إلى مصر.

٥- تأكيد نجاح السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل مع التركيز على زيادة هيبتها فى المنطقة كدولة قادرة على تحقيق الأهداف الأمريكية وحماية مصالحها.

٦- إقناع دول المنطقة بعدم جدوى التعاون أو الاعتماد على الاتحاد السوفيتى بما يبرز الولايات المتحدة كدولة عظمى صاحبة اليد الطولى فى تقرير السياسة الدولية.

موقف فرنسا من الحرب:

أما بالنسبة إلى الدور الفرنسى فقد ازدهرت علاقة إسرائيل بفرنسا مدة عقد كامل من ١٩٥٦ - ١٩٦٦م واستمرت الأسلحة تتدفق على إسرائيل حتى ١٥ مايو ١٩٦٧م وفى الواقع حتى نهاية عام ١٩٦٨م.

إلا أنه حدث تحول مفاجئ فى سياسة ديجول الرئيس الفرنسى الذى لم يؤيد حق المرور الإسرائيلى خلال مضايق تيران.

وحذر إسرائيل يوم ٢٥/ ٥/ ١٩٦٧ ألا تكون البادئة بإطلاق النار قائلاً إنه سوف يعتبر ذلك عملاً عدوانياً.

كما تلقت إسرائيل نفس التحذير صراحة من السفارة الفرنسية يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ وألح ديجول على ضرورة فروض حل للنزاع بمعرفة الدول الأربع الكبرى

وزاد هذا من شعور إسرائيل بالخطر الذى يهددها وأحست إسرائيل فى الأيام الأخيرة من شهر مايو ١٩٦٧ بالأهمية الملحة للعمل بسرعة قبل أن يفوت الآوان.

موقف بريطانيا من الحرب:

أيدت بريطانيا موقف الولايات المتحدة المنحاز لإسرائيل وحيث كانت العلاقات بين لندن والقاهرة فى أدنى وضع ، وكانت السياسة البريطانية مؤيدة للموقف الإسرائيلى ووافقت بريطانيا على الاشتراك مع باقى الدول البحرية لفتح خليج العقبة.

موقف الاتحاد السوفيتى من الحرب:

كان الاتحاد السوفيتى يهدف من معركة ١٩٦٧ أساساً إلى القضاء على ما يسميه بالطبقة البرجوازية الحاكمة فى مصر منذ عام ١٩٥٢ التى كانت تحول دون انتشار الشيوعية فى مصر وساهم الاتحاد السوفيتى فى تصوير حشود إسرائيلية كاذبة أمام سوريا.

وكانت هذه المعلومات تتوالى من بعض الدول الشرقية والغربية ومن سوريا ومن أفراد من الولايات المتحدة الأمريكية أحكاماً لخطة الخداع الإستراتيجى مما دفع الجمهورية العربية المتحدة نتيجة معاهدة الدفاع المشترك بينها وبين سوريا التى حشد قواتها فى مسرح سيناء.

وبذلك التقت الرغبة الدفينة للاتحاد السوفيتى مع الرغبة الظاهرة للولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٦٧ فى ضرب نظام الحكم فى مصر بغرض:

١ - تثبيت النفوذ السوفيتى فى مصر نظراً إلى حاجة مصر لاستعواض الأسلحة التى ستفقدها فى المعركة وزيادة الاعتماد على الاتحاد السوفيتى فى مشروعات التصنيع وكهربة الريف باعتبار أن هناك قطيعة كاملة بين مصر والمعسكر الغربى.

٢- توسيع قاعدة المستشارين والخبراء العسكريين فى مصر بزيادة عددهم فى القوات المسلحة بهدف فرض الوصاية الكاملة عليها تحت ستار رفع الكفاءة القتالية.

٣- الحصول على امتيازات فى مصر بما يضمن الوجود السوفيتى فى البحر المتوسط ومما لا شك فيه أن الاتحاد السوفيتى وأجهزة مخابراته كانوا على علم دقيق بموقف الجيش المصرى وعدم استطاعته أن يحقق أي نصر عسكرى فى المسرح الرئيسى فى سيناء، فى الوقت الذى يقاتل فيه بمسرح اليمن على بعد ٣٠٠٠كم، ولذلك كانت نتيجة العمليات الحربية واضحة بالنسبة إليهم قبل نشوبها.

وقد أوضح الاتحاد السوفيتى عن رأيه فى قيام الحرب خلال الزيارة التى تمت فى يوم ٢٤ مايو عام ١٩٦٧ حيث سافر وفد مصرى برئاسة وزير الحربية وكان رأي الاتحاد السوفيتى ما يلى:

- لا يمكن للاتحاد السوفيتى أن يتورط فى حرب شاملة مع الولايات المتحدة الأمريكية حيث أن كلاً منهما يمتلك أسلحة نووية وإذا اشتعلت الحرب سينتج عنها دمار شامل.

- يجب تهدئة الموقف بين مصر وإسرائيل وعدم الدخول فى حرب ساخنة والوصول إلى حل وسط حيث أن إسرائيل تعتبر جزءاً من الولايات المتحدة الأمريكية.

ولقد تقدم الوفد المصرى بمطلبين فى مجال التسليح أولهما يخص مصر ، وقد تضمن هذا الطلب تسليحاً لما يعادل ٢ فرقة مشاة.

أما المطلب الثانى فكان قائمة بأسلحة لمنظمة فتح الفلسطينية ورفض السوفييت هذا الطلب ، وطالبوا الوفد المصرى بتقديم مطالب فتح باسم الجمهورية العربية المتحدة.

موقف العالم العربى من الحرب:

قبل حروب يونية ١٩٦٧م كان هناك تفكك فى الموقف العربى، ولذلك لم توضع إستراتيجية سياسية أو عسكرية للدولة العربية، ورغم توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين مصر وسوريا عام ١٩٦٦م واتفاقية أخرى بين مصر والأردن عام ١٩٦٧م (وموافقة العراق عليها) إلا أن هذه الاتفاقية لم تكن لها قوة ، نظراً إلى غياب الهدف الإستراتيجى السياسى العسكرى للدول العربية فى ذلك الوقت وعدم توافر الجدية فى القتال لدى دول المواجهة أساساً ؛ ولذلك نجد أن التنسيق الذى تم بناءً على هذه الاتفاقات كان يأخذ الطابع السياسى أكثر منه الطابع العسكرى.

كما أن انقسام الدول العربية بين دول تقدمية : مصر - سوريا - العراق - الجزائر - اليمن ، ودول رجعية : السعودية - الكويت - الأردن - المغرب - وتونس مما أدى إلى عدم التعاون والتنسيق حيث كانت دولتان من الدول العربية فى حالة حرب غير معلنة وهى مصر والسعودية بشأن اليمن.

وكانت الدول التى تدعى بالدول الرجعية تنظر إلى زيادة نفوذ جمال عبد الناصر ومصر كمصدر تهديد لهذه الدول وتطمع فى تحجيم هذا النفوذ فى المنطقة.

ولهذا لم يحظ الدعم العربى بثقل قبل معركة يونيو ١٩٦٧م وكانت الوحدات العربية التى تم دفعها إلى مسرح الجمهورية العربية المتحدة تعبر عن روح التضامن العربى وليس المشاركة الفعالة فى القتال.

وتلقى الرئيس جمال عبد الناصر ضغوطًا وانتقادات من بعض الدول العربية لسماحه مرور إسرائيل فى خليج العقبة مما سبب كثيرًا من الضيق والضغط الذى جعله يبحث عن طريقة لإنهاء هذا الموقف.

قيام الحـــرب:

لهذا عندما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها ستقوم بتجميع الدول البحرية لإصدار إعلان عن فتح خليج العقبة وكذلك استعدادها لاستقبال السيد/ زكريا محيى الدين لإجراء مفاوضات من أجل الحل السلمى ، وبالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية طلبت من إسرائيل عدم القيام ببدء العمليات إلا بعد الوصول إلى نتيجة مع المبعوث المصرى بأن إسرائيل رأت أنه يوجد احتمال فى الحل السلمى بمقدار ٥٠٪ ووجدت أن فرصتها الذهبية قد تضيع ، فقامت بشن العمليات الحربية فى صباح يوم ٥ يونيو بالرغم من رأي الولايات المتحدة السابق ، والتى وجدت نتيجة لبدء العمليات أن هذه الحرب تنفذ أهدافها فى المنطقة وعلى هذا فإنها بمجرد أن بدأ العدوان الإسرائيلى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م باتت تموع الموقف السياسى وتحول بين مجلس الأمن وإصدار قرار بإدانة إسرائيل ووصفها بالبداءة بإطلاق النار على نحو ما أكد تقرير الأمين العام للأمم المتحدة.

وقد كانت إسرائيل قد تنبهت إلى التغيير الذى حدث فى السياسة الدولية والذى عرف بوادر الوفاق منذ التغلب على أزمة كوبا عام ١٩٦٢ وسحب الولايات المتحدة لقواعد الصواريخ من تركيا إرضاء للسوفيت الذين سحبوا صواريخهم من كوبا، واتفاق تحديد التجارب النووية وحظرها فوق سطح الأرض ثم إنشاء الخط التليفونى المباشر بين البيت الأبيض والكريملن ، والوفاق لا يعنى بالضرورة منع استمرار التنافس وإنما يعنى أساساً عدم المجابهة والصدام العسكرى بسبب خلاف محلى، أما التنافس فلم يتوقف حتى وقتنا الحاضر رغم تأكيد سياسة الوفاق.

وفى نفس الوقت لم تتحقق القيادة المصرية من بدء سياسة الوفاق وبنت حساباتها على أساس استمرار عهد الحرب الباردة.

وفى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م بدأت الحرب بالضربة الجوية الإسرائيلية التى استطاعت فيها تدمير القوات الجوية المصرية وخروجها من الميدان وبدأ فوراً الهجوم البرى وفى يوم ٦ نوفمبر إصدر قرار الانسحاب الذى عجل من الفوضى

والاضطراب فى القوات البرية وأنهيت الحرب فى يوم ٨ يونيو على الجبهة المصرية واستطاعت أيضًا القوات الإسرائيلية احتلال الضفة الغربية ، وفى يوم ١٠ يونيو استطاعت احتلال هضبة الجولان بالرغم من صعوبة تحقق ذلك ، لأن بقوة قليلة نسبية ممكن إيقاف تقدم القوات الصاعدة من الوادى ، مما يثير كثيرًا من الأسئلة لهذا الموقف.

نتائج حرب عام ١٩٦٧م :

لقد أحدثت حرب عام ١٩٦٧ آثاراً عميقة فى المنطقة وغيرت كثيرًا من الأوضاع الإستراتيجية وتوازن القوى فى المنطقة وكانت أهم النتائج كما يلى:

١- بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية:

(أ) أصبحت صاحبة اليد الطولى فى المنطقة وتحقق لإستراتيجيتها النجاح وهو عودة مصر إلى داخل حدودها والقضاء على زعامة مصر وجمال عبد الناصر فى المنطقة.

(ب) أصيبت حركة عدم الانحياز بضربة قاصمة وذلك بعد تحجيم زعامة جمال عبد الناصر وهزيمته فى الحرب.

(جـ) كان لهزيمة مصر الأثر الكبير لظهور قوى عربية إقليمية فى المنطقة من أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية مثل السعودية وإيران والمغرب، كما أنها خفضت من ضغط جمال عبد الناصر على هذه الدول ونظم حكمها.

(د) كانت نتائج الحرب العسكرية تفوق كل ما هو مقدر قبل الحرب وأثبتت الحرب أن إسرائيل هى الحليف والدولة التى تستطيع أن تعتمد عليها الولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط.

(هـ) أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى صاحبة الحل فى مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى وعملت جاهدة خلال فترة بعد الحرب على تأكيد هذا

المفهوم ، ومن هذا المنطلق استمرت فى تسليح إسرائيل بأحدث الأسلحة والمعدات[1].

٢- بالنسبة إلى الاتحاد السوفيتى:

(أ) كان لهزيمة مصر واضطرارها إلى الاستعانة بالاتحاد السوفيتى فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية ووجود الاتحاد السوفيتى المصدر الوحيد للتسليح أن تمكن الاتحاد السوفيتى من زيادة السيطرة على مصر وإدخالها ضمن مناطق النفوذ السوفيتى وكما أن اختفاء زعامة جمال عبد الناصر وما ينادى به من حركة القومية العربية أعطت فرصة للانتشار للأحزاب الشيوعية فى الشرق الأوسط.

(ب) استفاد الاتحاد السوفيتى من روح العداء للولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط بعد الحرب وظهر على أنه السند الوحيد للدول العربية فى الصراع العربى الإسرائيلى مما ساعده على توسيع دائرة نفوذه فى العديد من دول منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا واستغل الاتحاد السوفيتى هذا فى زيادة سيطرته على سوريا.

(جـ) نظراً إلى انشغال مصر عن العرب، بعملية إعادة البناء تمكن الاتحاد السوفيتى من السيطرة على جنوب اليمن وتحويله إلى أول دولة شيوعية فى المنطقة بعد انسحاب بريطانيا من جنوب اليمن ، كالكتاب الأبيض الذى صدر عام ١٩٦٨[2] وأصبح يسيطر على مضيق عدن وأخذ ثمرة ناضجة من مصر واعتبرها الاتحاد السوفيتى قنطرة لشرق أفريقيا.

---

(١) د. جمال على زهران: توازن القوى بين العرب وإسرائيل بين حربى ١٩٦٧ - ١٩٣٧، مكتبة مدبولى، ١٩٨٨، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) والتر لاكي: الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط، ١٩٥٨ - ١٩٦٨، ترجمة لندن ١٩٦٩.

(د) فاز الاتحاد السوفيتي بتسهيلات بحرية فى مصر وسوريا ، كما أن إرسال بعثات من الخبراء والمستشارين العسكريين إلى مصر وسوريا ساعدته على بسط نفوذه فى كلتا الدولتين.

(هـ) كان لإغلاق قناة السويس مكسب إستراتيجى سوفيتى لأنه أعاق إرسال الإمدادات الأمريكية إلى فيتنام حيث الحرب كانت مشتعلة بين فيتنام الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية.

٣- **بالنسبة إلى مصر:**

إلى جانب فقد زعامة المنطقة وهيبة مصر والخسائر العسكرية وتقوقع مصر داخل حدودها فقد كانت لهذه الحرب آثارها العميقة كالتالى:

(أ) كانت لحرب يونيو آثارها البالغة على اقتصاد مصر نتيجة توقف الملاحة وبالتالى إيرادات قناة السويس وتوقف الدخل الناتج عن السياحة وتوقف إيرادات البترول فى سيناء فضلاً عن توجيه جزء من الإيرادات لشراء الأسلحة لإعادة بناء القوات المسلحة مما أثر على عملية التنمية ، بل أدى إلى توقف معدل التنمية وتنفيذ مصر ميزانية الطوارئ ، وقد هبط المعدل السنوى لنمو الناتج المحلى الإجمالى الفعلى إلى ٣.٥٪(١).

(ب) وكذا فقد هبط نمو اقتصادها إلى النصف تقريباً فى النصف الأول من الستينيات بعد أن كاد يدخل مرحلة الانطلاق الاقتصادى لأول مرة فى تاريخها الحديث وبالتالى نشأت مشكلات التضخم وعجز الميزان التجارى وميزان المدفوعات وازدياد الديون كما كان للحرب آثار عسكرية واقتصادية مدنية مثل هدم مدن القناة وتهجير سكانها.

---

(١) د/ عبد المنعم راضى: حرب ٧٣ الاقتصاد المصرى، مقال فى ندوة حرب أكتوبر جامعة عين شمس ١٩٧٤، ص ٣٦٥.

(جـ) ولقد كان قرار الانسحاب الذى صدر يوم ٦ يونيو ١٩٦٧م وقصد به تجنيب الجيش الخسائر كان هو نفسه الذى أوقع به أشد الخسائر وأفدحها مما سبب الاعتماد الكلى على الاتحاد السوفيتى فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية.

(د) لقد كانت حرب يونيو ١٩٦٧م سبباً من أسباب حدوث شرخ فى جدار المجتمع العربى والمصرى ، نتيجة لحدوث فجوة فى الثقة بين الشعب والقوات المسلحة وحدوث اليأس والمرارة لديهم ، ولقد عملت إسرائيل على زيادة هذه الفجوة وهذا الشعور إلا أنها لم تنجح فى ذلك.

(هـ) ازدياد النفوذ والتغلغل السوفيتى فى مصر سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وأصبح المستشارون السوفيت لهم النفوذ داخل القوات المسلحة المصرية واستمر الاعتماد على الاتحاد السوفيتى حتى انتهى بطلب قوات عسكرية سوفيتية لحماية أجواء مصر.

(و) ثبت فشل النظام الشمولى لحكم مصر وتطلعت الجماهير المصرية إلى نظام حكم ديمقراطى.

(ز) فقدت مصر برئاسة جمال عبد الناصر مركز الصدارة فى الأمة العربية وأصيبت الدول التقدمية العربية بضربة إحباط مما جعلها تفقد تأثيرها ونفوذها فى المنطقة العربية.

(ح) فقدت مصر نفوذها فى اليمن ولولا تدخل الاتحاد السوفيتى[1] وبعض الدول العربية لما استطاع الحكم الجمهورى الصمود أمام اليمنيون أنصار الملكية كما أنها فقدت جنوب اليمن والذى كان هدف مصر أن تضمه إلى محورها وبهذا ضاعت كل تضحيات مصر العسكرية والاقتصادية هباء.

---

(١) والترلاكير: المرجع المشار إليه، ص ١٣٩.

بالنسبة إلى إسرائيل:

(أ) تمكنت إسرائيل من هزيمة ثلاثة جيوش عربية وتدمير القسم الأكبر من أسلحتها ومعداتها مع إثبات قوة الردع الإسرائيلى ومدى التفوق النوعى لقواتها المسلحة كما استولت على شبه جزيرة سيناء الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة ومرتفعات الجولان السورية وذلك فى ظروف مواتية لها نتيجة لأخطاء القيادات العربية.

(ب) حقق احتلال الأراضى العربية لإسرائيل أهم جوانب أمنها إذ توافرت لها حدود طبيعية وعمق إستراتيجى كاف إلى حد كبير ، كما اتسعت جبهة إسرائيل وتعددت منافذها الإستراتيجية بزيادة نشاطاتها المختلفة مع الدول الإفريقية والآسيوية.

(جـ) بدأ اقتصاد إسرائيل فى الانتعاش لاستغلالها الموارد العربية فى الأراضى المحتلة كما كان لها حرية الملاحة فى خليج العقبة وهو أحد مكاسب حرب عام ١٩٥٦، كما زادت تعاملاتها وتغلغلها فى الدول الإفريقية وسيطرت على أسواقها عن طريق تصدير الخبرة البشرية والفنية واستيرادها المواد الخام الإفريقية رخيصة الثمن.

(د) ولقد أتاحت حرب يونيو لإسرائيل فرصة التوسع فى حجم تجارتها الخارجية مع بعض الدول الإفريقية والآسيوية كما اكتسبت نفوذاً كبيراً.

(هـ) نتيجة للنصر الكبير الذى حققته إسرائيل والدعاية التى قامت بها ، تزايدت معدلات الهجرة إليها كما تضاعفت المساعدات الاقتصادية والعسكرية من الولايات المتحدة.

(و) ظهور إسرائيل كقوة ردع قوية فى المنطقة وحليف للولايات المتحدة الأمريكية وأن تعاونها مع الولايات المتحدة الأمريكية، يؤدى إلى تنفيذ الإستراتيجية الغربية فى المنطقة.

بالنسبة إلى الدول العربية:

(أ) أساءت الهزيمة إلى مصر باعتبارها عاصمة العرب فخيم اليأس لاكتشافهم عجزهم العسكرى فى تلك الحرب ، كما لم يستخدموا مواردهم الاستخدام الأمثل ، فضلاً عن إخفاقهم فى التمهيد السياسى للحرب وعدم التنسيق بينهم وفقدانهم وحدة العمل العربى ، وقد أدت هذه الحرب إلى تفاقم حدة الانقسامات فى العالم العربى خصوصًا بصدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م إذ وقفت الدول العربية بين مؤيد ومعارض للقرار[1].

(ب) وعلى المستوى العربى اتضح ضرورة توحيد جهود العالم العربى والعودة إلى العمل الجماعى ، وكانت نقطة البداية هى تحديد أهداف النضال فى المرحلة الجديدة ، وتم تنقية أهم الخلافات العربية واتخاذ الخطوات لدعم الإعداد العسكرى والسعى إلى إزالة آثار عدوان يونيو ١٩٦٧م فى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس عام ١٩٦٧م وعلى مستوى الثورة الفلسطينية تمثلت فى إعلان المنظمة فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٧م عن رفضها لأي مشروع يستهدف تصفية القضية الفلسطينية، كما عارضت جميع دعاوى الصلح والتفاوض مع إسرائيل، بالإضافة إلى رفضها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، كما أن الحرب أظهرت لأول مرة القوى الفلسطينية كشخصية مستقلة لها رأيها ، وكانت متمثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية ، وإن عابها كثرة الفصائل المنظمة لها والتى كانت تمثل جميع الاتجاهات الفكرية الدولية والعربية.

(جـ) امتدت الآثار الاقتصادية إلى بعض الدول العربية مثل عدن التى أثرت من تعطيل الملاحة فى قناة السويس فحدث ركود فى نشاطها الاقتصادى كما خسرت الأردن أهم مناطقها الإنتاجية وهى الضفة الغربية.

---

(١) والتر لاكير: المرجع المشار إليه، ص ١٣٩.

(د) وكانت نتيجة هذه الحرب أن تزايدت قائمة هجرات عرب فلسطين ، حيث وصل عدد اللاجئين ما بين ٣٥٠، ٤٠٠ ألف لاجئ، وبالتالى تفاقمت مشكلة اللاجئين[1].

(هـ) أدت الحرب إلى تقليص العمق الإستراتيجى كما شكلت الموانع الموجودة بالأراضى المحتلة عقبة أمام القوات المصرية عند قيامها بالهجوم وهيأت أفضل موقف دفاعى للقوات الإسرائيلية.

(و) أظهرت الحرب قوى عربية جديدة مؤثرة تلعب دورها فى المنطقة ، وكانت السعودية على رأسها ، كما أن إيران أخذت تستعد لتولى دورها أيضاً فى منطقة الخليج ، وقد كانت الولايات المتحدة تقدم كل عون ومساعدة لها ، وذلك لتنفيذها لإستراتيجة الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

(ز) لقد كان إعلان بريطانيا سياسة شرق السويس إيذانًا باستقلال إمارات الخليج مع بداية السبعينيات وأصبحت إيران هى الوارثة للنفوذ العربى فى منطقة الخليج.

تعليـــــق:

١- إن من أهم المبادئ الإستراتيجية أن تتفادى القيادة العليا (القيادة السياسية والعسكرية أن تعمل على جبهتين بل إن الولايات المتحدة قبل انتهاء الحرب الباردة كانت تقول إن إستراتيجيتها تعتمد على قدرتها على مواجهة ١.٥ حرب أي العمل على جبهة واحدة وتثبيت أية جهات أخرى ، وهذا المبدأ الإستراتيجي قائم على نظرية بناء القوات المسلحة لأى بلد حسب الفن العسكرى فإن مخططى الإستراتيجية لبناء قوة مسلحة يجب عليهم الآتى:

(أ) تحديد ما هى العدائيات ، قوتها واتجاه عملها وأسبقيتها بالنسبة إلى الدولة.

(١) وليام كوانت: أمريكا والعرب وإسرائيل عشر سنوات حاسمة (١٩٦٧ - ١٩٧٦م ، ترجمة عبد العظيم حماد، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٩٧).

(ب) حساب إمكانيات الدولة الشاملة من اقتصاد وصناعة وقوة بشرية واجتماعية وإمكانية حشد الطاقات العسكرية.

(جـ) بناء على قوة الجهة أولى من العدائيات يتم بناء القوات المسلحة حسب النظريات العسكرية المتبادلة والمعروفة.

(د) وبناء عليه فإنه دائمًا يتم العمل على جبهة واحدة، فكيف يمكن أن تقوم القوات المسلحة بالحرب مع إسرائيل ولها قوات على بعد أكثر من ٢٠٠٠ كم تحارب وثيقة فى الميدان ، فكان يجب على القيادة العليا سياسية أو عسكرية أن تتحاشى هذا فى هذه الظروف وبالرغم من تقرير هيئة العمليات المصرية والذى نصح بعدم التورط مع صراع مع إسرائيل.

٢- استدراج مصر إلى الحرب تم بطريقة محكمة لأن سبب الاندفاع إلى الحرب كانت الحشود الإسرائيلية على سوريا والتى كانت كذبة كبيرة وقد توجه الفريق محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة المصرية إلى الجبهة وشاهدها وأرسل إشارة إلى القيادة ينفى تماماً وجود أي حشود وبالرغم من ذلك استمرت القوات فى التصاعد ، وبعد ذلك طلب انسحاب قوات الطوارئ الدولية من رفح إلى طابا ولا أعرف أي سبب أو هدف من هذا الطلب الذى قوبل من سكرتير الأمم المتحدة بالرفض للانسحاب من هذه المواجهة فقط ، وإذا أرادت مصر انسحاب القوات فتكون من جميع قواتها ، وفى هذه الحالة ينسحب من شرم الشيخ ويصبح التصعيد كاملاً وإذا كان الغرض من هذا الإجراء إرسال رسالة إلى إسرائيل بحرية مصر فقد تم نفس هذا الموقف عام ١٩٦٠ فى معركة التوافيق بين إسرائيل وسوريا وتحركت القوات المسلحة المصرية بالكامل وكان تحركها منضبطاً قويًا وبدون طلب سحب قوات الطوارئ توقفت إسرائيل عن أي عمل عدائى لسوريا لمعرفتها أن القوات المسلحة جاهزة. ثم تصاعدت الأعمال لغلق مضيق تيران وهو تصرف ينتج عن حرب بالرغم من عدم توافر

قوات تستطيع أن تدافع هناك حتى إن أرسلت قوات مظلات لتقوم بهذا العمل وهو مهمة أبعد ما يكون من مهام قوات المظلات ، ولهذا فمن أهم الدروس المستفادة من هذه الحرب هو ألا ندفع فى صراع لسنا مستعدين له ونختار فقط الصراع فى الزمان والمكان اللذين يتناسبا ، وبخاصة أن منطقتنا تشتمل على كثير من الظروف التى قد تسمح بتكرار هذه التجربة المريرة.

٣- أن الاستعدادات للحرب سواء فى تجهيز النطاقات الدفاعية وتجهيز مسرح العمليات بالطريقة الجيدة ودون إعداد الدولة للحرب ليس كافيًا حيث أن الحرب ليست مهمة للقوات المسلحة وحدها ، فالقوات المسلحة التى لا يقف خلفها قاعدة داخلية صناعية واجتماعية وسياسية قوية كلها تعمل لهدف واحد ، هو تحقيق الهدف القومى الذى من أجله تدخل الدولة الحرب ، لا يمكن أن يكون أداؤها متكاملاً ، ولهذا لم تعد القوات المسلحة ولم تضع الخطط المناسبة لحشد كل إمكانيات مصر والدول العربية من أجل الهدف ولعل أوضح دليل على حالة الدول العربية هو ذلك التقرير السرى الذى كتبه الفريق على على عامر القائد العام للقيادة العربية الموحدة ما يلى:

"إننى أرى من واجبى أن أوضح بعض الحقائق عما تطور إليه الموقف العربى حالياً، تاركاً لمجلسكم الموقر اتخاذ ما يراه من قرارات لمعالجته.

أولاً: قد أصبح من الواضح أن الموقف السياسى الحالى فى المحيط العربى يقف حائلاً دون تنفيذ القرارات الصادرة من مجلسكم الموقر والتى تعالج الموقف العسكرى تجاه إسرائيل.

ثانياً: توقف الدولة الممولة عن سداد التزاماتها المالية يؤدى بالوضع العسكرى إلى موقف متدهور وخطير، فمن المعروف أن للطاقات الإسرائيلية موارد إنشائها وبقائها من العالم الصهيونى الخارجى، فهى طاقات مستوردة

للعدوان على العالم العربى، ومن الطبيعى عندئذن لمواجهة هذا الموقف يلزم دعم طاقات الدول العربية ، المحيطة بإسرائيل من جاراتها العربية وإلا لما وجدت فى مواردها الاقتصادية ما يكفى لإنشاء الإمكانيات العسكرية لمواجهة العدوان... إلخ.

ثالثاً: استمرار الوضع على هذه الحال سيؤدى بالدولة المعرضة للعدوان إلى اختصار قواتها العسكرية إلى الحد الذى تسمح به طاقتها المحلية الاقتصادية وبما هو دون الحد الأدنى الذى ترى هذه القيادة أنه يكفل الدفاع عنها بالسيطرة منا على ذلك........ إلخ.

لم يكن نظام التعبئة الذى اتخذ لتعبئة القوات المسلحة على المستوى المطلوب مما أدى إلى أخطاء كثيرة ولم تؤد النتيجة المطلوبة لاستكمال القوات المسلحة بالشكل المطلوب.

٤- أن أية قيادة سياسية كفء يجب عليها قبل أن تقرر الدخول فى صراع مسلح أن تكون ملمة إلماماً تاماً بقدرات القوات المسلحة تسليحاً وتدريباً وإعداداً وقيادة وأن تكون أيضاً ملمة بقدرات الخصم الذى ستدخل معه فى هذا الصدام كما يجب عليها أن تعد الدولة كلها والشعب لهذه الحرب ، وإن لم تفعل ذلك تكون قد ارتكبت خطأ جسيمًا فى حق الوطن وفى حق نفسها.

٥- كان قرار الانسحاب من سيناء إلى الضفة الغربية للقناة الذى صدر من القائد العام الساعة ١٢ ظهراً يوم ٦ يونيو على شبكة قادة الفرق على أن يتم الانسحاب قبل الساعة السابعة صباح يوم ٧ يونيو أكبر الأخطاء التى حدثت فى حرب ٦٧ للأسباب الآتية:

(أ) إن عملية الانسحاب هى عملية تكتيكية منتظمة تسمى بالارتداد إلى الخلف ولها وسائلها وتكتيكها ، ولهذا كيف لقوات ووحدات أن تأخذ

الوقت من ١٤ مايو إلى ٤ يونيو أى حوالى تقريباً أسبوعين ويطلب منها الانسحاب فى أقل من ٢٤ ساعة وتحت سيطرة قوات جوية معادية ، مما يؤدى إلى فوضى وعدم انتظام ومزيد من الخسائر.

(ب) كان المفروض أن يتم الارتداد إلى خط المضايق وهو الخط الرئيسى للدفاع عن مصر وبذلك لن تصل القوات الإسرائيلية إلى القناة.

(جـ) لا يمكن أن يصدر قرار انسحاب للقوات وبمجرد وصولها إلى القناة تأمر بالعودة مرة ثانية إلى خط المضايق.

(د) سيطر على القيادة العسكرية أحداث العدوان الثلاثى وتصورت أنه يمكن إعادة نفس القرار الذى أصدر إلى القوات بإخلاء سيناء فى هذه الحرب ، وفى هذه المرة كانت الظروف متغيرة والقرار خطأ مما أدى إلى نتائج سيئة.

(هـ) لو استمرت القوات فى أماكنها لكان أفضل ، حيث اشتباك القوانين يحد من استخدام سيطرة القوات الجوية ، بالرغم من كل الظروف قاتلت بعض الوحدات بضراوة واستطاعت أن توقف تقدم القوات الإسرائيلية كما حدث فى مضيق الجدى.

٦- إن قرار قبول الضربة الأولى يجب أن يتم بعد دراسة متأنية وحسابات دقيقة ومعرفة كم هى الخسائر المنتظرة والمتوقفة على حسابنا وإمكانية الرد والإمداد بالسلاح ومقدرة التحصنات المتوفرة ، كل هذا يجب أن يحسب قبل قبول تلقى الضربة الأولى ، وإلا أصبحت هى الضربة الأولى والأخيرة.

٧- شاب فترة الاستعداد كثير من تحرك الوحدات وتغير أماكنها مما جعل الخطة الدفاعية غير قابلة للتنفيذ بالمستوى المطلوب.

٨- من الموضوعات التى تثير الغموض هو ما قام به الملك حسين ملك الأردن حيث توجه بنفسه إلى القاهرة يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧م للتحالف مع مصر بالرغم من أن الجفاء والاختلاف كان واضحاً بين مصر والأردن تلك الأيام ، والسؤال هنا: لماذا تحالف الملك حسين مع مصر وهاجم إسرائيل بالرغم من إرسالهم رسالة بعدم خوض الحرب ضدهم ؟ هل اقتنع بالهالة الإعلامية المصرية أم كان متأكدًا من النصر العربى ؟

هذا السؤال سوف يجاوب عليه التاريخ.

الفصل السادس

الجولة الرابعة ١٩٧٣م من الصراع العربى الإسرائيلى

حرب أكتوبر ١٩٧٣م

تركت حرب يونيو ٦٧ آثاراً بعيدة المدى فى الشعب المصرى والقوات المسلحة لأن نتائجها لم تكن متوقعة ، فكانت كإعصار هز وجدان الشعب المصرى العريق وكانت القوات المسلحة المصرية (وهى جزء أصيل من هذا الشعب) من أكثر المجموعات تأثيراً من آثار هذه الحرب لأنه كان هناك سؤالان يترددان على لسان جميع أفراد القوات المسلحة ، ماذا حدث وكيف؟ والثانى إننا لم نجارب ولم تعط لنا الفرصة لنواجه هذا العدو فكيف يكون الاتهام موجهًا إلينا؟

ولقد استوعبت القوات المسلحة ما حدث وكانت أولى درجات النجاح والتقدم هى الوصول إلى : ماذا حدث؟ ما هى أسبابه؟ ثم تقييم تلك الأسباب ووضع الحلول مع كل الشفافية والصراحة ، وكانت هذه هى البداية الحقيقية لعمل جليل تم بعد ذلك.

كانت البداية هى أن هزيمة حدثت وليست نكسة كما سماها البعض ، لأن تعريف الشيء الصحيح يصل بك إلى الحل الصحيح ، وقد درست نقاط الضعف، وتم وضع الحلول لها ، وكانت اتيام التدريب من جميع فروع القوات المسلحة تذهب إلى القوات على خط الجبهة للتدريب والمناقشة وتوصيل المعلومات السليمة ثم بدأ فى بناء القوات المسلحة من جديد.

وساعد فى الإمداد بالمعدات والأسلحة الاتحاد السوفيتى ، ولكن كانت الأسلحة المرسلة حسب توجهات الجانب السوفيتى وليس حسب ما يطلبه الجانب المصرى ؟ ولذلك تم إرسال الخبراء السوفيت للاستعانة بهم فى تدريب القوات.

وكان أول مراحل البناء هو بناء الفرد المقاتل من خلال منهج علمى واضح يقوم على أسس نفسية واجتماعية ، وذلك من خلال مخاطبة عقل المقاتل ووجدانه معًا ومن خلال طرح حقائق الموقف ومشكلاته وتأكيد ثقته فى قدراته الذاتية على تحرير الأرض من خلال خوض معركة مصيرية يحقق بها النجاح والنصر، ومن خلال اقتناع المقاتل وهو يحارب بعدالة قضيته وأنه على استعداد للتضحية بروحه من أجل النصر ، مع وصوله إلى درجة الاحتراف من خلال التدريب ؛ ولذلك فقد تم انخراط أعداد هائلة من شباب مصر المثقف والمؤهل علمياً بالتشكيلات وكان ذلك إيذانًا برفع المستوى الثقافى والاجتماعى والقدرة القتالية للجندى المصرى . فى خلال الفترة التى أعقبت حرب ٦٧ كانت هناك ظاهرة جديدة على العمل العربى ألا وهو التضامن العربى الذى ظهر فى مؤتمر الخرطوم فى الثامن من أغسطس ١٩٦٧م ويشير إلى حتمية تحرير الأرض المحتلة ودعم دول المواجهة وقرار لا استسلام للهزيمة - لا للتفاوض المباشر مع إسرائيل ولا سلام مع إسرائيل قبل تحرير الأرض ، وتم الاتفاق بين مصر والمملكة العربية السعودية على سحب باقى القوات المصرية الموجودة فى اليمن لتدعيم الجبهة المصرية.

حرب الاستنزاف:

كان من المهم قبل خوض هذه الحرب أن يكون هناك منهج واضح يقوم على الأسس التالية:

١- توافر التوازن العسكرى فى جبهة القناة بعد الاستكمال الجزئى لبناء القوات المسلحة ولبناء خط الدفاع عن القناة.

٢- إن الأرض لن ترد إلا بالقوة من عدو يشعر بالغرور والتفوق.

٣- التدرج العلمى فى تصعيد حرب الاستنزاف ، وأن يتحقق فى كل مرحلة من مراحل التصعيد التوازن بين الأرباح والخسائر.

٤- بناء عقيدة قتالية مصرية خالصة تقوم على أساس تجارب القتال الفعلية، هذا بالإضافة إلى تحطيم الحاجز النفسى بيننا وبين إسرائيل سواء على المستوى العسكرى أو السياسى.

ثم كانت بداية حرب الاستنزاف فى سبتمبر ١٩٦٨م والتى استمرت حتى أغسطس ١٩٧٠م بالرغم من السيطرة الجوية لإسرائيل ، ولكن تمكنت القوات المصرية من أن ترد على القوات الإسرائيلية وأن تشعر إسرائيل بفداحة ثمن بقائها فى سيناء.

ولعل من الملاحم التى تمت خلال حرب الاستنزاف وبالرغم من السيطرة الجوية تمكنت القوات المسلحة المصرية من بناء حائط الصواريخ المضاد للطائرات بالتعاون مع الشركات المدنية المنفذة ، مما كانت من أعظم الملاحم التى تمت بالرغم من تعرض القواعد للطيران الإسرائيلى وسقوط الشهداء ولكن تمكنت القوات المسلحة من بناء حائط الصواريخ واستطاعت أن تقطع يد إسرائيل الطويلة واستطاعت فى يونيو ١٩٧٠م بتوالى إسقاط الطائرات الإسرائيلية وقد تم تداول ١٢.٥ مليون من أعمال الحفر والردم ونحو ١.٧٥ مليون متر من الخرسانة العادية والمسلحة لإعداد حائط الصواريخ.

وبجانب ذلك استغلت تلك الفترة فى تجهيز المطارات وتجهيز المواقع الدفاعية كما استطاعت القوات المسلحة نتيجة للاشتباك الفعلى تطوير الكثير من الأسلحة والمعدات والبحث عن أسلحة جديدة لمقابلة الصعاب عند العبور ، وقد قامت كثير من الدوريات بمهاجمة المواقع الإسرائيلية على الضفة الشرقية ، وفى العمق ، كما كان للمدفعية دورها فى إنزال القصفات على المواقع الإسرائيلية.

وكانت حرب الاستنزاف فرصة عظيمة للتطعيم ضد المعركة للقوات المصرية وشاهد فيه هذا العدو الذى كان أسطورة وهو يضرب ويأسر وبذلك انتهت أمامه أسطورة الجيش الإسرائيلى.

التخطيط لحرب أكتوبر

وبإيقاف النيران فى ٨ أغسطس ١٩٧٠م وبموت الرئيس جمال عبد الناصر وتوالى الرئيس أنور السادات ومع تعنت إسرائيل فى جميع محاولات السلام وكذلك فشل مباحثات المبعوث الدولى للأمم المتحدة المنوط به تنسيق القرار ٢٤٢ كانت الاستعدادات للقيام بعمل عسكرى يجبر إسرائيل أن تتأكد أنها ليست قوة لا تقهر وأن العرب ليسوا جثة هامدة.

ولهذا عندما تم التخطيط لحرب أكتوبر كان الاتجاه لاستخدام الفكر العلمى فى إطار إستراتيجى فى إعداد خطة الحرب وتجهيز كل عناصر الدولة لتكون جاهزة عند قيام العمليات ، وكانت العناصر الرئيسية لهذا التخطيط ما يلى:

١- تحقيق المفاجأة على أساس من السرية والخداع ، وذلك بإرباك وتأخير خطة التعبئة والحشد الإسرائيلى لمنع التدخل فى عملية العبور الإستراتيجى.

٢- وضع خطة الخداع الإستراتيجى وضمان نجاحها بحيث يتم تضليل إسرائيل وبحق أيضاً تضليل القوات المسلحة حتى قبيل الحرب بفترة قصيرة جداً مع الاستمرار الجدى والتدريب الشاق استعدادًا للعمليات المقبلة فى آن واحد.

٣- أن يتم تنسيق خطة الخداع على المستوى الإستراتيجى بين وزارات الحربية ـ الإعلام ـ الخارجية ويبدأ تنفيذها قبل الحرب بستة أشهر.

٤- التنسيق الكامل بين الجهة المصرية والسورية فى خطى الخداع والعمليات مع المحافظة على السرية التامة لبدء العمليات.

٥- مواجهة نظرة الأمن الإسرائيلية من خلال فكر علمى متكامل يؤدى إلى هدم هذه النظرية بالعمل على تدمير التجميع الرئيسى للمدرعات الإسرائيلية وتحديداً الطيران ، كما أن التواجد المسبق فى مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر من أجل تحدى نظرية الأمن الإسرائيلية ، وفى الوقت نفسه منع الإمدادات خصوصًا البترول التى تصل إليه عن طريق البحر الأحمر.

٦- إرغام الجيش الإسرائيلى على القتال فى جبهتين فى وقت واحد من أجل تشتت جهوده.

٧- التدريب المستمر على المهام الحقيقية للحرب من خلال اقتحام مانع مائى مماثل لقناة السويس وتوفير صور القتال التى ستواجهه خلال الحرب الفعلية.

٨- تجهيز قاعدة الهجوم هندسيًّا التى وصل حجم التجهيز الهندسى فيها إلى ما يعادل ٢٠ هرماً بحجم الهرم الأكبر وفاقت ١٧ مرة حجم الأعمال الهندسية بالسد العالى.

٩- التغلب على ساتر رملى بارتفاع ٢٠م باستخدام المدفع المائى من خلال إيجاد الوسائل المناسبة لصعود الجندى لقمته حاملاً معه أسلحته ومعداته.

وقد قامت الإستراتيجية المصرية للإعداد للعمليات على أساس تحقيق التضامن العربى وتوحيد المعركة والتحرك فى إطار سياسة موحدة ومحدودة الأهداف ، وقد نجحت هذه الإستراتيجية فى تأييد معظم دول العالم للحق العربى وصدرت العديد من القرارات الدولية المؤيدة لذلك ، بجانب ذلك ترك لكل دولة عربية حرية اختيار أسلوب المشاركة فى المعركة المصرية طبقًا لقدرات وإمكانيات كل دولة (بشراً أو سلاحاً أو مالاً) أو مجرد الوقوف السياسى والمعنوى ، وفى واقع الأمر كانت هناك دول قبلت المساهمة بأي دور يطلب منها قبل الحرب على الجبهتين

المصرية والسورية ودول أخرى قبلت المساهمة سواء كانت مادية أو إرسال قوات مع بداية الحرب وكان لا بد من التحرك على المستوى السياسى لتهيئة الرأي العام العالمى لقبول حق العرب فى تحرير أراضيهم بعد أن رفضت إسرائيل فى تعنت واضح لكل القرارات الدولية التى تؤكد على انسحابها من الأراضى المحتلة ، مع إبراز هذا التعنت الإسرائيلى وتمسكها بالعدوان على الأراضى العربية ؛ ولهذا تم التحرك من أجل العمل على عزلة إسرائيل وحرمانها من التأييد العالمى والإقليمى ، وقد نجح هذا التحرك وقد أدى إلى تجميد العديد من الدول لعلاقاتها مع إسرائيل ومنها ٢٩ دولة إفريقية.

ومع أن الرئيس أنور السادات حول إيجاد حل سلمى لمشكلة الشرق الأوسط بإعلان عباراته فى ٤ فبراير ١٩٧١م ومن قبل كانت زيارة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى مايو ١٩٧٠م لكن تعنت إسرائيل ومعاونتها الولايات المتحدة الأمريكية فى تحويل كل من المباحثات والمبادرات إلى أن تكون فى الأساس حلاً لفتح قنال السويس بدون وضع تصور للحل النهائى وبجانب ذلك بعد الانتخابات الأمريكية ودعوة السيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى للرئيس السادات إلى واشنطن لمباحثات د.هنرى كسنجر ، ولكن كانت تدور فى حلقة مفرغة وفى تصور واحد ، هو حل مرحلى لفتح قناة السويس وأن تصور الإدارة الأمريكية كما قاله جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية[1] "إن ما يبعث على الاطمئنان هو اتفاق تقييمنا وتقييم إسرائيل أن التوازن محقق وهذا يعنى أن أمنها ليس مهدداً وأن العرب ليسوا فى وضع عسكرى اليوم يمكنهم من طردها بالقوة من الأراضى المحتلة".

(١) محمد حافظ إسماعيل: أمن مصر القومى فى عصر التحديات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٧م، ص٢٧٨.

أما الاتحاد السوفيتى فبعد أحداث ١٥ مايو ١٩٧٠م وعقد معاهدة التعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى بالرغم من عدم تحقيق عام الحسم للرئيس أنور السادات وذلك لعدم إمداد القوات المسلحة بنوعية الأسلحة والمعدات المطلوبة ، فقد تم الزيارات المتتالية بين القادة المصريين والسوفيتيين وكان المطلب الرئيسى للرئيس أنور السادات هو قوة الطائرات القاذفة وأن تكون مقاتلة للردع ذات مدى يمكن استخدامه فى عمق إسرائيل ودبابات حديثة وإعادة تقييم جهاز الحرب الإلكترونية من جديد، ولكن لم يتم التنفيذ فى ميعاده ، مما أدت الأحداث السياسية والعسكرية إلى أن يتخذ الرئيس أنور السادات قرارًا بطرد الخبراء الروس من مصر مما أوجد توترًا فى العلاقات المصرية السوفيتية وهو ما دعا كلاً من الطرفين إلى مزيد من تدهور العلاقات بينهما وأدت زيارة الدكتور/ عزيز صدقى أكتوبر ١٩٧٢م إلى موافقة الاتحاد السوفيتى إلى صفقة سلاح ولكن حددوا ميعاد التوريد فى الربع الثالث من عام ١٩٧٣ وكان تقدير الدكتور/ صدقى أن الزيارة حققت أهدافها وأن النتائج الحقيقية ستتأكد فى اجتماع القمة عند انعقاده ، إلا أن تقييم الرئيس السادات جاء مخالفاً لرأي الدكتور صدقى(١).

فقد كسب السوفييت وقف التدهور فى العلاقات، وحافظوا على معاهدة الصداقة والتعاون على التسهيلات البحرية.

بينما تجنبوا اتخاذ قرار بمساواة مصر بإسرائيل فى التسليح.

وحددوا توقيت توريد الأسلحة المتفق عليها على نحو يعكس أملهم فى التوصل إلى اتفاق مع الولايات المتحدة، وهكذا... لم يتمكن البلدان من تجاوز الصدمة التى أحدثها قرار ترحيل العسكريين السوفييت من مصر.

لقد حدث "شرخ" فى علاقات البلدين، ولم تكن مصر على استعداد للتراجع فى قراراتها، ولم يكن السوفييت على استعداد لقبول "الأسس الجديدة".

---

(١) محمد حافظ إسماعيل: المرجع السابق، ص ٢٢٤.

واعتبارًا من الآن تراجعت علاقات التحالف، ولهذا كان قرار الحرب الذى نؤكد فيه على الآتى :

الأول: الحرب كانت ضرورة سياسية وضرورة معنوية لتحرير أراضينا وإرادتنا.

الثانى: الحرب لم تكن فصلاً هزليًا أو صدامًا ملفقًا كما تردد الزعم، فإن قمة الغباء السياسى، إن لم يكن قمة الخيانة الوطنية، أن يقبل زعيم القيادة أن تصبح أقدار الشعوب ومستقبل وأرواح الملايين رهن لعبة سياسية.

ولقد كانت هذه الحرب حرباً عادلة ومشروعة.. كانت واجب وطنى، ومن هذا المنطلق حمل الألوف أرواحهم على أكفهم وهم ينطلقون إلى خطوط الأعداء، وسقط الشهداء دون تردد، ودون أن يلتفتوا حولهم، فلقد كان خوض هذه الحرب ضرورة لكى يسترد الإنسان كرامته وكيانه... بقدر ضرورتها لتحرير أراضيه.

اتخاذ قرار الحرب [1]

فى مساء الأحد ٣٠ سبتمبر، اجتمع مجلس الأمن القومى بدعوة مفاجئة من الرئيس السادات ، وفى هذا الاجتماع جرى استعراض الموقف من مختلف جوانبه السياسية والعسكرية، فأعرب الرئيس عن تقديره لما أمكن للدبلوماسية المصرية تحقيقه دوليًا، وفى تقييمه للقوتين الأعظم، أشار إلى عدم اقتناع السوفييت بأنه لا حل سلمى للنزاع العربى الإسرائيلى، وإن أيدوا موقفنا سياسيًا، أما عن الولايات المتحدة، فلم يكن هدفها يتجاوز تحريك القضية عن طريق إعادة فتح قناة السويس والانسحاب الإسرائيلى الجزئى وتعمير مدن القناة، وكان تقديره أن "المشاعر" العربية كلها معنا، كما أبرز تأييد السعودية المالى والمادى لنا، وكان يرى أن استمرار حالة "اللاسلم واللاحرب" وراء كل متاعبنا الاقتصادية والاجتماعية، وعن القوات المسلحة، قال إن إعدادها قد بدأ منذ أول العام للقيام بعمل عسكرى عبر القناة، ثم

(١) محمد حافظ إسماعيل، المرجع السابق: ص ٣٠٣.

أشار إلى ما تسرب عن اجتماع فلسطينى حول احتمال نشوب الحرب وأن الإذاعة الإسرائيلية قد رددت هذه الأنباء، وكأنه أراد بذلك أن يلفت نظر المجتمعين إلى توقع نشوب الحرب... دون أن يؤكد ذلك صراحة.

ثم دعا الرئيس المجتمعين إلى أن يدلوا بآرائهم .. التى تضمنت:

١- أن يكون الهدف النهائى هو تحرير الأرض وتأمين حقوق الشعب الفلسطينى على أساس ما جاء بمفكرة يارنج، مع تحبيذ للمرحلية لتحقيق تسوية نهائية.

٢- أن العمل العسكرى قد أصبح ضرورة لدفع التسوية السياسية ولو أنه لن يحسم الأمور، وأنه قد أصبح عاجلاً قبل أن تتآكل كفاءة قواتنا المسلحة، وتأكيد ضرورة إطالة أمد المعركة مع الحفاظ على سلامة قواتنا المسلحة.

٣- ضرورة استمرار العمل السياسى خلال الحرب وتعبئة كل طاقة القوى المؤيدة للقضية العربية، وهذا يتطلب التعاون العربى... والتنسيق مع السوفييت لتحييد الولايات المتحدة التى ستسعى إلى إنهاء الحرب بسرعة.

٤- أهمية الإعلام الداخلى والخارجى.. الواعى والموضوعى.

٥- أهمية العامل الاقتصادى وتصعيد ضغوطنا بالعمل على "تعميق وتوسيع دائرة الحرب" وفى هذا الصدد أشار الدكتور فوزى إلى أهمية استهداف رؤوس الأموال العربية فى المصارف الغربية، وخفض إنتاج البترول، والتعرض لخطوط مواصلات الغرب... ولكنه حذر من الإضرار "بالأصدقاء".

وفى شرح تصوره للمعركة التى نقبل عليها، أكد الفريق أول إسماعيل عدداً من الاعتبارات ، كما أجاب على بعض ما أثير من ملاحظات:

١- تشن مصر العمليات بالتنسيق مع سوريا، واثقة فى نتيجتها بتحقيق الضغط على إسرائيل لإرغامها على قبول حلول سلمية.

٢- إن المعركة التى نخوضها فى حدود قدراتنا، فالإمداد من الاتحاد السوفيتى يتم بحساب، ولهذا فإمكاناتنا لا تسمح بتحرير سيناء كاملة.

٣- إن القوات المصرية - السورية ستوجه ضربة قوية، ولا تقبل تكرار حرب الاستنزاف، وتعمل على إطالة أمد الحرب، وتتوقع أن تتكبد خسائر كبيرة ، ولكنها أيضاً ستنزل بالقوات الإسرائيلية خسائر أكبر.

٤- إن الوقت ليس فى صالحنا.. معنويًا وماديًا، ولهذا يجب أن لا نؤخر توقيت التدخل العسكرى ضد إسرائيل.

٥- قد تبدأ إسرائيل الحرب وتأخذ فى يدها المبادرة إذا قدرت أننا نستعد للهجوم، لهذا أصبح تحقيق المفاجأة عاملاً حيوياً لنجاحنا.

٦- تفتقر قواتنا إلى "التفوق الجوى"... كما تفتقر إلى إمكانات الاستطلاع التعبوى والإستراتيجى .. ولكن إسرائيل لن تكسب المعركة.

نهاية الاجتماع أجمل الرئيس السادات الموقف فيما يلى:

١- حتمية المعركة والانتقال من الدفاع إلى التعرض، طالما استمرت إسرائيل تمارس سياستها على أساس أنها قوة لا تقهر تفرض شروطها.

٢- لقد دخلنا "منطقة الخطر"، إن استمرار الوضع الحالى هو الموت المحقق، وإن الأمريكيين يقدرون سقوط مصر خلال عامين؛ ولذا فبدون المعركة سوف تنكفئ مصر على نفسها.

٣- نحن نمر بأصعب فترة.. لا قرار أخطر من القرار الذى نحن بصدده، وعلينا كسر التحدى.

٤- لن نقطع خيط الحوار مع الولايات المتحدة.. ولكننا نواصله ، بينما نكون قد كسرنا وقف إطلاق النار.

مراحل الحرب :

فى الساعة الثانية ظهراً بدأت معركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣م بالضربة الجوية وفى الساعة الثانية وخمس دقائق بدأ تمهيد المدفعية لمدة ٥٣ دقيقة لحماية موجات العبور فى القتال وقد كانت مراحل الحرب كالتالى[١]:

١- المرحلة الأولى من ٦-١٣ أكتوبر مرحلة تحقيق المهمة الرئيسية للقوات المسلحة تم فيها عبور ١٤ ألف مقاتل فى ٦ ساعات أولى وفتح ٨١ ممرًا خلال ٣-٥ ساعات أهم أهدافها ضد الهجوم المضاد الإسرائيلى يومى ٨، ٩ أكتوبر وتدمير ٤٠٠ دبابة، ٤٠ طائرة.

٢- المرحلة الثانية يوم ١٤ مرحلة تطوير الهجوم.

٣- المرحلة الثالثة يوم ١٥-١٧ مرحلة ضد الضربة الرئيسية ومعارك المدرعات الكبرى.

٤- المرحلة الرابعة ١٨-٢٨ مرحلة حسر العدو غرب القتال.

٥- مرحلة الاستنزاف بعد وقف إطلاق النار لمدة ٨٠ يوماً، وبإيقاف النيران وبواسطة أمريكية أجرى مباحثات الكيلو ١٠١ وعقد اتفاقية الفصل الأول ثم الثانى وكان يقوم بالدور الرئيسى الدكتور هنرى كسينجر.

تعـــليق :

تعتبر حرب أكتوبر ١٩٧٣م نقطة مضيئة فى تاريخ مصر لأنها أعادت الحياة لمشكلة الشرق الأوسط وعالجت كثيرًا من صراع حرب عام ١٩٦٧م وأثبتت قدرة العنصر المصرى الذى - عندما يقرر ويقتنع - يؤدى ما طلب منه بكل إتقان بالرغم من كل المصاعب وقلة الإمكانيات وعندما نقيم حرب أكتوبر ١٩٧٣م نستطيع أن نوضح فكرة هدف الحرب وهذا حسب ما كتبه السيد حافظ إسماعيل والذى كان مستشار الأمن القومى خلال حرب أكتوبر وهو كالآتى[٢]:

---

(١) الملحق (و) أقوال القادة الإسرائيليين عن حرب أكتوبر ١٩٧٣م .

(٢) محمد حافظ إسماعيل: المصدر السابق ص ٢٩٨.

"وفي إطار الاعتبارات السياسية والعسكرية .... وفي ضوء التوجيه الصادر إليها، كان الهدف المباشر للقيادة العامة للقوات المسلحة هو دفع خط الدفاع المصرى إلى شرق القناة بإقامة رؤوس كبار بعمق ١٠-١٥ كيلو مترًا، والاستعداد للقيام "بمهام إضافية" حسب تطور الموقف، مع العمل على إنزال أكبر قدر من الخسائر البشرية والمادية بالقوات الإسرائيلية.

وهكذا لم يكن هدف العمليات العسكرية هو تحرير الأرض المحتلة، بالكامل أو احتلال مناطق إستراتيجية أو اقتصادية، بل كان الهدف هو تعديل علاقات القوى على جبهة المواجهة، على نحو يرغم إسرائيل على القبول بتحقيق تسوية سياسة عادلة للقضية الفلسطينية والتخلى عن الأراضى العربية المحتلة.

إلا أن هدفنا السياسى كان طموحاً ، وذلك بالرغم من أن الاعتبارات المتصلة بالعمل العسكرى كانت تفرض قيوداً على أبعاد المعركة، وتحتم أن لا تكون حاسمة، وفضلاً عن ذلك، فقد كان غياب العمل الأردنى وعدم تنشيط الجبهة الفلسطينية يثيران التساؤل حول إمكانية تعميم أية تسوية مصرية - سورية مستقبلة، لكى تتناول موضوعيًا القضية الفلسطينية والأراضى المحتلة.

نقطة أخرى هامة فى اقترابنا السياسى، وهى تصورنا إمكان تحييد الولايات المتحدة فى المعركة التى سنخوضها، ولهذا فقد رأى الرئيس السادات فتح خطوط الاتصال بواشنطن على أعلى مستوى، كما تجنب فى البداية توسيع قاعدة المواجهة بدعوة الدول العربية للتعرض للمصالح الغربية عامة والمصالح الأمريكية خاصة ، إلا أن هذا الاتساع لم يكن غير مشروع وقد أصبح تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل وتعثر العمل السياسى خلال المعركة، دافعاً إلى إعادة النظر فى موقفنا من استخدام البترول كسلاح سياسى فى المعركة، على نحو ما نصح به الدكتور فوزى فى اجتماع مجلس الأمن القومى".

وعلاوة على ذلك فإنه يمكن أن نقول إنه عمل تم بإنجاز وإعجاز ، أما الإنجاز قبل أن نوضح كيف تم علينا أن نحدد مفهوم الإنجاز ، إنه ببساطة أن يتم تنفيذ

المهمة المعطاة بكل مشتملاتها ومن هنا نبدأ بالمهمة التى خصصها رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة إلى القوات المسلحة والتى تسمى فى التقاليد العسكرية التوجيه الإستراتيجى ، وكان كالآتى:

١ - تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى بعمل عسكرى حسب إمكانيات القوات المسلحة المصرية ويكون هدفه إلحاق أكبر قدر من الخسائر للعدد.

٢ - إقناع العدو بأن تواصله احتلاله لأرضنا تفرض عليه ثمنًا لا يستطيع دفعه مع إبطال وتحديد عناصر القوة فى الجيش الإسرائيلى.

٣ - إرغام الجيش الإسرائيلى على القتال على جبهتين.

٤ - إغلاق مضيق باب المندب.

٥ - تكبير خسائر وتحرير الأرض المحتلة على مراحل حسب تطور وإمكانيات القوات المسلحة المصرية بالنظر إلى هذه المهمة قد نفذت رغم الظروف غير المواتية دوليًا وإقليميًا ومحليًا.

أما الإعجاز فيمكن أن نحدده فيما يلى:

١ - أنه يتم بعد مرور ست سنوات فقط من الهزيمة بنفس الرجال ، وهذا خلاف ما يظنه الإسرائيليون حيث قال موشى ديان إن العرب يحتاجون إلى نحو خمسين عاماً من أجل بدء حرب جديدة.

٢ - أن نوعية السلاح المتوافر فى القوات المسلحة تعود إلى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى أما السلاح الحديث فكانت نسبه فى القوات المسلحة لا تزيد عن ٢٠-٣٠٪ وأعداد قليلة من كل نوع ، ومثال ذلك كانت أسلحة الدفاع الجوى أغلبها ثابت مما لا يوفر الحماية للعمليات المتحركة ، وكذلك أنواع

الطائرات والدبابات ، وكان ناتج من أن السوفيت طلبوا أن تسديد قيمة صفقة السلاح فى فبراير ١٩٧٢م بالعملة الصعبة[1].

ولقد دخلت مصر حرب أكتوبر وكل حسابات مقارنة بين القوات الإسرئيلية والقوات العربية كانت فى صالحها فى القوات الجوية والمدرعات ، وهما عصب أي عملية إستراتيجية. كما أن فى رسالة الرفيق برزكييف يوم ٨ يوليو ١٩٧٢م فى أحد فقرات الخطاب قال "إنه بعد بناء القوات المسلحة الدفاعية لمصر بدأ تسليح الجيش للقيام بمهام التعرض وهو الهدف الذى تخدمه شحنات الأسلحة الجديدة بمقتضى اتفاقية أبريل والتأكد من أن طلبات مصر محل بحث يوشك أن يتم، وأن السوفيت سيستمرون فى تقديم المساعدات العسكرية الشاملة لمصر الصديقة.

وفى نفس الوقت تأخرت هذه الصفقة لحين زيارة الدكتور/ عزيز صدقى ووافق على جزء من الصفقة على أن يتم توريدها فى الربع الثالث من عام ١٩٧٣م من هنا يتضح أن القوات المسلحة كانت تشن هجومها وعبورها بأسلحة دفاعية والمعدات والأسلحة التى طورتها القوات المسلحة فى مقابل عدو متفوق من ناحية التسليح وترسانة الولايات المتحدة تمده بإمدادات الأسلحة.

٣- إرغام العدو على القتال وتكبده الخسائر أسر الأسرى ولأول مرة يرى العدو صراعًا وقتالاً كان فيه كثيراً.

٤- تحقيق المفاجأة والخداع بالرغم من وجود القوات المصرية على مرمى البصر والتفاخر الإسرائيلى بجهازه للمخابرات ، وكذلك جهاز المخابرات المركزية الأمريكية واللذين لم يتمكنا كشف ميعاد الهجوم.

٥- تحطيم أحد أكبر الخطوط الدفاعية فى العالم وهو خط بارليف والاستيلاء على خصوصيته فى أقل من ست ساعات.

---

(١) محمد حافظ إسماعيل: المرجع السابق، ٢٠٦.

٦- كتب الأستاذ حسنين هيكل إن الرئيس أرسل خطابًا إلى الدكتور هنرى كسنجر بواسطة السيد حافظ إسماعيل يقول فيه لن يكون هناك توسيع للقتال للعمق أو المواجهة وادعى بأنه بذلك كشف عن خطة الجيش المصرى وأظن أنه قول خطأ حيث عندما يتكلم رئيس الجمهورية والقائد العام عن العمق فيكون المقصود هو عمق الدولة ، أي أن لن نضرب عمق إسرائيل (حرب المدن) وليس العمق التكتيكى والتعبوى وأصدق دليل ما كتبه السيد حافظ فى كتاب الأمن القومى المصرى حيث كتب ما يلى [١]:

ومن الناحية الموضوعية، لم تكن رسالتنا فى ٧ أكتوبر تعرض أمراً جديداً، إذا استثنينا الالتزام حول "عدم تعميق الاشتباكات أو توسيع المواجهة"، فلقد أردنا تحديد المبادئ التى تحكم موقفنا من التسوية السياسية للنزاع العربى - الإسرائيلى بإنهاء احتلال الأراضى وتأمين حقوق الشعب الفلسطينى.

وبذلك كان مضمون برقيتنا يمثل نقطة انطلاق نتجاوز بها العمل على وقف إطلاق النار، فقد كنا نأمل من خلال المعركة التوصل إلى صياغة سياسية مرضية، كنا قد عجزنا طيلة ستة أعوام عن تحقيقها، ومع ذلك فقد التزمنا بإدارة عملياتنا العسكرية داخل إطار الأرض المحتلة لتحريرها ، وعدم تجاوزها وتحقيقًا لذلك فقد طرحنا حدود عملنا على مستويين:

الأول: فيما يتصل بالقتال الدائر على الجبهة مع إسرائيل ، حيث التزمنا بعدم "تعميق" الإشتباكات، فلا يقحم المدنيون فى المراكز الآهلة بالسكان فى عمق البلاد أو الأهداف الاقتصادية. وكان هدفنا هو تأمين مراكزنا السكانية وما أشد كثافتها.. ومراكزنا الاقتصادية وما أعظم حيويتها وتعرضها.

---

(١) محمد حافظ إسماعيل: المرجع السابق، ص ٣١٨.

الثاني: فيما يتصل بدائرة الصدام داخل منطقة الشرق الأوسط.. فقد التزمنا بعدم توسيع جبهة المواجهة، وذلك بتجنب إقحام المصالح الغربية فى منطقتنا تجنبًا للإضرار باقتصاد شعوب اليابان وأوروبا الغربية، وكان الهدف من ذلك هو ضمان تأييد العالم الغربى والرأي العام العالمى لقضيتنا.

وفضلاً عن ذلك فلم نكن نسعى إلى خلق مواجهة بين القوتين الأعظم فى الشرق الأوسط، وكان الرئيس قد سبق له أن أكد ذلك للقيادة السوفيتية منذ عام ١٩٧١م، وكان اليوم يريد تأكيد ذلك للأمريكيين. أملاً فى الحد من اندفاعهم طالما لم يكن من الممكن تحييدهم، ولكننا لم نكن أبدًا نقدم إلتزامًا غير مشروط يقيد حريتنا، بينما يطلق للآخرين حرية الحركة والعمل. ضد عمق الجمهورية وضد أمن الشعوب العربية عامة.

ولم نكن نفتقر إلى وسائل تعميق أو توسيع منطقة المواجهة.. فقد كنا من ناحية نمتلك الصواريخ التى يمكننا من قواعدها أن تصيب المراكز السكانية فى شمال النقب، وكنا من ناحية أخرى قادرين على التدخل ضد المصالح الغربية فى المنطقة، سواء بمعاونة الحكومات العربية أو شعوبها.

ولم تلبث أن تطورت الأمور على نحو لم يعد يمكن معه استمرار الالتزام الاختيارى الذى تقدمنا به.. وكان رد فعلنا الطبيعى هو إقحام العالم الغربى على كل الجبهات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ثم القوتين الأعظم.

٧- استخدام التخطيط العلمى والتدريب الشاق والمستمر والاستخدام الأمثل لنوعية السلاح المتوافر وتطويره ، وذلك عند تنفيذ التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣م.

٨- بالرغم من الموقف الدولى خصوصًا موقف الدولتين العظمتين فقد فرضت مصر عليهم التدخل فى الصراع ، فقامت مصر بشن الهجوم بدون الاعتماد على أي من القوتين.

لقد كان من أهم العوامل المؤثرة على سير المعارك خلال حرب أكتوبر هو الجسر الجوى الأمريكى والذى حدث بعد الموقف السيء للقوات الإسرائيلية وإشارة الغوث التى قالت فيها جولدا ماير رئيسة وزراء إسرائيل للدكتور هنرى كسنجر أنقذوا إسرائيل save Israel.

ونتيجة لموقف الرئيس نكسون الضعيف والدكتور هنرى كسنجر فقد أقنعه كما جاء فى كتابه[١]: "نحن اعتبرنا هزيمة إسرائيل وهى حليفة فعلاً بأسلحة سوفيتية تهديدًا للاستقرار للشرق الأوسط وضمانًا لحرب مستمرة من المصالح القريبة تسانده الأسلحة السوفيتية ورأينا فرصة لبدء مسيرة سلام من خلال إقناع العرب أن السوفيت قد يكون باستطاعتهم حرب ولكن لا يمكن تحقيق تقدم دبلوماسى ، وبالتالى من غير الممكن الاستغناء عن الدبلوماسية الأمريكية" وقد جاء ذلك بعد حدوث الخسائر الكبيرة فى القوات الإسرائيلية كما ذكر الدكتور هنرى كسنجر من أن الملحق العسكرى الإسرائيلى[٢] حضر إليه وشرح له بأن الخسائر الإسرائيلية كانت ضخمة وأنه تم تدمير ٤٩ طائرة منها ١٤ طائرة فانتوم وخسارة خمسمائة دبابة وفى هذا الكتاب نوضح أنه كان هناك انقسام بين وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الدفاع مما حدا بوزير الدفاع جيمس شالبزر ليقول[٣]: لقد استنفذ الجسر الجوى لإسرائيل المخزون الإستراتيجى الأمريكى من الأسلحة والمعدات" كذلك أوضح الكتاب أن الإستراتيجية الأمريكية تعمل على منع هزيمة إسرائيل وعدم السماح لمصر بالانتصار الكامل وقد بدأ الجسر الجوى بطائرات فردية يوم ١٠ أكتوبر اعتباراً من ١٢ أكتوبر بدأ الجسر الجوى لمد إسرائيل بالعتاد الحديث بقيمة ٢.٢ مليار دولار بأسعار ٢٩٧٣ يشمل ١٣٢ ألف طن وبجانب ذلك كان هناك جسر بحرى يحتوى

---

(١) د/ هنرى كسنجر: الأزمة، ترجمة دار الترجمة والنشر الأهرام.

(٢) د/ هنرى كسنجر : المرجع السابق.

(٣) المصدر السابق.

على ٣٣ ألف طن ، وليكون إجمالى المساعدات العسكريية من العتاد والسلاح الحديث ٦٥ ألف طن ، وفى نفس الموقف قدمت الولايات المتحدة خدمة جليلة إلى إسرائيل ، هى معلومات الاستطلاع بواسطة الأقمار الصناعية التابعة لها ، فى المقابل لم يمد الاتحاد السوفيتى مصر خلال الحرب بالمعدات والأسلحة المطلوبة بشدة لاستمرار القتال ، وكان لموقف بعض الدول العربية وعلى رأسها الجزائر الفضل فى شراء أسلحة من الاتحاد السوفيتى بالعملة الصعبة وإرسالها إلى مصر ، مما ساعد فى حصر الثغرة واستعادة كفاءة الوحدات المدرعة.

كانت من أهم مراحل الحرب مرحلة التطوّر للهجوم حيث أنها مرتبطة بالموقف على الجهة السورية وبإعمال قتال القنوات السورية فى الجبهة السورية كان التخطيط لعمليات الهجوم على مواقع العدو فى هضبة الجولان فى نفس الوقت مع الهجوم المصرى وكانت عمق المنطقة المحتلة فى الجولان ٤٠ كيلو مترًا وعرض ٧٠ كيلومترًا ، وكان الهدف احتلال كل مرتفعات الجولان بنهاية يوم ٧ أكتوبر ثم إعادة تنظيم الدفاع على طول نهر الأردن قبل استعداد إسرائيل للهجوم المضاد وبدأت القوات السورية بالعمليات فى جبهة الجولان وحققت انتصاراً على قوات العدد يومى ٦، ٧ أكتوبر ولكن اعتباراً من يوم ٨ أكتوبر قامت معارك كبيرة بين المدرعات السورية والإسرائيلية بحلول يوم ٩ أكتوبر تجمدت الجبهة السورية ، وبعد ذلك تمكنت القوات الإسرائيلية من اختراق فى اتجاه دمشق ووقفت عند بلدة سعسع وفى ذلك الوقت كان الاتحاد السوفيتى قلقاً جداً لخطورة فشله فى الضغط للحصول على وقف إطلاق النار ، ولكن كانت وجهة النظر المصرية أن إيقاف النيران فى ذلك الوقت لا يحقق الهدف النهائى من الحرب لضرورة إطالة مدة الحرب لوضع إسرائيل تحت الضغط العسكرى والاقتصادى كما أنه كان اتفاق بين الملك فيصل والرئيس السادات أنه لإمكان استخدام سلاح البترول يجب أن تكون الحرب ممتدة لفترة وليست أن تنتهى بعد أيام قليلة ، ولذلك ضغط الرئيس الأسد على

القيادة المصرية من أجل تطوير الهجوم وقد لبى الرئيس السادات ذلك وكان الهجوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر ، كما اتجه السوريون إلى حلفائهم السوفيتيين الذين أقاموا جسرًا جويًا وزودوا قواتهم وأعلنوا بأن الاتحاد السوفيتى لا يمكن أن يظل متجاهلاً الإجراءات الإجرامية التى يقوم بها الجيش الإسرائيلى.

ولهذا كان قرار التطوير المصرى قراراً سياسيًا الذى اتخذ يوم ١٢ أكتوبر بالرغم من معارضة قادة الجيوش ؛ ولهذا نفذ هذا القرار يوم ١٤ أكتوبر وكان من المفروض لضمان نجاح هذاه أن يتوفر الآتى:

١- ضرورة توفير سيطرة جوية فوق محور الهجوم الرئيسى أو يتوافر وسائل من الدفاع المضادة للطائرات ذاتية الحركة لتوفير الحماية من سيطرة الطيران الإسرائيلى وهذا النوع من السلاح لم يكن متوفراً بالأعداد المطلوبة لتنفيذ المهمة.

٢- معلومات الاستطلاع من العمق عن قوة العدو.

٣- تحديد محور هجوم رئيسى والذى يدعمه محاور ثانوية ونتيجة لخروج القوات من مظلة حماية الدفاع الجوى لتنفيذ قرار التطوير ووصول الصواريخ المضادة إلى الدبابات Tow من الولايات المتحدة إلى إسرائيل عبر الجسر الجوى أمكن إحداث خسائر فى القوات المصرية القائمة بتنفيذ هذا القرار الذى اتخذ لحماية سقوط دمشق فى إسرائيل ولكن نجح هذا التطوير فى جذب القوات الإسرائيلية إلى الجبهة المصرية وإنقاذ الجبهة السورية.

ونتيجة لذلك كان الهجوم المضاد الإسرائيلى على الجبهة المصرية والذى نتج عنه الثغرة والذى أصبح مثار الحديث عند التحدث عن حرب أكتوبر .

فعند قيام قوات ما بالهجوم فإن الطرف الآخر يستوعب الهجوم فى اللحظة المناسبة يقوم بهجوم مضاد بغرض إيقاف هجوم العدو ومحاولة تدميره وذلك

باختيار أحد نقاط الضعف فى الخصم ويتم تجميع القوات للحصول على التفوق فى هذه الشريحة من الأرض ويتم بعدها الاختراق ثم محاولة الانتشار لتدمير احتياط العدو ، وفى هذه الحالة كان على القوات المدافعة العمل على الآتى لتحقيق النجاح:

١ – حصر العدد.

٢ – حشد قواته.

٣– تحديد المهام والقيام بالهجوم لتدمير القوات المخترقة.

وهذه الأحداث طالما حدثت فى الحرب الحديثة ولكن لضعف المعلومات والثقافة العسكرية أصبحت الثغرة كأنها شيء لم يحدث إلا فى حرب أكتوبر بالرجوع إلى الحرب العالمية الثانية ، فهناك معركتين هى معركة استالنجراد جيت كورسك حيث قامت القوات الألمانية باختراق خطوط القوات السوفيتية ولكن فى كلتا المعركتين تمكنت القوات السوفيتية من إيقاف الألمان وحصر تدميرهم فى معركة استالنجراد جيت وتم تدمير الجيش السادس الألمانى وأسر قائده (خريطة رقم ٧،٨) فيجب علينا الكف عن جلد الذات.

وكان هناك عوامل ساعدت إسرائيل للقيام بهجومها المضاد وهى:

<u>الأول:</u> القوة العسكرية العربية، وبخاصة على جبهة سوريا، والتي جاءت بعد أسبوع من نشوب القتال، فى لحظة بدء تحول مصير المعركة.. دون إعداد كاف مسبق لإقحامها، الأمر الذى أفقدها جانبًا هامًا من فعاليتها.

<u>الثاني:</u> القوة الاقتصادية العربية، والتى لم تمارس ضغوطها حتى يوم ٢٠ أكتوبر، أي بعد أسبوعين من بدء القتال ، ومع ذلك فقد ظلت دون مستوى الفعالية المؤثرة، فضلاً عن بطء الآثار الناجمة عن العمليات الاقتصادية.

<u>الثالث:</u> القوة السوفيتية العسكرية والسياسية والتى اقترنت من الحرب فى تردد فرض خوفهم على الوفاق وخوفهم من انتكاسة عربية أخرى ، ومن هنا كان

تسائلهم حول وقف النار وتوجيههم بذلك ثم إصرارهم عليه خصوصًا أنه قد بدت علامات إنهاك سوريا.

وقد دارت معارك قوية بين مدرعات الطرفين خلال معارك الثغرة وقد فشلت القوات الإسرائيلية على الاستيلاء على هدف حيوى تستطيع أن تستخدمه إعلاميًا، مع تدخل القوتين الأعظم الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية والخوف من تصادم نووى تم قبول إيقاف النيران يوم ٢٢ أكتوبر ولما وجدت القوات الإسرائيلية أن ما حققته خلال هذه الفترة لا قيمة له إستراتيجيًا فقد فشلوا فى الاستيلاء على الإسماعيلية ؛ لذلك لم يلتزموا بوقف إطلاق النيران وقدمت قوات اتجاه جنوب محاولة فى الاستيلاء على السويس حيث فشلوا فى الاستيلاء عليها وتكبدوا خسائر جسيمة وتوضح الخريطة وأنه وتم إيقاف النيران الثانى يوم ٢٨ أكتوبر وكان موقف الثغرة كالتالى:

١- تم حصر القوات الإسرائيلية بدون الاستيلاء على أي هدف حيوى.

٢- كان نقطة الاتصال بين القوات الإسرائيلية الموجودة فى الثغرة والضفة الغربية ممر عرض ٨-١٠كم مما يعتبر نقطة ضعف لأنه عند قفل هذا الممر الذى لا يحتاج إلا نصف نهار قتال تكون القوات محاصرة بالكامل.

٣- طوقت الثغرة قوات مصرية وبدأت فى حرب الاستنزاف لها ، وكان يطلق عليها "قوات شامل" وخصصت لها المهام لتدميرها الخريطة رقم (٦) توضح موقف القوات على الضفة الغربية للقتال ، ويمكن أن نسأل ما الذى حققته إسرائيل من معركة الثغرة فنجد الآتى:

١- فشلها فى تدمير الاحتياطيات المصرية غرب القنال.

٢- عدم النجاح فى إحداث أي ارتباك أو خلل بالقيادة المصرية.

٣- عدم القدرة على الاستيلاء على هدف إستراتيجى حيوى غرب القناة مثل مدينتى السويس أو الإسماعيلية.

٤- أصبحت القوات الإسرائيلية فى موقف لا تحسد عليه غرب القناة حيث حشدت ٩ ألوية فى مساحة محددة من الأرض.

٥- لم يكن للقوات الإسرائيلية أى ارتباط لقواعدها عبر سيناء سوى الممر الذى يصل عرضه إلى ١٠ كيلومترات والتى احتفظت به عبر القناة.

٦- كان الموقف الإسرائيلي داخل الثغرة بالغ الخطورة إذ أصبحت هذه القوات عديمة الفاعلية والتأثير ومع استمرار التعبئة التى تضر بالاقتصاد الإسرائيلى هذا ما أكده أندريه بوفز رئيس معهد الدراسات الإستراتيجية فى باريس خلال محاضرة فى أكاديمية ناصر يوم ١٥/ ١١/ ١٩٧٧م إن الثغرة كانت فى قلب الحشد العسكرى المصرى بدون عمق إستراتيجي فإن هذه العملية لم تكن سوى تليفزيونية (خريطة رقم٦) .

٧- واجهت إسرائيل حرب استنزاف ثانية غرب القناة ٨٠ يومًا (نحو ١٥٠ اشتباكًا) تحملت فيها حجم كبير من الخسائر.

٨- تم الإعداد لخطة شاملة الهجوم المصرى بواسطة خمس فرق مدرعة وميكانيكية على القوات الإسرائيلية غرب القناة من أجل تصفية الثغرة ولكن أوقف تنفيذها لتوقيع اتفاق فك الاشتباك الأول بين مصر وإسرائيل فى منتصف يناير ١٩٧٤م.

إن قرار وقف تصفية الثغرة كان قرار الرئيس السادات ، هل هو نابع من اعتقاده أنه لا يمكن أن يحارب أمريكا بعد دخولها بكل ثقلها وإمكانياتها لمعاونة إسرائيل وأنه لا يريد صدام مع الولايات المتحدة أملاً فى أن تكون معاونًا له لإيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط بعد أن أحدث الزلزال الذى هز إسرائيل فى حرب أكتوبر.

لا شك أن من أهم الأحداث والنتائج فى حرب أكتوبر هو التضامن العربى الذى قلما حدث إلا فى فترات نادرة متباعدة بالرغم من أن غالبية الدول العربية المنتجة للبترول صديقة للعالم الغربى وتعتمد عليه فى تأمين سلامتها وأمنها، كما أن تخفيض الإنتاج ضار بمصلحة الدول العربية المنتجة ، ولكن بفضل الملك فيصل

ملك السعودية استطاع أن يقود باقى الدول القريبة فى معركة البترول بواسطة الضخ وتحجيمه على الدول المستهلكة للطاقة والتحمت المعركتان العسكرية بواسطة مصر وسوريا ومعركة البترول بقيادة السعودية وأصبح كل منهما يساند الآخر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

كانت الشكوك تحيط بخطط الحلفاء مصر وسوريا والاتحاد السوفيتى وأنه من المفترض الثقة والتعاون ، ولعل ما كتبه السيد حافظ إسماعيل فى الصفحة رقم ٣١٥ من كتاب الأمن القومى المصرى أكبر دليل على أن الشكوك كانت تحيط الحلفاء السابقين حيث قال:

"ومنذ السادسة مساء استقبل الرئيس السفير السوفيتى فى القاهرة، الذى حمل رسالة من الرفيق بريجنيف ضمنها تقييم الرئيس الأسد للعمليات الحربية وما يتوقعه من نجاح الضربة الأولى للقوات العربية، وتقديره بأن استمرار المعركة لمدة طويلة قد لا يكون فى صالح العرب، وعلى هذا، فقد طلب الرئيس الأسد من السوفييت العمل على أن تتدخل القوى الكبرى لوقف القتال، وفى ختام رسالته تساءل الرفيق بريجنيف إن كان الرئيس الأسد قد ناقش معنا الأمر، وعما هو مطلوب من السوفييت اتخاذه فى أي وقت، مضيفًا أن الأمريكيين قد بادروا بالاتصال بهم للتدخل فى الأمر، إلا أنهم يرغبون فى التعرف أولاً على رأي الرئيس السادات.

وأبلغ الرئيس السفير السوفيتى أن الحديث المنسوب إلى الرئيس الأسد لم يكن موضوع نقاش بينهما، وأنه يرفض التوجه إلى الأمم المتحدة ولن يقبل وقف إطلاق النار حتى انسحاب آخر جندى إسرائيلى من أراضينا، وأن القبول بوقف إطلاق النار الآن سيكون لمصلحة إسرائيل وسيعيدنا إلى حالة اللاسلم واللاحرب، ولهذا عبر عن رجائه من السوفيت بعدم التورط حتى انسحاب آخر جندى إسرائيلى، وعندئذ يتحقق وقف إطلاق النار وعقد مؤتمر للسلام فى الأمم المتحدة.

وكان من الطبيعي أن نبلغ الرئيس الأسد بمضمون الرسالة التى نقلها السفير السوفيتى، وجاء رد دمشق لينفى تمامًا المفهوم الذى نقله السوفييت إلينا، وكان هذا الحدث خلال اليوم الأول من الحرب دليلاً على أن غموضاً خطراً يسود علاقات "الحلفاء" الثلاثة، يمكن أن يترتب عليه فقدان فعالية العمل السياسى المشترك، وبخاصة عندما تتصاعد الأحداث خلال الأيام التالية.

وكان من أرجح التفسيرات أن تكون القيادة السورية قد توقعت أن تجتاح هضبة الجولان وتصل إلى نهر الأردن خلال الـ ٢٤– ٤٨ ساعة الأولى ... ومن ثم تنتهى الحرب بتحقيق هدفها، قبل استعداد إسرائيل لهجوم مضاد.

كما كان لغياب العمل الأردنى وعدم تنشيط الجبهة الفلسطينية تأثيراً كان يمكن أن يساعد فى تثبيت جزء من القوات الإسرائيلية لمواجهة ذلك.

وإلى جانب ذلك فإن ضعف وسائل الدفاع السورية منع من استخدام القواعد السورية من جانب مصر لتضرب قواعد داخل إسرائيل(١).

نتائج حرب أكتوبر ٧٣:

١ – إنهاء أسطورة الجيش الذى لا يقهر واليد الطولى للجيش الإسرائيلى.

٢ – هدم نظرية الأمن الإسرائيلى وأن أمانها فى سلامها مع جيرانها.

٣– عودة الثقة فى المقاتل المصرى وأنه إذا أحسن الاستعداد والثقة فى النفس يعمل المستحيل.

٤– سقوط الدعاية الكبيرة على إمكانيات جهاز الموساد الإسرائيلى كأحد أقوى أجهزة المخابرات ، فقد تمت كل الاستعدادات تحت نظره ولم يعرف أن الحرب قادمة وقد استمرت هذه المعلومة لفترات طويلة فى مجتمعنا ، ولكن للأسف رجعت ثانية وأصبح نظام المؤامرة بواسطة الموساد لكل ما نعانيه من مشكلات شماعة حتى نهرب من حل مشكلاتنا بأيدينا.

(١) محمد حافظ إسماعيل: المصدر السابق.

٥- أهمية التخطيط العلمى والعلم والتكنولوجيا واستخدامها فى كل عمل جاد لمصلحة الوطن.

٦- عودة مشكلة الشرق الأوسط ثانية إلى الحياة والبحث عن حل لها ، وأرغمت الولايات المتحدة لتناول هذه المشكلة بعدما كانت تطالب بالاسترخاء.

٧- إن التضامن العربى يمكن تحقيقه إذا خلصت النوايا وأن باتحاد وتضامن العرب يمكن أن يكونوا قوة سادسة فى العالم، ما تم فى حرب أكتوبر من المرات القليلة التى تضامن العرب لو استمر هذا التضامن لكان حل الصراع العربى الإسرائيلى سهل ويسير وبه يمكن إعادة الحقوق الفلسطينية إلى أهلها.

٨- بانتهاء حرب أكتوبر تأكد ازدياد نفوذ الولايات المتحدة السياسية والعسكرية على قضية الشرق الأوسط فى المقابل بدأ التآكل للنفوذ السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط.

٩- إعادة حقيقة أن انتماء المصرى إلى وطنه موجود فى كل وقت وأنه عند وجود الهدف أو المطلب للوطن بأنه يظهر بأعلى درجاته.

١٠- أهمية تعمير وتنمية سيناء لأنها هى البوابة الرئيسية لمصر ، وبتعميرها يقل فرص التعرض منها.

١١- تم فتح قناة السويس وإعادتها إلى الملاحة مرة ثانية.

معركة صنع السلام:

تم إيقاف النار فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ بعد تدخل كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، فكان هذا أول صدام عسكرى كامل بين قريتين من أطراف الصراع العربى الإسرائيلى وكان لا بد من كل نهاية صدام أن يتم المباحثات السياسية للوصول إلى نهاية هذا الصراع وكما قال كلاوزفيتز:

الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى وإن أحداث الحرب التى تربطها ليست سوى خيوط سياسية تتابع مسارها عبر الحرب حتى تحقيق السلم.

وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لكى لا تسمح باستمرار النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط وخصوصًا مصر ، وذلك بعقد المرحلة الأولى وهى مباحثات الكيلو ١٠١ وقد تضمن هذا الاتفاق النقاط الست التالية[١]:

١- توافق مصر وإسرائيل على الالتزام بدقة بوقف إطلاق النيران الذى دعا إليه مجلس الأمن.

٢- يوافق الجانبان على إجراء مناقشات تبدأ فور تسوية مسألة العودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر فى إطار اتفاق بشأن الفصل بين القوات تحت إشراف الأمم المتحدة.

٣- تتلقى مدينة السويس إمدادات يومية من الأطعمة والمياه والأدوية ويتم إخلاء جميع المدنيين الجرحى فى مدينة السويس.

٤- عدم إعاقة الامتدادات غير العسكرية إلى الضفة الشرقية لقناة السويس.

٥- تحل نقاط مراقبة تابعة للأمم المتحدة محل نقاط المراقبة الإسرائيلية على طريق القاهرة - السويس، وعند نهاية الطريق قرب السويس، ويستطيع الضباط الإسرائيليون أن يشتركوا مع الأمم المتحدة فى الإشراف على الطبيعة غير العسكرية للشحنات عند ضفة القناة.

٦- بمجرد إقامة نقاط المراقبة التابعة للأمم المتحدة على طريق القاهرة ـ السويس يتم تبادل جميع أسرى الحرب بما فى ذلك الجرحى.

واعتباراً من ١٢ نوفمبر ١٩٧٣م بدأت سلسلة من الاجتماعات العسكرية لبحث شروط تنفيذ الاتفاقية خصوصًا الجداول الزمنية لتبادل الأسرى والجرحى وتنظيم مرور الإمدادات وإخلاء جرحى السويس، وكذا أسلوب إخلاء طريق القاهرة - السويس وتسليمه لقوات الأمم المتحدة، ثم انتقلت المباحثات بعد ذلك إلى دراسة الفقرة الثانية من الاتفاقية والخاص بفض الاشتباك والفصل بين القوات ،

---

(١) مبادرات السلام التى قام بها الرئيس محمد أنور السادات ١٩٧١- ١٩٧٧م ، جمهورية مصر العربية، وزارة الخارجية مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١١٣.

دارت مناقشات بين الطرفين للوصول إلى اتفاقية محددة ، ولكن الجانب المصرى لاحظ أن المحادثات بدأت تدور فى حلقة مفرغة بسبب مراوغة الجانب الإسرائيلى ؛ لذلك فقد أصر الجانب المصرى على تحديد موقفه ، وأن يحاول دفع الجانب الإسرائيلي لاتخاذ نفس الموقف، وطالب الجانب المصرى أن يجيب الجانب الإسرائيلى على أسئلة محددة بشأن مكان الخط المنتخب والوقت اللازم لتنفيذ الانسحاب.

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٣م عقد الاجتماع السابع عشر والأخير على أمل أن يجيب الجانب الإسرائيلى على الأسئلة المحددة غير أن الوفد الإسرائيلى لم يقدم إجابات محددة بل أعلن أن حكومته ترفض مناقشة العودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر كما أنها لا توافق على أسس المشروعات التى طرحها الجانب المصرى ، واعتبر الجانب المصرى أن الموقف الإسرائيلى وصل إلى طريق مسدود ، لذلك طلب وقف الاجتماعات إلى أن تحدد إسرائيل موقفها.

مؤتمر جنيف للسلام ولجنة العمل العسكرية:

بينما كانت الحرب فى أوج شدتها والقوات المصرية تنفذ مهامها بنجاح طرح الرئيس السادات اقتراح فى ١٦ أكتوبر أمام مجلس الشعب يدعو فيه إلى عقد مؤتمر للسلام بضم الأطراف المعينة يهدف إلى الآتى:

- التوصل إلى حل للأزمة على أساس القرار ٢٤٢ وتحقيق الانسحاب من كل الأراضى العربية المحتلة واحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.
- أن يعقد هذا المؤتمر تحت إشراف الأمم المتحدة.
- وقد تم الاتفاق بعد ذلك على أن تجرى المباحثات فى مدينة جنيف السويسرية على أن ينعقد المؤتمر خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣م يحضره كل من سوريا ومصر والأردن وإسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأن يشترك الفلسطينيون فيه فى مرحلة تالية.

وقد قررت مصر حضور المؤتمر على الأسس التالية[1]:

- الالتزام بقرار مؤتمر القمة العربى فى الجزائر فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣م بأن العمل السياسى يكمل المعركة العسكرية ويعتبر استمرارًا لها فى كفاح العرب ضد إسرائيل.
- صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٣ فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٣م يحدد دور السكرتير العام وينص على أنه دور أساسى وفعال.
- موافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على عقد المؤتمر تحت إشراف الأمم المتحدة وتحت الرئاسة المشتركة لكل منها ، وإخطار السكرتير العام بذلك فى ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ على أن يتولى الدعوة إلى المؤتمر ورئاسة مرحلته الافتتاحية.

وانعقد المؤتمر فى ٢١ ديسمبر ١٩٧٣م وحضره كل من مصر والأردن وإسرائيل والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، بينما تخلفت سوريا ، ورأسه السكرتير العام للأمم المتحدة.

وفى ٢٢ ديسمبر ٧٣ أصدر المؤتمر قراره الذى ينص على أن تستمر أعماله من خلال تكوين مجموعة عمل عسكرية تبدأ فى مناقشة مسألة فض الاشتباك بين القوات ، على أن تقدم المجموعة توصياتها وتقريرها للمؤتمر.

الاجتماعات الستة للجنة العسكرية:

عقدت الجلسة الأولى للجنة العسكرية فى مقر الأمم المتحدة بجنيف يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ تحت إشراف الأمم المتحدة ، واستمرت جلسات اللجنة العسكرية حتى ٩ يناير عقدت خلالها ستة اجتماعات استمرت حوالى ١٥ ساعة ، وخلال هذه الاجتماعات راوغت إسرائيل كعادتها وحاولت التهرب والمناورة للخروج من مأزق

(١) لواء د/ محمود عبد الرحمن: اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، القاهرة.

العودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر وما يترتب عليها من موقف إستراتيجي سيء وتناول الجانبان خلال هذه الاجتماعات المبادئ والأسس للوصول إلى اتفاق يتفق مع وجهة نظر كل منهما، وفي اجتماع ٩ يناير ١٩٧٤م وهو السادس والأخير رفض الجانب المصري هذه المراوغات ، وأصر على أن يطرح الجانب الإسرائيلي أفكاره المحددة عن فض الاشتباك في شكل مشروع متكامل ، وطلب الجانب الإسرائيلي مهلة أسبوع فتحدد يوم ١٥ يناير موعداً للاجتماع.

وفي ١٠ يناير أعلنت الولايات المتحدة أن كيسنجر يعتزم التوجه إلى مصر لمحاولة الخروج من هذه الأزمة، وقام كينسجر بعدة رحلات بين القاهرة والقدس حتى أمكنه التوصل إلى اتفاق قبلته مصر وإسرائيل بشأن الفصل بين القوات ، وأذيع الاتفاق في مساء ١٧ يناير بتوقيت القاهرة وبهذا تم الفصل الأول بين القوات المصرية والإسرائيلية وتم توقيع الوثيقة النهائية لتطبيق الفصل بين القوات يوم ٢٤ يناير ١٩٧٤م.

وبعد ذلك تلقت مصر من الرئيس الأسد[1] تفويضاً كاملاً للحصول لسوريا على اتفاقية على جبهتها، وعليه تقرر زيارة الدكتور كيسنجر لدمشق يوم ٢٠ يناير وبعد زيارات ماكوكية من الدكتور كيسنجر أخيرًا نجح في عقد اتفاقية فصل القوات على الجبهة السورية وذلك في ٣٠ مايو ١٩٧٤م وتم الاتفاق في دمشق على أن يتولى الوفد العسكري المصري في مباحثات جنيف أن توقيع عقد الاتفاق وبعدها أعلنت سوريا قرارها باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد اتفاقية الفصل على الجولان بذلت مصر جهوداً مكثفة لاستئناف عقد مؤتمر جنيف في مناخ يكون الموقف العربي فيه أكثر صلابة حتى يمكن تحقيق أفضل النتائج

(١) محمد حافظ إسماعيل: المرجع السابق، ص ٣٨٦.

، فقد دعا الرئيس الراحل السادات فى اأغسطس ١٩٧٤م إلى أن الحل النهائى لمشكلة الشرق الأوسط لن يتحقق إلا بالانسحاب الإسرائيلى من كل الأراضى العربية وقيام الدولة الفلسطينية ، ووضعت مصر مبادئ إستراتيجيتها الدبلوماسية على أساس التمهيد لذلك ، وبدأت مصر اتصالاتها لتنفيذ ذلك بالدعوة إلى التنسيق المستمر بين مصر وسوريا والأردن وفلسطين ، وكانت مصر تسعى إلى إقناع الفلسطينيين بالإعلان عن قيام الحكومة الفلسطينية المؤقتة بعد حرب أكتوبر مباشرة ، حيث أن الأسباب الدولية والمحلية تدعو إلى ذلك مؤكداً أن مصر بتعاونها مع بقية الدول العربية وبالتأييد الدولى الذى تتمتع به المنطقة والنضال الذى مارسه الشعب الفلسطينى سوف يدفع أكثر من ٨٠ دولة للاعتراف بالدولة الفلسطينية الجديدة ، على أساس أن جميع دول عدم الانحياز الذى تزيد عن ٧٠ دولة بالإضافة إلى دول أوروبا الاشتراكية والاتحاد السوفيتى والصين ومجموعة من دول آسيا سوف تعلن اعترافها بالحكومة فور إعلانها، فى نفس الوقت ركزت مصر جهودها لتحسين علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى وإعادة استئناف توريد الأسلحة إليها مع جدولة الديون ومحاولة إقناع السوفييت بأن استمرار تعويض مصر بالسلاح السوفيتى سوف يجعل مركز مصر قويًا فى جنيف، ومع بداية عام ١٩٧٥ كانت القاهرة تتسلم دفعة من الطائرات ميج٢٣ وأسلحة أخرى تنفيذًا لعقود سابقة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣.

عاد التوتر مرة أخرى على الجبهة المصرية نتيجة مماطلة الدولتين العظمتين لعقد مؤتمر جنيف ، حيث تزايد الضغط الإسرائيلى على أمريكا للحصول على أكبر معونة أمريكية فى تاريخ العلاقات الأمريكية الإسرائيلية إذ طلبت معونة تصل إلى ٢٠٠٠ مليون دولار فى نفس الوقت ، أجمعت التقارير الرسمية على احتمال حدوث صدام مسلح جديد فى المنطقة ، وأسرع هنرى كينسجر بعمل جولة جديدة فى المنطقة مؤكداً أنه سوف يحقق فصلاً جديداً على جبهة سيناء ، ونتيجة لصلابة الموقف المصرى وتحديد موقفه بوضوح والذى يشتمل على الانسحاب الإسرائيلى لشرق الممرات

ومن مناطق آبار البترول مع انسحاب مماثل على جبهة الجولان - مع دعوة الفلسطينين إلى مؤتمر جنيف ومناقشة مشكلة الشرق الأوسط فى مؤتمر يتم انعقاده فور الانتهاء من هذه الموضوعات - وإن إعلان إنهاء حالة الحرب مرتبط بالحل الكامل والشامل للمشكلة ـ ولا تنازلات ولا حلول فردية ولا مساومة على الحق العربى، وفشلت هذه الجولة نظراً إلى تفتت الموقف الإسرائيلى وإصرار مصر على هذه المبادئ، ونتيجة فشل هذه الجولة قرر الرئيس الراحل السادات من مجلس الشعب فى ٢٩ مارس ١٩٧٥م الآتى:

- فتح قناة السويس للملاحة فى ٥ يونيو ١٩٧٥.
- تحديد فترة بقاء قوة الطوارئ ثلاثة أشهر بدلاً من ستة أشهر.
- دعوة مؤتمر جنيف إلى الانعقاد.
- خطة عمل محددة تتقدم بها مصر إلى مؤتمر القمة العربى.
- تسليم ٣٩ جثة لضباط وجنود إسرائيليين كانت مدفونة فى صحراء السويس.

استمر الصراع السياسى على جميع المستويات إلى أن أعلنت مصر (قبل انتهاء فترة تجديد قوة الطوارئ الدولية بأسبوعين) الآتى:

- سوف لا نجدد عمل قوة الطوارئ مرة أخرى وقد نجددها لفترة ١٥ يوماً فقط.
- إن مصر سوف تعمل من أجل طرد إسرائيل من الأمم المتحدة حتى لو هددت أمريكا بالانسحاب من المنظمة الدولية.
- فى حالة تهديد أمريكا بعدم دفع نصيبها فى المنظمة، فإن أية دولة عربية صغيرة سوف تدفع نصيبها بحيث تبقى إسرائيل وتبقى معها أمريكا خارج المنظمة.

وإزاء الضغط المصرى قام وزير الخارجية كينسجر فى ٢٢ أغسطس ١٩٧٥ بجولة جديدة انتقل فيها بين القاهرة ودمشق وإسرائيل حيث عاد من إسرائيل يوم الأحد ٣١ أغسطس ومعه المشروع النهائى من الاتفاق الذى يتألف من:

- اتفاق بين مصر وإسرائيل.
- ملحق باتفاق تنظيم وترتيب الإجراءات العسكرية الخاصة بالانسحاب وتقدم القوات المصرية وترتيبات استخدام الطرق.
- اقتراح أمريكى خاص باستخدام المعدات الفنية الأمريكية فى محطات الإنذار المبكر.

ولذلك وقعت الاتفاقية الثانية لفك الاشتباك للقوات على الجبهة المصرية فى أول سبتمبر ١٩٧٥.

الموقف الدولى:

لقد كان الصراع على النفوذ فى منطقة الشرق الأوسط فى الفترة التى تلت حرب ٧٣ فبينما استطاعت الولايات المتحدة جذب مصر ناحيتها فإن الاتحاد السوفيتى عمل على إفشال المجهود الأمريكى فى المنطقة بجذب سوريا نحوه وبعض الدول العربية الأخرى وركز على منظمة التحرير الفلسطينية، وكان هدفه أن يكون له الكلمة فى حل مشكلة الشرق الأوسط حتى لا يخرج من المنطقة وكان مجمل الخطوط الرئيسية للسياسة السوفيتية تجاه منطقة الشرق الأوسط كما يلى:

١- رفض لسياسية الخطوة خطوة فى الاتفاق مع إسرائيل ويرى أن الانسحاب الشامل من الأراضى العربية المحتلة مركز على أهمية تنفيذ ما يجرى على الجبهة المصرية أن يتم على الجبهة السورية.

٢- كان مؤتمر جنيف هو محور الاهتمام من جميع الدول العربية والدولية ولهذا كان الاتحاد السوفيتى يؤكد ضرورة اشتراكه خصوصًا فى اللجنة العسكرية، وجعل السوفييت من استئناف مؤتمر جنيف المنطلق من الأساس لمراجعة العلاقات بينهم وبين مصر فى مجالاتها المختلفة.

٣- استمرار الاتحاد السوفيتى فى إمداد واستعراض السلاح والمعدات للقوات السورية.

٤- عندما تقدمت مصر خلال زيارة الدكتور عبد العزيز حجازى ببرنامج يتضمن القبول (بفترة سماح) يتوقف خلالها سداد الدين وذلك عند بحث حول إعادة جدولة الديون المصرية ، وبعد شرح الموقف الاقتصادى المصرى تم الرفض لأنهم يخشون إذا ما وافقوا على مطلب مصر أن تطالبهم الدول الأخرى بنفس المعاملة.

٥- ونتيجة لتدهور العلاقات المصرية السوفيتية فقد ألغى الرئيس السوفيتى زيارة لمصر خلال زيارة وزير خارجية مصر إسماعيل فهمى ووزير الدفاع المشير محمد الجسمى وخلال مباحثاتهما مع المارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى ووزير الخارجية السوفيتى جروميكو بعد الاعتذار لعدم قيام الرفيق بريجينيف بزيارة القاهرة قال: إنهم كانوا أصدقاء[1] لنا ولم يغيروا موقفهم من تأييدنا ضد الاستعمار، وأضاف أن القيادة السياسية قررت مواصلة الإمداد العسكرى لمصر بالنسبة إلى ما تم الاتفاق والتوقيع عليه، وأن أول شحنة سوف تبحر بعد يوم أو يومين، أما بالنسبة إلى طلبات مصر الإضافية، فلم يكونوا على استعداد للتوصل إلى القرار بشأنها خلال الزيارة الحالية، وأبدى استعدادهم لاستقبال مجموعة من الضباط المصريين لمناقشة تفاصيل هذه الطلبات.

وعلق وزير الخارجية فهمى قوله إن الرئيس السادات لم تكن لديه شكوك بالنسبة إلى الاتحاد السوفيتى واستعداده لدعم قدرات الدول العربية، ولكنه وصف الموقف فى المنطقة بأنه خطير و"حرج لدرجة قصوى"، فإسرائيل ستضرب سوريا لأنها تعرف أن مصر لم تستعض خسائر ١٩٧٣م، والرئيس السادات "قرر فى حالة العدوان على سوريا دخول الحرب.. وليس لديه ما يكفى للدفاع عن مصر" وطالب بالمسارعة بشحن ما سبق التعاقد عليه زائداً ما يعوض خسائرنا فى حرب

(١) محمد حافظ إسماعيل: المرجع السابق، ص ٤٠٠.

أكتوبر، وأن ينظم جسرًا جويًا لتوريد بعض احتياجاتنا العاجلة، وفى سبيل ذلك عرض أن يبقى وزير الحربية الجمسى فى موسكو للاتفاق.

ولكن المارشال جريتشكو عاد يؤكد أنه ليس الآن مفوضاً ببحث أية مطالب مصرية إضافية .. وانتهى الاجتماع.

٦- من خلال مقابلة السيد حافظ إسماعيل بالرئيس السادات يوم ١٨ يونيو ٧٤ وضح صعوبة التوصل إلى صياغة جديدة لعلاقات جديدة حيث ذكر[١] :

كان لقائى بالرئيس السادات يوم ١٨ يونيو، مؤكداً لتوقعاتى عن صعوبة التوصل إلى صياغة للعلاقات المصرية - السوفيتية تحقق الوفاق ، فقد وجدته غاضبًا لأن السوفييت دائبو الشكوى منا فى كل مكان يجمعهم بصديق مشترك، وكان موضوع شكواهم إن مصر أقصتهم عمدًا عن الاشتراك فى التسوية السياسية فى الشرق الأوسط، وكان ما يزعج الرئيس هو تصوره أن السوفييت يريدون "أن يكون الأمر لهم والطاعة علينا"، بينما لا ينفذون تعهداتهم حول توريد طائرات الميج ٢٣ المدرجة فى اتفاقية فبراير ١٩٧٣م، فضلاً عن أنهم لا "يستعوضون" ما خسرناه فى الحرب ، ورغم وعد جروميكو باستمرار الدعم العسكرى "بأكثر مما نتصور" وكان تقديره أنهم يريدون أن نلغى قرارنا بترحيل الخبراء، وأن نقبل تنشيط عمليات طائرات الاستطلاع إم ٥٠٠ دون قيود مصرية على استخدامها، ولهذا فقد اتخذ قراراً بتنويع مصدر السلاح.

وعلى الجبهة السياسية، تحدث الرئيس عن استعدادنا فى ديسمبر الماضى لتصفية الجيب الإسرائيلى غرب القناة، لولا أن الولايات المتحدة عرضت تسوية المشكلة سياسيًا.. وتحقق ذلك فى اتفاقية فض الاشتباك فى يناير ١٩٧٤م، وكان من الطبيعى أن يتم ذلك دون مساهمة من السوفييت، فلم نكن مطالبين بالاستئذان منهم فى كل

(١) محمد حافظ إسماعيل: المرجع السابق، ص ٤٠٢.

خطوة نخطوها، فضلاً عن تقديره أنهم لا يملكون التأثير فى الوضع ، وقدر الرئيس أن السوفيت لا يستريحون لاتجاهنا نحو تحقيق التوازن فى العلاقات مع القوتين الأعظم، وأضاف إننا أعطينا الأمريكيين اتفاقية وتسهيلات لخمس سنوات[1]، وأننا سنعيد العلاقات الدبلوماسية معهم، ولكننا سنبقى التسهيلات السوفيتية ومعاهدة الصداقة والتعاون ولو أنها أصبحت غير ذات موضوع.

ومن الناحية الاقتصادية، استنكر الرئيس بمرارة أنه فى اليوم الذى قرر فيه الكونجرس الأمريكى اعتماد ٢.٢ بليون دولار لإسرائيل وصلتنا رسالة من السوفييت تطالبنا بتسوية الديون والفوائد عن عام١٩٧٤م، وقدر أن السوفييت يظنون أن الدول العربية تستطيع أن تدفع عنا ديوننا الخارجية.

ثم تناول الرئيس تصور السوفييت لاتجاهات مصر الداخلية وبخاصة فى المجال الاقتصادى ، فأكد أننا لم نتحول عن الاشتراكية، وأن ذلك ليس موضوع مجاملة لأحد ولكنها ضرورة لتحقيق العدالة الاجتماعية، وأن هذا الخط سيستمر، أما عن "الانفتاح الاقتصادى" فمرجعه ضرورة تشغيل طاقات إنتاج عاطلة تقدر بنسبة ٣٠-٤٠ فى المائة، مما يتطلب اجتذاب رؤوس الأموال الغربية وإقامة المناطق الحرة لدعم النمو الاقتصادى.

وفى رد على رسالة للرئيس أنور السادات تناولت رد الرئيس بريجينيف موضوعين[2] :

الأول: الاستعداد لبحث دعم قوة مصر الدفاعية "فى إطار بحث الموضوع الجوهرى، وهو إلى أين توجه الأمور فى العلاقات السوفييتة - المصرية".

الثاني: الخطوات السياسية خصوصًا فى جنيف، حيث يتمسك الاتحاد السوفيتى بموقفه المبدئى من قضايا الشرق الأوسط دفاعًا عن قضية العرب العادلة.

---

(١) محمد حافظ إسماعيل: المرجع السابق، ص ٣٨٧.

(٢) المرجع السابق.

وهكذا ربط السوفييت بين العلاقات السياسية والعسكرية للبلدين، ومشاركتهما فى المباحثات المؤدية إلى تسوية النزاع العربى الإسرائيلى.

٧- اهتمت القيادة السوفيتية بمنظمة التحرير الفلسطينية وذلك لأنه فى مثل هذه الظروف احتمال عقد مؤتمر جنيف بعيداً ، فإنه عليهم تركيز الجهود فى سبيل تعزيز مركزهم فى العالم العربى والسعى إلى تأهيل جبهة عربية قوية ، فبينما سبق احتفالات أول مايو دعا وفد فلسطينى يرأسه عرفات للحضور إلى موسكو .

وكان مؤتمر جنيف موضوع نقاش سوفييتى ـ فلسطينى واسع النطاق، ولم يكن عرفات يعترض على حضوره.. وإن تساءل فى استنكار "ولكن أى جنيف؟".. وكان أساس استنكاره ينصب على رغبة السوفييت فى أن تتم دعوة الوفد الفلسطينى فى مرحلة لاحقة لبداية المؤتمر.. فلا يكون حضورهم منذ البداية شرطًا لعقد المؤتمر ، كما اعترض الفلسطينيون على الاقتراح بأن تكون صياغة الدعوة بسيطة وخالية من شروط قد يستغلها الأمريكيون لتعطيل عمل المؤتمر، ومن الناحية الموضوعية، حدد السوفييت موقفهم على أساس العمل على إقامة الدولة الفلسطينية ضمن حدود عام ١٩٦٧م.

٨- وفى مجال آخر واصل السوفيت تعزيز مركزهم فى العالم العربى، ففى أواخر مايو قام رئيس الوزراء كاسيجين بزيارة لكل من تونس وليبيا، ولقد وضعت المصادر السوفيتية هذه الزيارة فى إطار السعى إلى فهم مواقف ليبيا من قضية الشرق الأوسط، وتقريب موقف البلدين بالنسبة إلى مؤتمر جنيف، وإرساء التعاون السياسى والتشاور بينهما، وفسرت مصادر عربية الزيارة على أنها تستجيب لما أبدته ليبيا من مخاوف تجاه تهديد أمريكى محتمل لمناطق إنتاج البترول. وقد تعهدت التكهنات حول النتائج التى أسفرت عنها الزيارة على المستوى العسكرى، فبينما لم تكن التقديرات المتحفظة تضيف جديداً إلى ما سبق الاتفاق عليه فى زيارة رئيس وزراء ليبيا لموسكو فى العام الماضى (إقامة شبكة دفاع جوى

حول مدينتى طرابلس وبنى غازى ومناطق البترول)، فقد ذهبت بعض الصحف فى مصر إلى تقدير المشتريات الليبية بـ ١٢ مليار دولار، وإلى القول بإنشاء قواعد سوفيتية فى ليبيا وتواجد ألف خبير سوفيتى بها.

ولقد نفى السوفييت ما أذيع حول القواعد، كما استنكروا الادعاءات المبالغ فيها حول المشتريات الليبية.

٩- وانتظاراً لاستئناف مباحثاتهم مع مصر، وتقديرًا لاحتمال اتجاهها وجهة غربية، عمل السوفييت خلال الصيف على تدعيم مراكزهم فى العالم العربى عن طريق:

(أ) تأكيد علاقاتهم بمنظمة تحرير فلسطين بقيادة ياسر عرفات، والموافقة على فتح مكتب لها فى موسكو والوعد باستمرار دعمهم لها، وكان السوفييت يأملون فى استقطاب العالم العربى إلى جانبهم بموقفهم المؤيد لقضية الشعب الفلسطينى .

(ب) توسيع ودعم قواعد ارتكازهم فى المنطقة العربية على مقربة من مراكز إنتاج البترول وخطوط مواصلاته البرية والبحرية إلى العالم الخارجى، وبخاصة:

- تنشيط العلاقات بالجزائر وليبيا، وهما من مراكز إنتاج الغاز الطبيعى والبترول، علاوة على مركزيهما الإستراتيجى الهام فى البحر الأبيض وكانت ليبيا بعد سنوات من العداء للسوفيت تتجه نحو علاقات تحالف معهم.
- تأمين محور سوريا - العراق، إذ تمثلان الجسر البرى الذى يصل البحر الأبيض بالخليج العربى.
- تطوير العلاقات بالصومال واليمن الجنوبية على مدخل البحر الأحمر إلى قناة السويس وأوروبا.

١٠- عمل السوفيت على تنشيط تحركهم فى المنطقة العربية لإعاقة سياسة مصر سياسية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه مشكلة الشرق الأوسط فكان الآتى:

١- كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد تحقيق تسوية سياسية عبر فترة زمنية ممتدة تستطيع خلالها تحقيق أهدافها وكذلك يتيح للولايات المتحدة أن تحل تدريجيًا محل السوفييت باعتبارها القوة التى تحظى بالمركز المتميز فى السياسة المصرية.

٢- لم تكن الولايات المتحدة راغبة فى التوجه علنًا وبسرعة لكى تحل محل السوفيت، مما قد يفسد علاقات "الوفاق" ، كما لم يكن انفصال مصر عن السوفيت والتحامها بالصين أمراً يزعج الأمريكيين.. فعلاوة على أن ذلك يستبعد السوفيت من دائرة التأثير فى الشرق الأوسط ، فلن يصعب على الأمريكيين فى المستقبل أن يحلوا محل الصين.

٣- كانت الولايات المتحدة تخطط لتراجع دور مؤتمر جنيف لتحقيق التسوية الشاملة للنزاع العربى الإسرائيلى وبذلك يتم استبعاد الاتحاد السوفيتى كشريك فى التسوية السياسية وتقليص دوره كعامل مؤثر فى اتجاهات السياسة الخارجية لمصر وتطور بنائها الداخلى.

٤- الاهتمام بالفصل بين القوات على الجبهتين مقابل انتهاء الحظر البترولى من الدول العربية مع وضع إستراتيجية لمنع حدوث ذلك مستقبلاً.

٥- تغيرت السياسة الأمريكية ، فقد كانت فى عهد الدكتور كيسنجر تخطط على أساس الحل خطوة بخطوة وتغيرت فى عهد الرئيس كارتر الذى حاول إيجاد حل شامل ، ولكن الظروف الدولية والإقليمية لم تجعله يحقق هدفه.

٦- حاولت الولايات المتحدة أن تجذب سوريا إليها ولكن كانت سوريا قد قررت أن تكون بجانب الاتحاد السوفيتى بحيث يكون لها موقعها الخاص

بها ولا تكون تابعة لأي قوى إقليمية أخرى أملاً فى أن الاتحاد السوفيتى قد يحقق لها الحل المنشود مع إسرائيل.

أما أوروبا فقد وقفت على الحياد فى مشكلة الشرق الأوسط وكانت المملكة المتحدة تؤيد الولايات المتحدة فى خطوتها أما فرنسا ، فإنها بالرغم من الصداقة بين الرئيس السادات والرئيس ديسيان بعده، كانت فرنسا تؤيد وتتعاطف مع محاولات مصر لحل مشكلة الشرق الأوسط اتخذت موقعًا متحفظًا وخاصة بعد مبادرة السلام حفاظًا على مصالحها فى العالم العربى.

السياسة الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر:

١- نتيجة لحرب أكتوبر وتقديم المعاونة والمساعدة الأمريكية لإسرائيل متمثلة فى الجسر الجوى والبحرى والمساندة السياسية لها ، فلقد ساعدت إسرائيل الولايات المتحدة فى تنفيذ إستراتيجيتها نحو مشكلة الشرق الأوسط.

٢- كانت حرب أكتوبر كزلزال هز إسرائيل عسكريًا واجتماعيًا ونفسيًا نتيجة للخسائر والأسرى والإنهاك الاقتصادى وشعور إسرائيل بالتهديد أول مرة منذ نشأتها مما أدى إلى صعود اليمين الإسرائيلى للحكم.

٣- كانت سياسة إسرائيل تتمحور على أساس التخلص من آثار حرب أكتوبر على الشعب الإسرائيلى وكذلك تأثيرها على العالم والعمل على عدم استفادة العرب بأية مكاسب قد حققوها.

٤- العمل على حل مشكلة الشرق الأوسط خطوة بخطوة وعدم الوصول إلى حل نهائى ، وذلك بأسلوب المراوغة ووضع العراقيل والبداية من نقطة محددة فى المباحثات ، وتنتهى إلى نفس النقطة.

٥- استعواض خسائر حرب أكتوبر والاستعداد لجولة أخرى معتمدة على الولايات المتحدة فى إمدادها بالسلاح والمعونات المالية واستخدام اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة للتأثير على سياستها.

٦- تشجيع الاستيطان فى الأرض المحتلة فى كل الجهات العربية.

٧- كانت كل أجهزة الدولة الإسرائيلية تعمل على تفريغ مضمون حرب أكتوبر وقوتها الدافعة، وحتى بعد مبادرة الرئيس السادات ظلت المرواغة الإسرائيلية فى أثناء المباحثات وكانوا يعملون على أن تنتهى هذه المبادرة وجعل الرئيس السادات رجل سلام عقب حصوله على جائزة نوبل للسلام مع عدم تحقيق أي نوع من التشويه للمشكلة.

الدول العربية بعد حرب أكتوبر:

كانت حرب أكتوبر هى إحدى المرات النادرة التى تم فيها التضامن العربى عسكريًا واقتصاديًا متمثلاً فى الحذر البترولى وكان لدور المملكة السعودية وعلى رأسها الملك فيصل الدور الرئيسى فى المعركة الاقتصادية خلال حرب أكتوبر وظهر العرب لأول مرة كقوة سادسة فى العالم ولكن سرعان ما تبخر هذا التضامن ورجعت الأحوال كما كانت.

إن اغتيال الملك فيصل ملك السعودية بهذه الطريقة المريبة أفقد التضامن العربى أحد أعمدته الهامة ، لأنه كان هناك تضامن وتوافق كبير بينه وبين الرئيس السادات.

أما فى المشرق العربى وصل الرئيس صدام حسين إلى الحكم وأصبح يطمع فى أن يقود الأمة العربية ، والملك حسين فى موقف حياد غير واضح المعالم ، أما سوريا الشريك الرئيسى مع مصر فى حرب أكتوبر مع إيقاف النار وبدء المباحثات لفصل القوات ، اتخذت منحنى بعيدًا عن مصر مع الإصرار على أن تتعامل مصر مع سوريا معاملة الند للند ولا تصبح حركة سوريا رهن إرادة مصر ولا تصبح سوريا تابعاً لها ومع دخول الاتحاد السوفيتى متضامنًا مع سوريا ومسانداً لها بإمداد السلاح ، والتأييد السياسى خوفاً على نفوذه فى الشرق الأوسط أدى ذلك كله إلى تمزق التضامن بين البلدين واختراق طرق حركتها وإضعاف جبهة المواجهة السياسية العربية فى النهاية.

وكان القرار السليم الذى اتخذته جامعة الدول العربية فى مؤتمر القمة بالرباط عام ١٩٧٤م هو أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى وللأسف بالرغم من جودة هذا القرار ولكن نقله إلى المنظمة التى تحمل كل عيوب الدول العربية من انقسامات وأيدلوجيات مختلفة واختراقها من جميع الدول العربية كل منها ساندت وتمكنت من فيصل ومن فصائل المنظمة مما جعل الوصول إلى قرار واحد مشكلة فى المنظمة وكذلك جعل هذا القرار الأردن يبعد عن المشكلة ويقف على الحياد.

بالرغم من دعوة الرئيس السادات ياسر عرفات إلى تكوين حكومة ووعده بأنه سيساعده فى أن يجعل أكبر عدد من الدول تعترف به رفض هذا الحل.

أما فى المغرب العربى فظل بعيداً عن الصراع السياسى الدائر فى المشرق العربى، والجديد هو الخلاف الذى حدث بين مصر وليبيا حتى أدى إلى تصادم عسكرى..

وكانت مصر منهكة اقتصاديًا وتصورت أن الإخوة العرب بعد رفع أسعار البترول سيتعاونوا معها يتابعونها للخروج من الأزمة ولكن لم تكن المساعدة على المستوى المطلوب.

وكان محور السياسة العربية هو عقد اجتماع جنيف فى فبراير ١٩٧٥ ولكن حتى عام ١٩٧٧م لم يعقد هذا الاجتماع الذى كان مفروضاً أن يبدأ فيه بحث الحل الشامل لمشكلة الشرق الأوسط لعدة أسباب ، منها اختلاف دول الطوق فى تكوين الوفد الذى يمثله العرب ، هل وفد واحد أو وفود من كل دولة ؟ وما شكل تمثيل فلسطين؟ وما هى الموضوعات التى يتم البحث فيها؟ بجانب أن الولايات المتحدة لم يكن لديها الدافع القوى لإمكانية عقده وهكذا ضاعت السنين فأصبح واضحًا أن كرة الدفع التى فجرتها حرب أكتوبر قد استنفذت.

إستراتيجية مصر فى مرحلة صنع السلام:

كان جوهر إستراتيجية مصر فى مرحلة السعى نحو السلام هو التمسك بالأهداف القومية مع تغير الأسلوب ليتمشى مع واقع الظروف الدولية المعاصرة، وطبيعة الصراعات فى العالم كله، وكان هدف مصر هو احتواء إسرائيل حضاريًا باستغلال قوى العرب السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والأيدولوجية حيث ثبت أن نتيجة الجولات العسكرية السابقة كانت لصالح إسرائيل فى غياب الإستراتيجية العربية الموحدة.

ولما كانت القضية الفلسطينية هى جوهر مشكلة الشرق الأوسط ولب الصراع العربى - الإسرائيلى فقد حددت مصر هدفها النهائى الذى تعمل من أجله، وهو الوصول إلى تسوية العملية الشاملة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وبدون التوصل إلى حل المشكلة الفلسطينية فإن السلام يعتبر هشًا وغير مستقر.

وانطلاقاً من إستراتيجية مصر الشاملة لإدارة الصراع فى هذه المرحلة واعتماداً على مواثيق الأمم المتحدة وقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢، رقم ٣٣٨ حددت القيادة السياسية خطوطًا رئيسية تسير عليها فى مرحلة صنع السلام وهى[1]:

- السعى إلى سلام شامل وعادل يتم على مراحل مهما طالت مدته وليس حلاً منفرداً.
- القضية الفلسطينية هى جوهر الصراع وبدون إيجاد حل لها فإن الصراع سيظل قائمًا مهما توصلنا إلى أي من أشكال التسوية.
- لا تفريط فى الأرض ولا مناقشة فى السيادة الكاملة على أرض مصر.

(١) لواء د/ محمود عبد الرحمن: مرجع سابق، ص١٠٦.

- المحافظة عى استمرار التحرك السياسى والدبلوماسى فى كل المجالات وإحباط محاولات إسرائيل للإعاقة والمماطلة وكشف أساليبها أمام الرأي العام العالمى.
- الإصرار على إدخال الولايات المتحدة الأمريكية كشريك كامل فى المفاوضات على أساس أنها تملك القدرة والتأثير الإيجابى للحل.
- قبول إسرائيل كدولة مستقلة فى المنطقة داخل حدود ما قبل ١٩٦٧م وذلك تنفيذًا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢مع الاستعداد لقبول جميع ضمانات الأمن لكلا الطرفين الإسرئيلي والعربى.
- عدم الدخول فى صراعات جانبية مع دول الرفض العربية أو الاتحاد السوفيتى بشكل يؤثر على السير فى جهود السلام.
- المرونة فى المجالات التكتيكية خلال المفاوضات، مثل حجم القوات ونوعيتها أو فى المدد والتوقيتات.

مؤتمرات السلام التى تمت خلال المباحثات بين مصر وإسرائيل

- بعد مبادرة الرئيس الراحل السادات وجهت مصر الدعوة يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ إلى عقد مؤتمر سلام تحضيرى فى القاهرة يقوم باتخاذ الترتيبات لاستئناف عقد مؤتمر السلام الدولى فى جنيف وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ووجهت مصر دعوات رسمية إلى كل أطراف النزاع بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، والأمم المتحدة وكذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى بوصفها رئيس مؤتمر السلام.

ولكن الاتحاد السوفيتى والدول العربية رفضت حضور المؤتمر، وانضمت منظمة التحرير الفلسطينية إلى دول الرفض، وبذلك أضاعت فرصة فريدة لتحدى إسرائيل وكشف نواياها الحقيقة تجاه السلام الشامل، وكان من شأن قبول المنظمة

لدعوة مصر أن تشكل سابقة هامة بقبولها كعضو فى هذا المؤتمر الدولى، ويجعل لها صفة الشرعية الدولية، كما كانت ستخلق نمطًا يحتذى به فى جميع المناقشات المتعلقة بالتسوية الشاملة.

وقد عقد المؤتمر فى القاهرة (بمينا هاوس) فى الفترة من ١٤ حتى ٢٢ ديسمبر ١٩٧٧م وقامت الحكومة المصرية برفع علم فلسطين فى أثناء انعقاد الجلسة الافتتاحية وقام الوفد المصرى بشرح القضية الفلسطينية وأكد أن السلام الحقيقى لا يمكن أن يتحقق دون استعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

مؤتمر الإسماعيلية:

كان المؤتمر التالى فى سلسلة الجهود المبذولة للسعى نحو إيجاد تسوية سليمة للصراع العربى الإسرائيلى هو مؤتمر الإسماعيلية فى الفترة من ٢٥ حتى ٢٦ ديسمبر ١٩٧٧م وظهر فيه اختلافًا وتباينًا كبيرًا حول مسألة الحكم الذاتى الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

تتلخص وجهة النظر المصرية فى مؤتمر الإسماعيلية فى الآتى:

تتعهد إسرائيل بالانسحاب من سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة.

يجب على إسرائيل أن توافق على حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

مؤتمر قلعة ليدز:

بعد فشل اللجنة السياسية لمؤتمر الإسماعيلية وتوقف المفاوضات استمرت الجهود الدبلوماسية المصرية لتحقيق الهدف الإستراتيجى الذى تسعى إليه، ووافقت الولايات المتحدة الأمريكية على القيام بدور الشريك الكامل فى المفاوضات وفى إطار الجهود السياسية والدبلوماسية لمصر والولايات المتحدة الأمريكية أصبح الطريق ممهدًا لاستئناف المفاوضات.

وبدأت المفاوضات فى قلعة ليدز فى الفترة من ١٨-١٩ يوليو ١٩٧٨م وكان الموقف المصرى فى أثناء المؤتمر يقضى بالموافقة على عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل، إذا ما وافقت الأخيرة على الانسحاب من جميع الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧م بما فيها القدس الشرقية ، ولكن المؤتمر لم يتوصل إلى نتائج حاسمة وحال الخلاف حول المشكلة الفلسطينية دون التوصل إلى اتفاق بشأن أي جانب من جوانب التسوية بما فى ذلك الانسحاب من الأراضى المصرية.

التوصل إلى اتفاق كامب ديفيد:

فى أعقاب مؤتمر قلعة ليدز عادت إسرائيل إلى ممارسة سياسة المراوغة والتعويق، وواصلت بناء المستعمرات فى الأراضى المحتلة، ورفضت القيام بأية لمحة تعبر عن حسن نواياها، بل إنها اقترحت على الولايات المتحدة الأمريكية التخلى عن فكرة التوصل إلى التسوية الشاملة والاكتفاء بعقد اتفاقيات مرحلية ، وبناء على ذلك طلبت القيادة السياسية المصرية إلى البعثة العسكرية الإسرائيلية التابعة للوفد الإسرائيلى فى اللجنة العسكرية مغادرة مصر يوم ٢٧/ ٧/ ١٩٧٨م وللتغلب على هذه الأزمة وجهت القيادة السياسية الأمريكية الدعوى إلى عقد قمة ثلاثية فى كامب ديفيد يحضره رؤساء مصر وإسرائيل والولايات المتحذة الأمريكية.

وبعد مباحثات شاقة لمدة ١٢ يومًا فى كامب ديفيد توصل الطرفان إلى اتفاق ، وتم التوقيع عليه ١٧ سبتمبر ١٩٧٨م والذى احتوى على وثيقتين أساسيتين:

الوثيقة الأولى: تتعلق بإطار السلام الشامل فى الشرق الأوسط ومباحثات الحكم الذاتى للأراضى الفلسطينية كالآتى:

وضع ترتيبات لفترة انتقالية يتحقق فيها الحكم الذاتى والتفاوض حول "الوضع النهائى" للضفة الغربية وغزة، بين مصر والأردن وممثلين عن سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى وإسرائيل، على أن تبدأ هذه المفاوضات ليس متأخراً عن العام الثالث للفترة الانتقالية.

وخلال هذه الفترة الانتقالية، تتوقف الحكومة العسكرية والإدارة المدنية الإسرائيلية عن ممارسة مهامها ابتداء من انتخاب سلطة الحكم الذاتى.

ويتم انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية، عدا ما يتقرر بقاؤه فى عدد من النقاط المحددة لأغراض الأمن.

ويقرر الإطار أن كل حل ناشئ عن المفاوضات يجب أن يعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحاجاته العادلة (ملحق ب).

الوثيقة الثانية: وتتضمن المبادئ التى تحكم معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

وفى ٢٦ مارس ١٩٧٩ وقع الرئيسان كارتر والسادات ورئيس الوزراء بيجن معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية فى واشنطن[١] وكانت الخطوط الأساسية للمعاهدة والتى تضمنت:

أولاً: مضمون معاهدة السلام:

١- إنهاء حالة الحرب وإقامة السلام عند تبادل وثائق التصديق على المعاهدة، وانسحاب القوات الإسرائيلية والمدنيين إلى ما وراء الحدود الدولية وممارسة مصر سيادتها الكاملة على شبه الجزيرة، وعند إتمام الانسحاب ينشئ الطرفان علاقات عادية وصداقة فيما بنيهما.

٢- الحدود الدائمة بين البلدين هى الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب (دون المساس بالوضع المستقبل لغزة).

٣- ويعترف ويحترم الطرفان سيادة كل منهما ووحدة أراضيه واستقلاله السياسى، وحقه فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها، كما يمتنعان عن التهديد أو استخدام القوة ويسويان خلافاتهما بالوسائل السلمية.

---

(١) نشر نص المعاهدة بجريدة "الأهرام" القاهرية فى ٢٧ مارس ١٩٧٩م.

ويلتزم كل من الطرفين بأن لا تصبح أراضيه منطلقًا للتهديد أو الأعمال العدائية أو العنف ضد شعب ومواطنى وممتلكات الطرف الآخر، كما يمتنع كل منهما عن تنظيم أو مساعدة أو الإسهام فى العداء أو التهديد بالعدوان أو التخريب أو العنف ضد الطرف الآخر.

العلاقات الطبيعية بينهما تشمل الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية ورفع أية حواجز تعوق حرية الأفراد أو السلع على نحو تمييزى.

٤- وضع ترتيبات تحقق أقصى درجات الأمن، وتتضمن انتشار قوات محددة التسليح، وتواجد قوات ومراقبى الأمم المتحدة، على أن لا تسحب القوات الدولية إلا باتفاق الأعضاء الدائمين الخمسة أو الطرفين المعنيين.

٥- تمتع السفن والبضائع المتجهة من وإلى إسرائيل بحرية المرور فى قناة السويس وطرق الاقتراب إليها حسب اتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨م. ويعتبر مضيق تيران وخليج العقبة مياهًا دولية مفتوحة لجميع الدول ولحرية الملاحة فيها والطيران فى أجوائها.

٦- فى حالة التعارض بين التزامات الأطراف طبقًا للمعاهدة الحالية مع أية التزامات أخرى لهما فإن الالتزامات طبقًا لهذه الوعود سوف تكون ملزمة.

ثانياً: الانسحاب وترتيبات الأمن تقرر الآتى:

١- يتم انسحاب العسكريين والمدنيين من سيناء خلال ٣ سنوات من تبادل وثائق التصديق على المعاهدة ويتم الانسحاب من سيناء فى مرحلتين:

الأولى: المرحلية خلال ٩ أشهر إلى خط شرق العريش - رأس محمد.

الثانية: النهائية: خلال ٣ سنوات إلى الحدود الدولية المصرية.

٢- تنظيم ثلاث مناطق داخل سيناء :

(أ) الأولى: شرق القناة وتخصص لها قوة منظمة فى فرقة ميكانيكية من ثلاثة ألوية ميكانيكية ولواء مدرع، ولا تتجاوز ٢٢ ألف مقاتل.

(ب) الثانية: وسط سيناء، تنتشر فيها أربع كتائب من قوات الحدود (من ٤٠٠٠ مقاتل).

(جـ) الثالثة: غرب الحدود الدولية، تنتشر بها الشرطة المدنية وقوات الأمم المتحدة.

(د) الرابعة: شرق الحدود الدولية تنتشر بها أربع كتائب مشاة إسرائيلية ومراقبو الأمم المتحدة.

٣- كما حددت طبيعة الطلعات الجوية (لطائرات الاستطلاع القتال) وسمح ببناء مطارات مدنية، واستخدام هيلوكوبتر غير مسلحة مع شرطة الحدود.

٤- وحددت أنواع الدوريات البحرية لمختلف المهام.

٥- واتفق على إقامة وإدارة نظام إنذار مبكر.

ثالثاً: حول العلاقات بين البلدين ، تقرر بصفة خاصة:

١- إقامة العلاقات الدبلوماسية والقنصلية وتبادل السفراء فور إتمام الانسحاب المرحلى وتأمين علاقات اقتصادية وعلاقات ثقافية ، وحرية حركة المواطنين والسلع بين البلدين. وخلال ٦ أشهر من إتمام الانسحاب المرحلى، يجرى التفاوض حول إبرام اتفاقيات للتجارة وللعلاقات الثقافية وللطيران المدنى.

٢- كما تقرر استخدام مطارات العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط، مع إمكان استخدامها من قبل كل الدول لأغراض تجارية.

ونظمت الترتيبات المتصلة بالنقل والمواصلات، فور انتهاء الانسحاب المرحلى.

كما تقرر إنشاء طريق بين مصر والأردن على مقربة من ميناء إيلات.

رابعاً: وتضمنت الاتفاقية خطابات متبادلة حول:

١- بدء مباحثات الحكم الذاتى للضفة الغربية وغزة خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام ، على أن تنتهى بتحقيق الاتفاق خلال عام (ملحق ج).

٢- تبادل السفراء المقيمين بين إسرائيل ومصر خلال شهر من إتمام انسحاب القوات الإسرائيلية إلى الخط المرحلى.

٣- الدور الأمريكى فى حالة خرق معاهدة السلام.. وإجراء التشاور.. واتخاذ التدابير المناسبة لتصحيح الموقف.

وتم الاتفاق على أنه يمكن أن يطلب أي طرف تعديل المصاهرة كل خمس سنوات ، وعلى أن ينظر فى الطلب فى مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وتم التعديل بعد موافقة الطرفين ، ومن ضمن الخطابات المتبادلة المرفقة مع اتفاق كامب ديفيد كان خطاب الرئيس السادات بخصوص تأكيد عروبة القدس الشرقية مخالفًا ادعاءات بيجن ملحق (د) والخريطة رقم (٩) توضح المناطق المحددة بالمعاهدة فى سيناء.

تعليق:

١- إن أى صراع مسلح يحدث مهما كانت نتائجه بالنصر أو الهزيمة يتبعه مفاوضات لفرض شروط المنتصر أو المتفاوض ، من أجل الوصول إلى أكبر قدر من تحقيق أهدافهم.

٢- كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣م نقطة تحول فى الصراع العربى الإسرائيلى من جهة أن إسرائيل تأكدت أنها ليست قوة قاهرة وليس لها الذراع الطولى وأن العرب ليسوا جثة هامدة وأن لولا المعاونة والمساندة بالجسر الجوى الأمريكى لكان الموقف ونتائج الحرب تغيرت بجانب رغبة الولايات المتحدة فى عدم هزيمة

إسرائيل حتى لا تعطى للاتحاد السوفيتى الفرصة للسيطرة على الشرق الأوسط أما من الجهة الثانية فإنه من المرات القليلة التى حدث تضامن عربى فعال وإن كان ليس بالإجماع ولكن بالأغلبية وهذا يرجع فضله إلى الملك فيصل فى تجمع دول الخليج لاتخاذ قرار حظر البترول ومن خلفه الدول العربية إلى جانب صمود مصر والأداء المشرف فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ولكن هذه الفرصة التى كان يمكن فيها للعرب إيجاد حل حقيقى للصراع العربى الإسرائيلى سرعان ما تمزقت لنفس العيوب التى زرعت منذ زمن طويل بين الدول العربية ، فسرعان ما انفصل محور مصر وسوريا واتخذت سوريا اتجاهًا بعيداً عن مصر وكان وراءها الاتحاد السوفيتى بفرض حفظ نفوذه فى منطقة الشرق الأوسط وجذبت نحوها كثيرًا من الفصائل الفلسطينية تحت سيطرتها فى دمشق ، وما جاء عام ١٩٧٥م حتى دخلت سوريا لبنان بحجة الدفاع عن الطائفة المسيحية وأصبحت لبنان فى حرب أهلية اشتركت فيها أغلب الدول العربية بجانب تورط منظمه التحرير الفلسطينية فى القتال فى الحرب الأهلية ، وبعد اغتيال الملك فيصل (الذى يمثل اغتياله علامة استفهام كبيرة للطريقة التى اغتيل بها) أصبحت السعودية ودول الخليج فى جانب حيادى ، أما العراق فقد تدلى حزب البعث بقيادة الرئيس صدام حسين الذى اعتبر نفسه زعيم الأمة العربية وبنى سياسته على هذا الدرب ، وتحولت الحال فى المغرب العربى إلى تصادم وخلافات بين مصر وليبيا ، أما منظمة التحرير الفلسطينية فتبعثرت بين دمشق ولبنان فى الحرب الأهلية وتفرقت توجهاتها ولم تتوحد فى سبيل إقامة دولة فلسطين وبدأت فى عمليات خطف الطائرات للإعلان عن القضية الفلسطينية بدون اتخاذ أية إجراءات عملية للوصول إلى تحقيق الدولة ورفضت أية محاولة من جانب مصر بإيعان من الاتحاد السوفيتى وسوريا للتفاوض مع إسرائيل أو البحث عن حل عملى بخلاف الشعارات حتى تكون حكومة فى المنفى رفضها ياسر عرفات لأن الاقتراح جاء من جانب مصر.

لهذا لم يستمر التضامن العربى الذى كان كفيلاً أن ينتج إستراتيجية واحدة ذات خطوات محددة لحل القضية لأن هناك طريقين لا ثالث لهما إما بالقتال وإما بالمفاوضات للوصول إلى الحل الشامل فى الطريق الأول كان لا بد أن تتضامن الدول العربية لاستعواض الأسلحة والمعدات سواء لمصر أو سوريا بجانب تدعيم الاقتصاد وبالأخص المصرى الذى أنهكته الحروب المتتالية ، ولكن للأسف لم يحدث من ذلك شيء إلا مساعدات صغيرة مشروطة ، أما من ناحية طريق السلام فلم تحدد إجراءات محددة ورأى واحد ، وحين كان الغرض عقد مؤتمر جنيف الذى كان مقرر له فبراير ١٩٧٥م نال من العقبات والتفسيرات ودارت كلها حول أشياء ليست فى صلب الموضوع ، هل يكون هناك وفد واحد للدول العربية أو عدة وفود ومتى يشترك الفلسطينيون فى المؤتمر وخلافه مما أدى إلى استحالة عقده وضاعت فرصة أخرى وكان المفهوم أنه إحساس "خد كل مطالبك أو لا شيء" وهذا يلغى الفكرة المقامة على معنى المفاوضات.

٣- ونتيجة تلاشى قوة دفع حرب أكتوبر مع التشرذم العربى كان يجب أن يكون هناك قوة دفع جديدة حتى لا تضيع الأرض العربية التى كانت إسرائيل تلتهمها شيئاً فشيئاً وذلك عن طريق إقامة المستوطنات فى كل الأراضى العربية المحتلة والدعاية العالمية فى كل العالم على أساس أن العرب لا يريدون السلام ؛ ولذلك تم اتفاق كامب ديفيد وأعقبه معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية.

٤- عند تحليل اتفاق كامب ديفيد ومعاهدة السلام فإننى أرى أن بدون الآراء والتوجهات التى حدثت بعد توقيع هذا الاتفاق ما تم على الواقع أى تأثير ، فبعد ثلاثين عامًا نستطيع أن نصل إلى الحقيقة.

٥- إن اتفاق كامب ديفيد يحتوى على اتفاقيتين ، الأولى إطار السلام فى الشرق الأوسط وأن تدعو الدول العربية الأخرى إلى التفاوض لتحقيق السلام مع إسرائيل على أساس قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و٣٣٨ والأحكام التالية.

الضفة الغربية وغزة:

وضع ترتيبات لفترة انتقالية يتحقق فيها الحكم الذاتى والتفاوض حول الوضع النهائى للضفة العربية وغزة بين مصر والأردن وممثلين عن سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى وإسرائيل ، على أن تبدأ هذه المفاوضات ليس متأخرًا عن العام الثالث للفترة الانتقالية وخلال هذه الفترة الانتقالية تتوقف الحكومة العسكرية والإرادة المدنية والإسرائيلية فمن مساره مهامها ، ابتداء من انتخاب سلطة الحكم الذاتى يتم انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية، عدا ما يتقرر بقاؤه فى عدد من النقاط المحددة لأغراض الأمن ويقرر الإطار أن كل حل ناشئ عن المفاوضات يجب أيضاً أن يعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحاجاته العادلة.

أما البندان ب ، ج فكانا عدم الالتجاء إلى التهديد أو استخدام القوة لفض خلافاتها والبند الأخير هو عن مبادئ مشتركة فى اتفاقيات السلام التى تعقد بين إسرائيل وكل من جاراتها العربية ، وبالرغم من أن الاتفاق يجرب أو ينبئ عليه خطوط لإقامة الدولة التى كان فى ذلك الوقت عدد المستوطنات ٢٧ مستوطنة فقط ، رفضت كل من الأردن ومنظمة التحرير هذا الاتفاق واستمر لقاء بين مصر وإسرائيل لتنفيذ هذا الاتفاق لمدة عام ، وانتهى لأن أصحاب الشأن لم يكونوا موجودين وضاعت فرصة أخرى ، والملحق (هـ) يوضح النقاط التى أعلنها الوفد المصرى فى المباحثات فى مايو ١٩٨٠م.

أما الاتفاقية القانونية حول إطار عقد معاهدة سلام فكان خلال ثلاثة أشهر بين مصر وإسرائيل.

٦- فى معاهدة السلام يتردد أن سيناء منزوعة السلاح ، هذا قول يخالف الحقيقة ، ولمعلومية القارئ هناك سبعة خطوط فى شبه جزيرة سيناء يمكن الدفاع منها

عن بوابة مصر الشرقية ، ولكن حسب اتفاق الإستراتيجيين أن خط المضايق هو الأنسب والأحسن للدفاع عن مصر.

ولو كانت القوات فى حرب عام ١٩٦٧م ردت إلى هذا الخط لاختلفت نتائج تلك الحرب لعمل ما ذكره الأستاذ/ حسنين هيكل فى مقاله بصراحة فى الأهرام يوم ١٣ مايو ١٩٦٧م عند مقابلته للفيلد مارشال هو منتيجومرى القائد البريطانى الشهير ، وأنه عند محاضرته فى أكاديمية ناصر العسكرية سأل لو كنت تخطط للدفاع عن مصر ما هو أنسب خط ، رد خط المضايق وهو ما اختاره الخبراء العسكريون المصريون حداً للمنطقة (أ) وتم تجهيزه جيداً وحدد القوات بعدد ٢٢.٠٠٠ فرد وهو عدد أكثر مما كان متواجدًا فى سيناء قبل حرب ١٩٦٧م والتجمع الرئيسى للقوات المسلحة موجود فى غرب القناة فى أقل من ساعة يمكن أن يكون حاضرًا للدفاع عن الوطن ، حيث أن الحرب لن تتم فى لحظة بل هى تطورات متلاحقة ، ومع تطور الوسائل والأسلحة من استطلاع فضائى إلى صواريخ أصبح هذا الموقف ملائمًا لمصر ، كما أنه يتم هناك تدريب للقوات المسلحة عن أرض سيناء[١].

٧- ولقد بدا رد الفعل لاتفاقيتى كامب دافيد، محدوداً... ثم تطور بسرعة لكى يشمل كل الدول العربية وكل مجالات النشاط.

٨- ففى ٢٣ سبتمبر، اجتمع فى دمشق ممثلو "جبهة الصمود" المشكلة من سوريا والجزائر وليبيا واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية، لإرساء موقف مشترك تجاه مصر يكون منطلقًا لإطار عربى واسع، وفى هذا الاجتماع اتفق أعضاء الجبهة على:

(أ) رفض اتفاقيتى كامب ديفيد وتحذير الأمم المتحدة فى الإسهام فى تنفيذها.

---

(١) محمد حسنين هيكل: جريدة الأهرام، مقال بصراحة، مايو ١٩٦٧.

(ب) تأييد منظمة تحرير فلسطين الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى.

(جـ) قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع النظام المصرى دون تطبيق الحظر على تحركات الأفراد.

(د) إعادة المطالبة بنقل مقر جامعة الدول العربية إلى خارج مدينة القاهرة.

(هـ) الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة عربى.

(و) إيفاد الرئيس الأسد إلى الاتحاد السوفيتى لدعم التعاون السياسى بينه وبين دول المواجهة ، وأيضاً إلى الدول العربية للتعرف على مواقعها.

موقف الدول العربية ونظرتها إلى المعاهدة:

قد عارضت الدول العربية (عدا السودان وعُمان) النتائج التى توصلت إليها جهود السلام، وإن اختلفت حدة التعبير عن معارضتها، وتباينت ردود الفعل بين الانتقادات (عادة من جانب مجموعة الرفض التى تزعمتها العراق) ، والإعلان عن مواقف محددة بشكل متحفظ بزعامة المملكة العربية السعودية، وإلى جانب الكتلة المعارضة عبرت فى الدول عن مواقف محايدة من بينها المغرب وموريتانيا ويمكن تقسيم موقف الدول العربية طبقاً لما ظهر من مؤتمر بغداد فى ٣ نوفمبر ١٩٧٨ كالآتى:

الجناح العراقى:

يضم العراق، وسوريا، واليمن الجنوبية، والجزائر، وليبيا، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وتعاطفت أو تعاونت معها المملكة الأردنية الهاشمية ، وقد هاجمت هذه الدول معاهدة السلام واعتبرتها لم تسفر عن أية نقاط لصالح القضية الفلسطينية وأنها تمس صميم عروبة القدس.

الجناح السعودى:

ويضم السعودية ، ودول الخليج عدا عمان، واتسم موقف هذه الدول بالاعتدال النسبى والدبلوماسية الهادئة، وإن كانت هذه الدول قد تخلت عن موقف الاعتدال بعد مؤتمر بغداد.

لبنـان:

اعترضت على كامب ديفيد ومعاهدة السلام لأنها ترى أن الاتفاقيتين قد أغفلتا الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وأن معاهدة السلام قد ذكرت الشعب وغفلت الأرض.

تونس:

كان اعتراضها على أساس أن المعاهدة لم تنص على قيام دولة فلسطينية وعدم احترام الإجماع العربى، كما أن المعاهدة لم تستجب لمطالب الشعوب الإسلامية فيما يتعلق بالقدس.

وبدأ العرب فى محاربة مصر فى الهيئات الدولية بغرض طردها مع حصار اقتصاد ونقل الجامعة العربية ، ولو كان العرب جعلوا جبهة الصمود والتصدى التى ما لبثت أن ماتت واندثرت وشكلوا جبهة لمساندة الرئيس السادات فى أثناء المفاوضات ووقفت الدول العربية معه مصرحهة بأنها تنتظر ما فى جعبة إسرائيل ، فإذا كانت صادقة ستحذو حذو مصر وتعقد اتفاقات معها ، ولكان موقف الرئيس السادات أفضل وأقوى وحصل على مكاسب أخرى ، حتى القضية الفلسطينية فقد خذل الفلسطينيون الرئيس السادات لأن الرئيس بيجن سأله لماذا تتكلم باسم الفلسطينيين[1]. وأصبحت عبارة الخيانة وتصفية القضية والخروج من الجبهة العربية وعدم مساعدة دولة عربية لأخرى إذا تعرضت لعدوان إسرائيل ولعل أبلغ ما قيل

---

(١) أنيس منصور : (مقابلة خاصة) فبراير ٢٠٠٨.

فى ذلك الموضوع هو كلمة الأستاذ صلاح منتصر فى عاموده اليومى مجرد رأي أن قال[1]:

"لمدة ٣٠ سنة شاع أن السادات عندما وقع اتفاق ٢٦ مارس ١٩٧٩م مع إسرائيل تخلى عن العرب وباع القضية الفلسطينية فى حين أن العرب هم الذين تخلوا عن السادات وجعلوا الاتفاق مع إسرائيل منفردًا وأن بعض الفلسطينيين هم الذين ما زالوا يبيعون القضية لمصلحة جيوبهم.

إن العرب فى ٧٧ لم يتركوا فرصة للسادات يحارب معركته مع إسرائيل وإنما كانوا حربًا أخرى ضد السادات أسوأ من إسرائيل ، ولنا أن نتصور ماذا لو كان العرب بدلاً من موقف الحرب والهجوم والتخوين الذى اتخذوه فى ذلك الوقت قد أعلنوا منح السادات فرصته وتأييده فى أية نقطة إيجابية يصل إليها ومساندته ضد أية سلبية ، من المؤكد أن النتائج كانت تغيرت كثيرًا والأرض المحتلة التى امتلأت خلال هذه السنين بالمستوطنات والمتغيرات قد عادت إلى أصحابها.

كان على الرئيس السادات أن يقتدى بشريكه الرئيس حافظ الأسد فى الحرب ويبقى على سيناء محتلة كما فعلت سوريا مع الجولان ، وكانت شعارات العروبة وأمة واحدة أهم من تواجد المستوطنات ومشاريعهم على أرض سيناء ، ولعل جريمة الرئيس السادات التى لا تغتفر أنه بالسياسة استكمل تحرير باقى الأراضى ، هل هذه تعتبر خيانة إذا استرددت أرض وطنى من المحتل؟!" .

٩- وبعد عشر سنوات رجع العرب إلى مصر وأصبحت القاهرة لأول مرة مقرًا لجامعة الدول العربية.

١٠- ولعل بعد مرور ثلاثين عاماً أثبتت أن رؤيا الرئيس السادات كانت صائبة ولو عاونته وساندته الدول العربية لأمكن وجود حل شامل للصراع العربى

(١) صلاح منتصر: جريدة الأهرام، مجرد رأي، أكتوبر ٢٠٠٨.

الإسرائيلى وأن الادعاءات التى خرجت بزوال دور مصر وأنها لن تستطيع أن تساعد باقى الدول وأنها همشت قضية فلسطين ، نجد أن كل هذا لم يحقق ، بل العكس ، ومن أمثلة ذلك :

(أ) إن مصر في عهد الرئيس السادات عاونت العراق الذي سعى إلى إخراجها من الجامعة العربية وتزعم جبهة الصمود وبالسلاح وخصوصًا الدبابات والذخيرة والخبراء ، كما ساعد على صمود العراق أمام إيران.

(ب) معاونة مصر في إخراج المنظمة وبرئاسة ياسر عرفات من لبنان سالمين بعد غزو إسرائيل لبنان ، وكان الغرض الرئيسى تدمير منظمة التحرير الفلسطينية.

(جـ) الدور الرئيسى لمصر فى حل القضية بتوافر وسيلة اتصال لإسرائيل عبر مصر أمكن التباحث والضغط فى بعض الأحيان لصالح القضية الفلسطينية ، ولا أدل على دور مصر فى القضية الفلسطينية فى هذه الأيام من محاولة لم شمل الفرقاء الفلسطينيين والوصول مع الجانب الإسرائيلى إلى تفاهم لبدء المباحثات ودور مصر فى أثناء العمليات ضد غزة ومجهود مصر فى إيقاف النار والإمداد بما يطلبه القطاع وعقد مؤتمر المانحين.

(د) بالرغم من ادعاء أن المعاهدة كبلت مصر فى عدم تقديم مساعدة للدول العربية فى أثناء عدوان إسرائيل على أية دولة عربية فإنه فى أثناء الغزو الإسرائيلى لجنوب لبنان كان هناك القوات السورية ولم تطلق طلقة واحدة تساعد الفلسطينين أو أهالى جنوب لبنان ، وكان المفروض أن مصر هى فقط التى تحارب وأن تظل فى حالة استعداد للحرب واستنزاف كل مواردها من أجل جولة جديدة ، ولقد غاب تفكير إستراتيجى أولى أن

أي طرف يريد أن يبدأ حربًا يجب أن ينسق مع باقى الجبهات أما أن تقوم جبهة بإشعال القتال ثم تطلب العون بدون ترتيب أو استعداد ، ويكون هذا تكرارًا لما تم فى حرب ١٩٦٧م ونكون لم نعِ الدرس الذى تم.

١١- إن الذين رفضوا الانضمام إلى مسيرة السلام ما زالت أراضيهم محتلة وما زالوا يسعون من أجل استعادتها بأي صورة من الصور ، أي أنهم بعد ثلاثين عاماً من اتفاقية كامب ديفيد يحلمون باتفاقية مماثلة وتعدوا القدرة على قراءة التوازنات الإقليمية والدولية.

١٢- إن التطور العسكرى فى الثلاثين عاماً الماضية فى السلاح والمعدات وأدوات الاستطلاع يجعل حجة الجانب الذى يتحدث عن القوات فى سيناء والدفاع عن سيناء ليس له معنى ، لأن أكثر الزمن تجاوز هذا الموضوع.

١٣- بالتمسك بكل ذرة رمل من سيناء والقيادة الحكيمة وباستخدام معاهدة السلام فى المادة السابعة أمن استعادة منطقة طابا بالتحكيم بعد مجهود رائع وشاق من مجموعة من الخبراء المصريين المخلصين.

١٤- يجب أن يبحث الجانب المصرى إقامة الطريق من الكونتلا فى سيناء عبر صحراء النقب حتى الأزدن ، وكذلك استخدام الحق فى بحث تعديل المعاهدة كل خمس سنوات حسب المتغيرات الإقليمية والدولية.

الخاتمـــــة

إن الصراع العربى الإسرائيلى لم ينته بالجولة الرابعة ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بل لا زال متواصلاً وأصبح أكثر تعقيداً لأن القضية الفلسطينية هى لب الصراع دخلت عليها متغيرات إقليمية ودولية ومحلية بالانقسام الفلسطينى واستقطاب القضية من أطراف عربية وأطراف إقليمية مثل إيران وتركيا ، مع زيادة المستوطنات فى الضفة الغربية والقدس الشرقية علاوة على انسحاب إسرائيل من قطاع غزة وحصاره ، كما تم بناء الحائط الذى يحيط بإسرائيل وتولى اليمين المتطرف مقاليد الحكم فى إسرائيل وبدأ طرح جديد ، هو أن يقبل الفلسطينيون مبدأ يهودية الدولة ، معنى ذلك زيادة اللاجئين الفلسطينين بطرد عرب إسرائيل ، كل هذا يجعل الصراع مستمرًا للوصول إلى حل شامل يسمح باستقرار السلام فى منطقة الشرق الأوسط ، برغم هذه الظروف فما زال التضامن العربى مفقودًا ، بل انحازت بعض الدول العربية إلى قوى إقليمية أخرى وتشكل محور المانعة الذى تشكل من إيران وسوريا وقطر ، ولا بد الآن من تضامن عربى واضح ومحور القاهرة الرياض ، فيتم التنسيق بينهما ويضم إليهما الأردن، وكانت المبادرة العربية التى أطلقت بواسطة الملك عبد الله عاهل السعودية لحل المشكلة الفلسطينية حتى تلك المبادرة اختلف عليها العرب من حيث استمرارها من عدمه وفى حالة التفسخ العربى هناك العراق العربى الذى ما زال تحت الاحتلال حتى عام ٢٠١١م بعد تمزق بين أطيافه وعناصر الإرهاب ولبنان بعد أن تمكن النفوذ الإيرانى تحالفه مع حزب الله فأصبح فى دوامة سياسية دائمًا.

أما الفلسطينيون فإننى أظن أنهم فى آخر الفرص لولادة دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس ، وذلك لتغير الظروف الدولية وتغير نظام الحكم فى الولايات

المتحدة وتولى الرئيس أوباما ، وكذلك لتفهم تغير فى موقف الاتحاد الأوروبى والدول المؤثرة فيه ، ولكن هذا يتطلب أساساً الوحدة الفلسطينية التى تجاهد فيها مصر الاتفاق بين الفصلين الرئيسيين فتح وحماس ، على إعادة وحدة قطاع غزة والضفة مرة ثانية ، وتشكيل الحكومة الفلسطينية ، ويتم الانتخاب والاتجاه كوفد واحد واضعًا خطة الإستراتيجية ومحددًا أهدافه وبمساعدة مصر والسعودية على أن تلعب الولايات المتحدة دورها الأساسى كمحرك للمفاوضات المقبلة بالضغط على إسرائيل لإيقاف الاستيطان ، ولنجاح ذلك يجب أن يرجع التضامن العربى مرة ثانية بين الدول العربية جميعها بإستراتيجية محددة ، وعدم انفراد أطراف عربية تلعب أدوارًا تفسد التخطيط الإستراتيجى الموحد.

وكنتيجة للمتغيرات الإقليمية وظهور قوتين إقليميتين هما تركيا وإيران تريد كل منهما أن تلعب دوراً فى منطقة الشرق فتركيا بعد تولى حزب العدالة الحكم والذى له توجهاته الإسلامية ونتيجة لوجود صعاب للانضمام إلى الاتحاد الأوروبى ولت وجهها شطر الشرق الأوسط ومشكلاته وحاولت أن تقوم بدور خلال العدوان على غزة فى أواخر عام ٢٠٠٨ وكذلك فى محاولة إيجاد حل لمشكلة الجولان السورية بترتيب مفاوضات غير مباشرة بين إسرائيل وسوريا ، ولكن تركيا تقوم بدورها بالتنسيق مع مصر ، ولا تدخل بما يعيق مجهود مصر ، أما فى حالة سوريا فهى ما زالت لا تريد أن يكون لمصر دور وأن تظهر أنها تابعة لها.

أما إيران فإنها تلعب دوراً مختلفاً فى المنطقة ، فهى تريد أن تكون الحارس على منطقة الخليج وكذلك لها الكلمة والرأي فى حل مشكلات الشرق الأوسط إلى جانب أزمتها مع الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة ورأيها فى مشروعها النووى القومى ، والذى يحاول الغرب أن يكون مشروعها فى اتجاه الأعمال النووية السليمة وليست الوصول إلى السلاح النووى ، ولهذا ترتب لدخول مفاوضات مع الغرب عملت أن يكون فى يديها مفاتيح مشكلات الشرق الأوسط وأساسها الصراع العربى الإسرائيلى ، ففتحت اتصالاً مباشراً مع حماس ودعمتها ماديًا وسلاحًا

وكذلك دعمت حزب الله فى لبنان ماديًا ومعنويًا وأسلحة واجتذبت دولتين عربيتين هما قطر وسوريا وأقامت علاقات وثيقة فى السودان وأخيرًا تدخلت فى اليمن من خلال تدعيم الحوثيين بالسلاح والمال .

وهذا التدخل يضع العراقيل فى الوصول إلى حلول لمشكلات الشرق الأوسط وكمثال ما يجرى فى اتفاق الفصائل الفلسطينية ، وليس أدل على ذلك الوقت الطويل الذى لا يتناسب مع هدف هذا الحوار والعقبات التى تظهر من وقت إلى آخر لتعطيل هذا المحور ؛ فلهذا يجب أن يكون إستراتيجية الدول العربية أن تعمل على جعل إيران دولة إقليمية تضيف قوتها لصالح شعوب المنطقة بالتعاون مع دولها ، لا بالعمل على السيطرة عليها والهيمنة على المنطقة.

أما من الجانب الإسرائيلى فإنه سيقوم بنفس الأدوار التى كان وما زال يقوم بها فكل موضوع يصل فيه إلى حل يقوم بإظهار موضوع آخر مثل موضوع يهودية الدولة بالنسبة إلى إسرائيل وهذا ينسف المفاوضات إلى جانب المستوطنات والقدس الشرقية ، فبدون التضامن العربى ومحوره مصر والسعودية وسوريا التى يجب أن تظهر وجهها العربى ، وأن تكف بعض الدول العربية عن لعب أدوار مع أطراف الصراع العربى الإسرائيلى من أجل إظهار قيمة ودور هذه الدولة فى المنطقة.

كما يجب أن يكون معلومًا أننا طلاب سلام لكى نرفع مستوى الفرد ونحقق الديمقراطية وتراعى حقوق الإنسان ولكن مع هذا يجب أن يكون هناك قوة عسكرية على مستوى عال من التسليح والتدريب ، قوة ليست للاعتداء بل للدفاع عن الوطن لأن السلام بدون قوة تحميه هو استسلام ، بجانب ذلك التنمية للجميع والاقتصاد لأن القوة الاقتصادية فى عالمنا الآن لها تقديرها ومكانتها.

ولو نظرنا إلى الفرص الضائعة خلال ذلك الصراع فإنه يجب أن ندرسها ونستفيد منها، وأظن اتباع الآتى:

١ - أن يكون الفعل والحسابات الإستراتيجية هى المحرك لسياستنا وليست العاطفة.

٢- الواقعية وهى أن نعرف جذور المشكلات وطريقة حلها بواقعية دون الجنوح إلى الخيال.

٣- أن هذا الصراع هو صراع أجيال وإذا سكنت المدافع فإن الصراع الحضارى والثقافى سوف يستمر فيجب أن نجهز أنفسنا بالعلم واليقظة.

٤- أن لا يكون سلاحنا هو حناجرنا بل علمنا وتخطيطنا السليم الواقعى، ولا نكون ظاهرة صوتية فهذا أسهل الحلول لمواجهة المشكلات.

٥- التضامن العربى والتخطيط الجيد ولو على الأقل الوحدة فى السياسات والإسراع بعمل السوق المشتركة.

٦- فى خلال الصراع فإن أى مكسب يمكن الحصول عليه يجب التشبث به ثم نتابع المجهود للحصول على غيره وهكذا.

٧- الإعلام العربى واجهة للدول العربية ويساعد على حدوث مشكلات بين الدول العربية ولكن هنا أسأل سؤالاً : هل فكر العرب بعمل إعلامى موجه إلى الدول الغربية ؟ فمثلاً يمكن إقامة عدة قنوات فضائية نشرح وجهة النظر العربية والفلسطينية ونرسل صورة للاعتداءات الإسرائيلية وضحاياها وتدميرها فى غزة عند مذبحة دير ياسين وسنؤيد سجلاً كاملاً بإرهاب إسرائيل ، هل فكرنا بعمل متحف أو كتاب يصور به صور الأحداث وترسل إلى جميع دول العالم؟ هل جهزنا مراكز لإنشاء "ويب سايت" (Web Site) على الإنترنت ووضحنا هذه المجازر والتدمير؟ هل أرسلنا رسائل إلى أعضاء الكونجرس ومجلس العموم وجميع برلمانات العالم رسالة قصيرة تطلب الإنصاف لنا؟ أظن لو وضعت خطة منظمة مدعمة يكون نتائجها باهرة كما نجح اليهود باستخدام المحرقة التى تمت فى ألمانيا أن يعترف العالم بها من لايعترف بمحاكم ، هل حاولنا نحن أن نعمل شيئًا كهذا؟ لا أظن.

٨- إسرائيل أطلقت ثلاثة أقمار صناعية وجميع الدول العربية لم تفعل ذلك وإيران أطلقت قمرها، إسرائيل طوال ٢٤ ساعة تصورنا وتعرف كل شيء عنا ونحن نائمون ، أليس من الأهمية إرسال قمر صناعى عربى أو مصرى مهما تكلف الأمر لنكون دائمًا على استعداد؟!

٩- أظهر الجهاز المركزى للإحصاء الفلسطينى أن عدد الفلسطينيين بلغ ١٠.٦ مليون نسمة أكثر من نصفهم يعيشون فى الشتات ويتوزعون حسب مكان الإقامة بواقع ٣.٨٨ مليون فى الأراضى الفلسطينية أى ما نسبته ٣٦.٦٪ من إجمالى عدد الفلسطينين وحوالى ١.٢ مليون فلسطينى فى إسرائيل أى نسبة ١١.٥٪ وبلغ عدد الفلسطينيين فى الدول العربية ٤.٩ مليون فلسطينى أى بنسبة ٤٦.٣٪ فى حين بلغ عدد الفلسطينيين فى الدول الأجنبية ٦٠٥ آلاف أي بنسبة ٥.٧٪ ومن إجمالى عدد الفلسطينيين ٣.٨٨ يتوزعون بواقع ٦٢.٣٪ فى الضفة الغربية و٣٧.٧٪ فى قطاع غزة، فى حين بلغ سكان محافظة القدس ٩.٦٪ من إجمالى السكان.

من هذه البيانات أرى أن يتم التركيز والمساندة والمساعدة لعرب فلسطين وربطهم بالدول الغربية والمحافظة على هويته الفلسطينية العربية وبجانب ذلك يجب حث الفلسطينيين المتواجدين فى الدول العربية على تكوين لوبى خاص بهم بمساعدة باقى أفراد الدول العربية وأن يعمل هذا اللوبى على شرح القضية وكسب آراء السياسيين والأفراد لأنه من الغريب حتى الآن ألا يتم هذا الإجراء لأن التوصل إلى مركز الحكم فى هذه الدول يؤدى إلى نتائج جيدة فى الصراع العربى الإسرائيلى.

١٠- يجب عدم الملل فى الاستمرار فى المطالبة بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة الذرية وهذا يتطلب العمل السياسى والتضامن بين الدول العربية

فى الهيئات الدولية ، وأن تكون أساس الحل العادل الشامل لأن وجود قوة نووية تمثل عنصر ردع يجب ألا يكون موجود بالمنطقة ، مع التفكير أن يكون لمصر قوة ردع.

١١- إن إسرائيل وسعت ميدان صراعها إلى القارة الإفريقية والتى تمثل أهمية قصوى للأمن المصرى والعربى متمثلة فى نهر النيل والبحر الأحمر ؛ ولذلك يجب التخطيط لمساندة ومعاونة الدول الإفريقية بالمال والخبرة والسلاح والتعليم من خلال خطة عربية موحدة.

١٢- يعتبر تعمير سيناء أمرًا حيويًا يختص بالأمن القَومى المصرى ويجب أن تكون له أولوية فى توجهات الحكومة المصرية على أن يتم تنميتها بشريًا وزراعيًا وسياحياً وصناعياً وأن يستمر الحظر المفروض على عدم تملك أراضى سيناء إلا للمصريين فقط.

ختاماً هذا الكتاب أود أن أذكر فيه إن الصراع العربى الإسرائيلى ما زال جاريًا ولا يوجد تنبؤ بما سنصل إليه نتيجة التعنت الإسرائيلى والاختلافات الفلسطينية والعربية ، وأرى أن الفرص الضائعة فى الصراع العربى الإسرائيلى تحتاج إلى جزء ثان يسرد فيه ما تم منذ عقد الثمانينيات حتى الآن بما فيها غزو لبنان والانتفاضة الفلسطينية وحروب الخليج والحرب العراقية الإيرانية واتفاق أوسلو وما تم بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١ - وثائق غير منشورة.

(١) تقرير - بدون - المساعدات الألمانية لإسرائيل المخابرات العامة، ١٩٧٥.

(٢) اللجنة الفرعية العسكرية لتسجيل ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ، حافظة رقم ١٦٠٠٤/ عام (٨) حرب يونيو عام ٦٧ ورقة ٩٣-١٤٠.

(٣) اللجنة الفرعية العسكرية بتاريخ ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ، ملف ٤٧، شريط ٢٦٦ن ، ص٢٠.

٢ - وثائق منشورة:

(١) الهيئة العامة للاستعلامات، من ملف قضية الشرق الأوسط (وثائق) الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين.

(٢) قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بفلسطين يونيو ١٩٤٥ ـ مارس ١٩٦٠ ، الأمانة العامة ، القاهرة ١٩٦١.

(٣) مصلحة الاستعلامات، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثانى، القاهرة.

(٤) الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٦ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بدون ، ١٩٦٧.

(٥) مضبطة اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى بتاريخ ١٩٥٨/٢٣.

(٦) تقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية رقم ٢٦/ ١/ ٥.

(٧) توجيه رقم ٢٢٧٩ لرؤساء البعثات الأمريكية فى الشرق الأوسط عن سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط فى الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ١٨ أبريل ١٩٥٨

(٨) خطاب من أنطونى إيدنى إلى تشرشل رقم ٩٨/ ٥٤/ ٣٨ بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٥٤.

(٩) مبادرات السلام التى قام بها الرئيس محمد أنور السادات ١٩٧١ - ١٩٧٧ ، جمهورية مصر العربية ، وزارة الخارجية ، مطابع الأهرام ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٧٩.

٣- مقابلات شخصية:

(١) الأستاذ أنيس منصور، فبراير ٢٠٠٨

(٢) المشير عبد الحليم أبو غزالة، مارس ٢٠٠٨.

٤- المراجع العربية:

(١) أنطوان سليم كنعان: فلسطين والقانون، تقرير بانرمان، بحث منشور فى كتاب المؤتمر الثالث لاتحاد المحامين العرب الذى عقد فى دمشق ٢٠٠٩، سبتمبر ١٩٥٧.

(٢) دكتور السيد رجب حراز: المشرق العربى بين الحربين العالميين، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٨.

(٣) د/ أحمد عبد الرحمن مصطفى: بريطانيا وفرنسا ١٩٤٥ - ١٩٤٩، دارسة وثائقية، دار الشرق، ١٩٨٦.

(٤) د/ إبراهيم شكيب: حرب فلسطين ١٩٤٨ رؤية مصرية، الزهراء للإعلام، ١٩٨٦.

(٥) أنى شلايم: العلاقة بين الهاشميين والحركة الصهيونية التواطؤ عبر الأردن، جامعة أكسفورد، الصفحة الأولى، ١٩٨٨.

(٦) أسعد مرزوق: إسرائيل الكبرى، سلسلة كتب فلسطينية إصدار منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث بيروت، ١٩٦٨.

(٧) أحمد الشقيرى: على طريقة الهزيمة مع الملوك والرؤساء، داره العودة، بيروت، ١٩٧٢.

(٨) باترك سيل: الصراع على سوريا، دار طلاس، دمشق، ١٩٦٤.

(٩) جورج أنطويوس: تاريخ حركة العرب الفوضية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢.

(١٠) جاليتا ينيكتا: دولة إسرائيل، خصائص التطور السياسى والاقتصادى، دار الهلال، القاهرة.

(١١) جون بادو: محاولة اتصال أمريكا بالعالم العربى، واشنطن، ١٩٦٧.

(١٢) جمال على زهران: توازن القوى بين العرب وإسرائيل بين حرب ١٩٦٧-١٩٧٣، مكتبة مدبولى، ١٩٨٨.

(١٣) د. جلال يحيى: العالم العربى الحديث، المشرق العربى الغربى، الفترة الواقعة بين حربين عالميتين، ١٩٦٥.

(١٤) د/ حسن صبرى الخولى: سياسة الاستعمال والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين، دار المعارف، المجلد الأول، ١٩٧٣.

(١٥) حامد سلطان: مشكلة خليج العقبة، مصر والوحدة العربية.
(١٦) حامد أحمد صالح: اليهود ماضيهم وحاضرهم، القاهرة (١٩٦٣).
(١٧) د/ رشيد الخالدى: القفص الحديدى، المؤسسة العربية للنشر، بيروت.
(١٨) صبرى أبو المجد: الصراع العربى الإسرائيلى ، الغضب الدامى،كتاب التعاون، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر.
(١٩) د/ صلاح العقاد: المشرق العربى المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠
(٢٠) د/ صلاح العقاد: تطور النزاع العربى الإسرائيلى، ١٩٥٦-١٩٦٧ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة، ١٩٧٥.
(٢١) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ج٢، ج٤، مكتبة مدبولى.
(٢٢) عبد الله التل: مذكرات، كارثة فلسطين، دار العلم، القاهرة، ١٩٥٩.
(٢٣) عاصم أحمد الدسوقى: مصر فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦.
(٢٤) د/ عبد الرحمن الهوارى: الدور المصرى فى اليمن، ١٩٩٢.
(٢٥) عبد المنعم راضى: حرب ١٩٧٣ الاقتصاد المصرى فقال فى ندوة حرب أكتوبر -جامعة عين شمس، ١٩٧٤.
(٢٦) كمال الدين الحفناوى: الشرق الأوسط فى مهب الرياح، مكتبة النهضة ، القاهرة، ١٩٥٩.
(٢٧) كمال محمد فايد: الاستخدام السلمى للطاقة النووية وتوجيهاتها لامتلاك قوة ردع لمسرح الحرب بالمنطقة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.
(٢٨) كريستوفر سانكس: مفارق الطرق إلى إسرائيل، ترجمة خيرى حماد، بيروت، ١٩٦٥.
(٢٩) محمد كمال عبد الحميد : الشرق الأوسط الميزان، الأستاذ يحيى مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٥٥.
(٣٠) مرادهوفمان: الإسلام هو البديل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام.
(٣١) محمد على العقيد: ثورة العرب ج١، الهيئة العامة للاستعلامات من ملفات قضية الشرق الأوسط (وثائق).
(٣٢) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية (الأهرام) : العسكرية الصهيونية ، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٢.
(٣٣) محمد فيصل عبد المنعم: أسرار حرب ١٩٤٨، دار الهنا، القاهرة، ١٩٦٨.
(٣٤) محمد حسنين هيكل: العروش والجيوش، دار الشروق، القاهرة.

(٣٥) عميد محمد إمام: الصلح مع إسرائيل، شركة النيل للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٥٤.
(٣٦) محمد أمين الحسينى: حقائق عن تصفية فلسطين، مكتبة الهيئة العربية، القاهرة، ١٩٥٤.
(٣٧) محمد حافظ إسماعيل: أمن مصر القومى فى عصر التحديات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٧.
(٣٨) اللواء الدكتور/ محمود عبد الرحمن: رسالة دكتوراه، أكاديمية ناصر العسكرية.
(٣٩) المقدم محمد محمد الساعد: الحرب العدائية فى فلسطين، مبررت، ١٩٦٧.
(٤٠) محمد سعد زايد: المشكلات الحديثة فى الشرق الأوسط، دار الكتاب العربى، ١٩٥٥.
(٤١) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦.
(٤٢) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.
(٤٣) د/ نافع القصاب: وصلاح محمود، السيد عبد الجليل عبد الواحد، الجغرافيا السياسية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٥٧.
(٤٤) وليم فهمى: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧١.
(٤٥) دلترلاكير: الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ١٩٥٨-١٩٦٨، مترجم، لندن، ١٩٦٩.
(٤٦) وليام كونت: أمريكا والعرب وإسرائيل عشر سنوات حاسمة ١٩٦٧-١٩٧٦، ترجمة، دار المعارف، ١٩٧٩.
(٤٧) هنرى كيسنجر: الأزمة، ترجمة، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

٥- المصادر غير العربية:

(١) وثائق غير منشورة.
(٢) أوراق مجلس الوزراء البريطانى.

(3) F.O 371/68648 Date 24-2-48.

٦- مراجع غير عربية

(1) Allom gigalc the making of Israel ARMY, London, 1970.
(2) CaHen, HenR, plastine lhe Roadli peace, London,brghan,1971.
(3) Haward H.N., partition of turkey, London,1949.
(4) Grea BRitanamd palist ne 1915-1945,London,1953.
(5) Kadi, Leda,s,Arab sommit Conferences andpalestine, Palestinc dooks No4, Beirvt,1966.
(6) Millcr,O.Honter, Mydairy of confrenccof paris, new york,1924.
(7) Pcrimvtle and Hmos Military and politiccs in IsRael,1962.

ثانياً: الملاحق :

(أ) معاهدة سيفر.

(ب) مذكرة مصرية حول إجراءات بناء الثقة التى تتبع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

(جـ) الخطاب المشترك حول محادثات الحكم الذاتى.

(د) خطاب الرئيس السادات للرئيس كارتر بخصوص القدس الشرقية.

(هـ) النقاط السبع التى أعلنها الوفد المصرى فى محادثات الحكم الذاتى مايو ١٩٨٠ .

(و) أقوال القادة الإسرائيليين عن حرب أكتوبر ٧٣ .

الملحق (أ)

معاهدة سيفر السرية

(٢٤ أكتوبر ١٩٥٦)

فى فجر يوم ٢٢ أكتوبر وصل بن جوريون إلى باريس ومعه شمعون بيريز وموشى ديان، ثم أقلتهم سيارة فى الخفاء إلى ضاحية هادئة قريبة من باريس تدعى "سفير".

واجتمع الثلاثة فى فيلا خالية مع كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا الذى كان بصحبته بورجيس مونرى وآبل توماس، وذكر بن جوريون فى المحادثات التمهيدية الأولية مطالب إسرائيل المختلفة وشروطها لتدخل الحرب مع فرنسا وإنجلترا ضد مصر.

وفى اليوم التالى حضر جى موليه رئيس حكومة فرنسا بنفسه وتقابل مع وفد إسرائيل برئاسة بن جوريون، واستمع إليه وأظهر تفهمًا كاملاً وقبولاً لجميع مطالب بن جوريون السياسية والعسكرية الخاصة بتأمين عمليات إسرائيل وحماية مدنها وسواحلها عن طريق اشتراك القوات الجوية والبحرية الفرنسية فى مراحل الحرب الأولى التى ستشنها إسرائيل فى سيناء.

كما اتفق مبدئيًا على توقيتات التحركات لهذه القوات بحيث تكون جاهزة ومستعدة فى أوضاعها القتالية قبل يوم ٢٩ أكتوبر الذى تحدد لهجوم إسرائيل على مصر، على النحو التالى:

فى يوم ٢٦ أكتوبر تقوم إسرائيل بتعبئة قواتها. فى يومى ٢٧، ٢٨ أكتوبر تصل أسراب الميستير الفرنسية إلى إسرائيل عن طريق قبرص.

فى يوم ٢٩ أكتوبر تصل السفن البحرية الفرنسية إلى سواحل إسرائيل ، وتعلل تحركات هذه السفن بأنها تقوم بدوريات بحرية فى البحر المتوسط عقب حادثة الاستيلاء على السفينة "أثوس".

فى يوم ٦ نوفمبر (يوم انتخابات الرئاسة الأمريكية) تقوم القوات البريطانية الفرنسية بالغزو البحرى.

فى يوم ١٢ نوفمبر يتم احتلال منطقة القنال من بور سعيد حتى السويس كما اتفق على أن تعطل فرنسا أي قرار لمجلس الأمن بإدانة إسرائيل فى اعتدائها على مصر عن طريق استخدامها حق الفيتو.

وفى عصر هذا اليوم حضر سلوين لويد وباتريك دين من لندن وانضما إلى الاجتماع المنعقد بضاحية "سيفر" ووصل الأطراف الثلاثة إلى اتفاقية "سيفر" السرية التى تضمنت الآتى:

١- تقوم إسرائيل بمهاجمة سيناء بالقوة، ويكون هدفها الابتدائى هو الوصول إلى مشارف القناة فى أقصر وقت ممكن.

٢- تقوم القوات الجوية البريطانية بمهاجمة القوات الجوية المصرية وهى جاثمة على الأرض فى مطاراتها ، وتستمر فى إلقاء القنابل طيلة وقت العمليات، فيكون ذلك بمثابة تحذير إلى باقى الدول العربية ليفهموا منه أنهم سوف يقعون تحت طائلة نفس الغارات الجوية لو حاولوا مهاجمة إسرائيل.

٣- الغرض من الغزو البحرى البريطانى الفرنسى هو حماية القناة من كلا الطرفين المتحاربين: إسرائيل، ومصر، وعلى إسرائيل أن تقبل إنذارًا يوجه إليها من إنجلترا وفرنسا لإيقاف النار، ولكن عليها ألا تنفذ ذلك الإنذار فعليًا قبل أن تصل إلى خط يبعد بمسافة عشرة أميال شرق القناة.

٤- يصدر الإنذار عندما يذيع راديو إسرائيل نشرة إخبارية يعلن فيها أن وحداتها المتقدمة موجودة فعلاً عند مشارف القناة.

وبذلك يكون أمامها اثنتا عشرة ساعة لكى تصل إلى خط العشرة أميال.

وفى تلك الليلة طار بينو مع سلوين لويد إلى لندن لمناقشة الأمر مع إيدن.

وفى يوم ٢٤ أكتوبر عاد بينو إلى "سفير" ومعه موافقة إيدن على الاتفاق.

وقام المؤتمر بوضع النص النهائى للمعاهدة الثلاثية السرية، وأرسلت صورة من نص الاتفاق إلى إيدن لإعطاء موافقته النهائية.

وبعد وصول موافقة إيدن النهائية على النص إلى باريس، دبجت الاتفاقية فى وثيقة رسمية وقع عليها باتريك دين عن بريطانيا وبن جوريون عن إسرائيل، وكريستيان بينو عن فرنسا.

واعتمدت الوثيقة من ثلاث صور، (صورة لكل دولة) واتفق الجميع فيما بينهم على ألا تنشر هذه الوثيقة فى المستقبل.

ولكن السياسيين الفرنسيين أذاعوا أسرار هذه الوثيقة فيما عقب فشل العدوان الثلاثى وسقوط حكومة الجمهورية الرابعة الفرنسية.

ويعتبر العالم اليوم أن هذه الوثيقة هى أبشع عمل لطخ وجه الديموقراطيات فى القرن العشرين، إذ كانت تعنى هذه المعاهدة أن هناك ثلاث دول اتفق رؤساء حكوماتها سرًا على إدخال دولهم الثلاث فى حرب دون أخذ أية موافقة برلمانية من بلادهم فإيدن أخفى الأمر برمته عن مجلس العموم، وفعل جى موليه نفس الشيء مع الجمعية العمومية الفرنسية، وكذلك بن جوريون مع الكنيست الإسرائيلى.

الملحق (ب)

مذكرة مصرية حول إجراءات بناء الثقة
التى ستتبع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة
(١٣ أكتوبر ١٩٧٨)

(مذكرة)

إن الاتفاق على إطارات السلام فى الشرق الأوسط فى كامب ديفيد كان من أجل السلام ويهدف إلى تسهيل تقدم سير العمل من أجل حل المسائل الرئيسية التى تقع فى صميم مشكلة الشرق الأوسط.

ويعتقد وفد جمهورية مصر العربية أن إجراءات بناء الثقة يجب أن تتخذ فوراً فى الضفة الغربية وقطاع غزة لخلق جو جديد إيجابى وإنسانى يؤدى إلى تخفيف التوتر، ومن المؤكد أن بناء الثقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين يكون فى صالح السلام، إذ أن ذلك يخلق جوًا إيجابيًا يشجع الفلسطينين فى الضفة الغربية وقطاع غزة على أن ينظروا جديًا فى المشاركة فى المفاوضات.

وفى هذا الصدد، فعلى إسرائيل أن تنظر فى اتخاذ الخطوات التالية:

١ - تجميد إقامة المستوطنات فى الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة الانتقالية.

٢ - أن تكون إسرائيل على استعداد للتعامل مع أية جماعة فلسطينية تقبل القرار رقم ٣٤٣.

٣- ألا يشترك المستوطنون الإسرائيليون فى الضفة الغربية وغزة فى الاقتراع الخاص بإقامة السلطة الفلسطينية.

٤ - الاعتراف بحقيقة أن عرب القدس الشرقية يشكلون جزءًا لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى ويجب أن يشاركوا فى الاقتراع الخاص بإقامة السلطة الفلسطينية.

٥- إعادة الأراضى والملكيات المصادرة فى الضفة الغربية وقطاع غزة إلى السلطة الفلسطينية بما فى ذلك الأملاك العامة.

٦- السماح للمصارف العربية فى الضفة الغربية وغزة بأن تعاود القيام بعملياتها التجارية بحرية، كما يجب أن تعيد إسرائيل إليها الودائع المصادرة أو المجمدة.

٧- اتخاذ التدابير الضرورية للقيام بما يلى:

(أ) رفع الحظر عن الاجتماعات السياسية.

(ب) السماح بحرية التعبير فى الضفة الغربية وغزة.

(جـ) وقف أية سياسات أو ممارسات من شأنها أن تخلق توتراً أو تجعل من الصعب تنفيذ أحكام الإطار الخاص بإقامة السلطة الفلسطينية وذلك إلى حين إقامة هذه السلطة.

(د) إلغاء جميع القيود المفروضة على حرية انتقال سكان الضفة الغربية وقطاع غزة.

(هـ) وقف المناورات العسكرية فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

(و) العفو عن المسجونين السياسيين الفلسطينيين.

(ز) جمع شمل العائلات الفلسطينية عن طريق السماح بعودة أعداد من الأفراد النازحين منذ عام ١٩٦٧.

(ح) السماح لعدد من النازحين بالعودة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة قبل التوصل إلى التدابير التى يتفق عليها فى هذا الصدد.

وفيما يتعلق بقطاع غزة فإن إسرائيل مطالبة بالقيام بما يلى:

(أ) رفع القيود على استعمال المياه فى رى مزارع غزة.

(ب) الامتناع عن فرض أية قيود على العرب المنتجين للموالح فى مراحل الإنتاج المختلفة.

وعلاوة على هذا الصدد فقد طلبت مصر أن تعلن إسرائيل:

١- قبول مراقبين من الأمم المتحدة أو مراقبين دوليين للإشراف على الانتخابات الخاصة بالسلطة الفلسطينية.

٢- إتمام انسحابات فورية لبعض قواتها من أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة.

٣- بدء عملية إعادة توزيع القوات الإسرائيلية التى ستظل فى الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة الانتقالية.

الملحق (جـ)

الخطاب المشترك حول محادثات الحكم الذاتى

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس:

يؤكد هذا الخطاب أن كلاً من مصر وإسرائيل قد اتفقتا على النحو التالى:

تستذكر حكومتا مصر وإسرائيل أنهما قد اتفقتا فى كامب ديفيد ووقعتا فى البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة وإطار السلام فى الشرق الأوسط متفق عليه فى كامب ديفيد، وإطار لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل.

وبغية التوصل إلى تسوية سليمة شاملة وفقاً للإطارين المشار إليهما ، تشرع مصر وإسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة، وقد اتفقنا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام، ووفقًا لإطار المفاوضات ويمكن أن يضم وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة، أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك، وسيكون هدف المفاوضات هو الاتفاق قبل إجراء الانتخابات على ترتيبات إقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة (المجلس الإدارى) وتحديد صلاحيتها ومسؤوليتها والاتفاق على ما يرتبط بذلك من مسائل أخرى.

وفى حالة قرار الأردن عدم الاشتراك فى المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر وإسرائيل.

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات فى أقرب تاريخ ممكن، كما تتفق الحكومتان على أن الهدف من

المفاوضات هو إقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان.

وقد حددت مصر وإسرائيل لنفسيهما هدفًا هو الانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد حتى يمكن إجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الأطراف قد توصلوا إلى اتفاق.

وتنشأ سلطة الحكم الذاتى المشار إليها فى إطار السلام فى الشرق الأوسط وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها وتبدأ وقتئذ فترة السنوات الخمس الانتقالية ، وتنسحب الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها كما هو محدد فى إطار السلام فى الشرق الأوسط، ويتم حينذاك انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية ويجرى إعادة توزيع القوات الإسرائيلية المتبقية فى مواقع أمن محددة.

ويؤكد هذا الخطاب أيضاً مفهومنا أن حكومة الولايات المتحدة ستشترك اشتراكاً كاملاً فى كل مراحل المفاوضات.

مناحم بيجين
عن حكومة إسرائيل

المخلص
محمد أنور السادات
عن حكومة جمهورية مصر العربية

الرئيس
البيت الأبيض

الملحق (د)

خطاب الرئيس السادات للرئيس كارتر بخصوص القدس الشريفة

من السادات إلى كارتر

١٧ أيلول [سبتمبر] ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس.

أكتب إليكم لأعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية فيما يتعلق بالقدس:

١- إن القدس العربية هى جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية ويجب إعادة الحقوق العربية التاريخية والشرعية على المدينة واحترامها.

٢- إن القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية.

٣- إن لسكان القدس العربية الفلسطينيين الحق فى ممارسة حقوقهم الوطنية المشروعة بصفة كونهم جزءًا من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية.

٤- يجب تطبيق قرارات مجلس الأمن وثيقة الصلة، ولا سيما القرارين ٢٤٢، ٢٦٧ فيما يتعلق بالقدس، وأن كل التدابير التى اتخذتها إسرائيل لتبديل وضع المدينة هى لاغية وكأنها لم تكن ويجب أن تزال.

٥- يجب أن يكون لجميع الشعوب حرية الوصول إلى المدينة، والتمتع بحرية ممارسة شعائرهم، والحق فى الزيارة وفى المجيء إلى الأماكن المقدسة، من دون أية تفرقة أو تمييز.

٦- إن الأماكن المقدسة لكل ديانة يمكن أن توضع تحت إدارة ممثليها وسلطتهم.

٧- إن الوظائف الأساسية فى المدينة يجب ألا تقسم ويمكن مجلسًا بلديًا مشتركًا مؤلفًا من عدد متساو من الأعضاء العرب والإسرائيليين أن يشرف على تنفيذ هذه المهمات، وبهذه الطريقة فإن المدينة لن تكون مقسمة.

بإخلاص

التوقيع: محمد أنور السادات

الملحق (هـ)

النقاط السبع التى أعلنها الوفد المصرى
فى محادثات الحكم الذاتى التى عقدت فى هرتزليا
أول مايو ١٩٨٠

تحقيقاً لأهداف إطار العمل الخاص بالسلام فى الشرق الأوسط والمتفق عليه فى كامب ديفيد:

١- يمنح السكان الفلسطينون فى الضفة الغربية وغزة حكمًا ذاتيًا كاملاً، مما يتطلب ـ وفقاً لقواعد القانون الدولى - ممارسة سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية.

٢- تتألف سلطة الحكم الذاتى المنتخبة من عدد مناسب من الممثلين المنتخبين انتخابًا حراً بحيث يتفق واحتياجات مبدأ الحكم الذاتى الكامل.

٣- ينبغى الاتفاق على وقف إنشاء المستوطنات والتوسع فيها.

٤- ينبغى مناقشة موضوع المستوطنات الموجودة حاليًا فى الضفة الغربية وغزة فى المفاوضات.

٥- حيث أن القدس الشرقية تعد جزءاً لا يتجزأ من الضفة الغربية، فينبغى أن يكون لسكان القدس العربية الحق فى المشاركة فى انتخابات سلطة الحكم الذاتى.

٦- ينبغى إيلاء الاتهام المناسب لاعتبارات الأمن المشروعة لجميع الأطراف بما فى ذلك إسرائيل والشعب الفلسطينى، وفقاً للمبادئ المقررة فى إطار العمل.

٧- تمارس سلطة الحكم الذاتى المنتخبة سلطاتها خلال الفترة الانتقالية التى سيحدد فى نهايتها الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة، ويتم الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى والمطالبة العادلة.

الملحق (و)

أقوال القادة الإسرائيليين عن حرب أكتوبر ٧٣

١ - أقوال القادة الإسرائيليين عن معارك يوم ٩ أكتوبر

يقول الجنرال إبراهام آدان على ضفتي قناة السويس (ص ١٨٥- ١٩٠)

"لقد قصفنا مواقع المصريين بكل ما نملك من أسلحة وطائرات ودبابات من خلالهم يتركوها لتعبر الخنادق ثم يقفوا ويطلقون النيران علينا من الخلف • •

هكذا تصاعدت خسائر .. لقد فقدنا خلال هذا اليوم عددًا آخر من قادة السرايا والفصائل والأطقم المدرعة .. بل وفقدنا أيضًا بعض قادة الكتائب .. إحدى كتائب الدبابات لم يتبق منها بنهاية هذا اليوم سوى سبع دبابات وأصيب قائد اللواء المدرع".

وصلت خسائرنا فى هذا اليوم إلى فقد ٨٠ دبابة منهم دبابة من فرقة شارون ويعلق في نهاية حديثه قائلاً: " وهكذا فشلنا أيضًا في هجوم يوم ٩ أكتوبر " .

قال أمنون ريشيف أحد قادة الألوية المدرعة في وصفه للمعركة .

"لقد تعرضنا لستارة من النيران لا يمكن وصفها ... تعرضت خلالها لنيران الصواريخ والمدفعية والدبابات .. حيث جاءت النيران من كل جانب .. لقد تمكنا من شق طريق لنا بصعوبة ، واستمرت المعركة عدة ساعات .. واحترق كل شيء حولي .. كان الرجال يصرخون وغيرهم يقفزون من الدبابات .. لقد تدمرت الدبابات وبداخلها القتلى والجرحى" .

أرئيل شارون في كتاب المحارب

في ص ٣٠٥و٣٠٦يقول : "يوم الثامن من أكتوبر كان كارثة كبيرة .. كان كابوسًا وحلمًا مروع لرجال المدرعات .. إن المصريين لم يوقفوا فقط هجمات مدرعاتنا .. لكنهم دمروها أيضًا .. لقد أدى هذا اليوم إلى إحداث صدمة كبيرة لدى القيادة الإسرائيلية .. التي أصبحت غير قادرة على التفكير فيما يمكن أن تفعله في الخطة التالية .. لقد كانت النتيجة هزيمة مدوية امتدت آثارها على مدى أسبوعين، وأدت إلى خسائر ضخمة كان يمكن أن نتجنبها .. لقد أبلغت موشى ديان أن الكارثة قد حلت بنا.

"في الحقيقة .. لقد أرسلت وحدات المظلات إلى هذه المعركة لتلقى حتفها .. كانت مهمة انتحارية بالنسبة إليها .. لقد تم تمزيق هذه الوحدة إلى قطع صغيرة .. لم نكن نستطيع أن نفعل شيئًا لها .. لقد نجا منها القليل .. كانت معركة صعبة ".

ويقول الجنرال أبارهام آدان

الجنرال أبارهام في كتابه في ضفتي قناة السويس (ص ١٥٣ - ١٥٩)

يقول : "لقد بدأ القتال صباح يوم ٨ أكتوبر بأكثر من ٣٠٠ دبابة لم يتبق منها بنهاية اليوم سوى مائة دبابة .. جزء من دبابتي تدمر تمامًا وآخر تركناه داخل الدفاعات المصرية ، كانت مشكلتي الأساسية هي كيف أجمع فرقتي التي قطعت إلى أجزاء وكيف أضمد جراحها بسرعة حتى أستطيع أن أتابع القتال" .

ويستطرد قائلاً : "في الساعة الثانية والربع بعد الظهر بدأت تظهر لي دلالات الفشل ، الدبابات يتم تدميرها دبابة تلي الأخرى .. أطقم الدبابات بدأت تقفز من الدبابات تلقيت ضربة موجعة .. حاولت إصدار التعليمات بالتوقف حتى تجيء طائراتنا لشن المزيد من الهجمات الجوية ، ولكن يبدو أن الوقت كان متأخرًا .. لقد دفعنا ثمنًا باهظًا وثقيلاً ، وأخيرًا تمكنت من إصدار الأوامر بالانسحاب ، لقد كانت

ضربة بغيضة فقد خلالها العديد من قادة السرايا والفصائل .. لقد كان يومًا أسود في تاريخ جيش الدفاع الإسرائيلي " .

٢- عن أعمال القتال في الثغرة

قال شارون عن عمليات ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر فى كتابه المحاربة ص(٣٠٧) :

"لقد استطاعت وحدات المشاة المصرية أن تنشئ شبكة من الخنادق والمواقع الدفاعية المقاتلة والمتشابكة .. لقد دارت أكبر معركة مدرعات بين الجانبين ليلة ١٥/ ١٦ أكتوبر .. ففي صباح يوم ١٦ أكتوبر .. بدت نتائجها على الطبيعة .. كان منظرًا مخيفًا للغاية ، نظرت حولي ووجدت مئات ومئات من الدبابات والمركبات المدمرة .

في صباح هذا اليوم أصدرت تعليمات لقادة الألوية الثلاثة المدرعة بخطة الهجوم . وفي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر دفعت بلواء "آمنون ريشيف" والذي هاجم في اتجاه الطالية .. لقد عانى آمنون كثيرًا من خسائره .. كانت تحت قيادته مائة دبابة والآن بنهاية هذا اليوم لم يتبق معه سوى ١٤ دبابة فقط .. المهمة صعبة فلم تعد مهمة قتال فقط ولكنها تحولت إلى مهمة معنية" .

أعمال قتال يوم ١٦ أكتوبر

في صباح يوم ١٦ بدأت فرقة شارون هجومها لليوم التالي ولكن تصاعدت خسائرها بشكل كبير.

وهنا قررت القيادة الإسرائيلية دعم فرقة شارون من خلال تكليف فرقة آدان باستئناف الهجوم من أجل الوصول إلى الدفرزوار.

وبدأت المعركة وفي الساعة الثانية بعد الظهر .. وقامت المدرعات المصرية بأقوى هجوم مضاد لها، حيث نجحت في تدمير القوات الإسرائيلية بالرغم من كثافة هجمات الطائرات الإسرائيلية .. إلا أن القوة التي عبرت نجحت في إحداث ثغرة في وسائل الدفاع الجوي غرب القناة في هذه المنطقة .

بعد فشل هجوم يوم ١٦ .. قررت القوات الإسرائيلية دفع لواء مظلات للهجوم ليلاً على الدفاعات المصرية من أجل تقليل الخسائر في الدبابات، ولكن كان حظ وحدات المظلات الإسرائيلية سيئًا للغاية، فقد فقدت ٥٠٪ من قوتها، وتم سحب جرحاها وقتلاها من خلال معركة خاضتها المدرعات الإسرائيلية حتى تتمكن من سحب أفرادها.

وعن لواء المظلات الذي دخل المعركة ليلة ١٦/ ١٧ أكتوبر يقول شارون في كتابه ص ٣٢٤ والمحترفة ... (٧٠) دبابة إسرائيلية كانت مبعثرة على أرض المعركة.. لقد دارت المعركة على مسافات قليلة لا تتعدى الأمتار بين الجانبين .. وبداخل هذه الدبابات ترقد الأطقم التى قتلت .. كان منظرًا مروعًا للغاية .. لقد فقدنا ٣٠٠ قتيل ومئات الجرحى فى هذا القتال الشرس".

وعن معركة يوم ١٧ أكتوبر في (ص ٣٢٢ ، ٣٢٣) يقول شارون :

"كانت القوات الإسرائيلية مزدحمة على الطريق المؤدى إلى الدفرزوار واستطاعت هجمات طائرات الميج وقصفات النيران المدفعية أن تلحق بنا المزيد من الخسائر وأصبحت هذه المنطقة كالجحيم . . العديد من المركبات دمر من القصف وبدأنا نبعدها عن الطريق . . وعندما بدأ القصف للمرة الثانية أصيبت مركبتي M١١٣ . . كانت رأسي تدمي ولكنه كان جرحًا بسيطًا . . لقد فقدت الاتصال مع وحداتي ولم أستطع أن أحدد ماذا يحدث .. وفوجئت بالمدرعات المصرية تقوم بالهجوم المضاد تجاهنا تحت وابل من نيران المدفعية . . كانت أكثر اللحظات التي ملأتني بالخوف . . فالهجوم المضاد يقترب منا وطلبت من أحد قادة الألوية المدرعة أن يتدخل لإيقاف هذا الهجوم . .

وأخيرًا لقد استطاعت طائراتنا أن توقف الهجوم المصري" .

ثالثاً: الخـرائـط :

١ - الشرق الأوسط الجديد حسب رؤية الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ - تقسيم سوريا والعراق حسب اتفاقية (سايس بيكو).

٣- مشروع الأمم المتحدة للتقسيم عام ١٩٤٧) (أ).

محصلة الجولة العربيةالإسرائيلية الأولى(ب)

٤ - الأهداف المبدئية للقوات العربية ١٥ مايو ١٩٤٨ .

٥ - تطوير الهجوم المضاد الإسرائيلي ٢٢- ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ .

٦ - أوضاع القوات المصرية والإسرائيلية بعد وقف إطلاق النار ٢٢ - ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣.

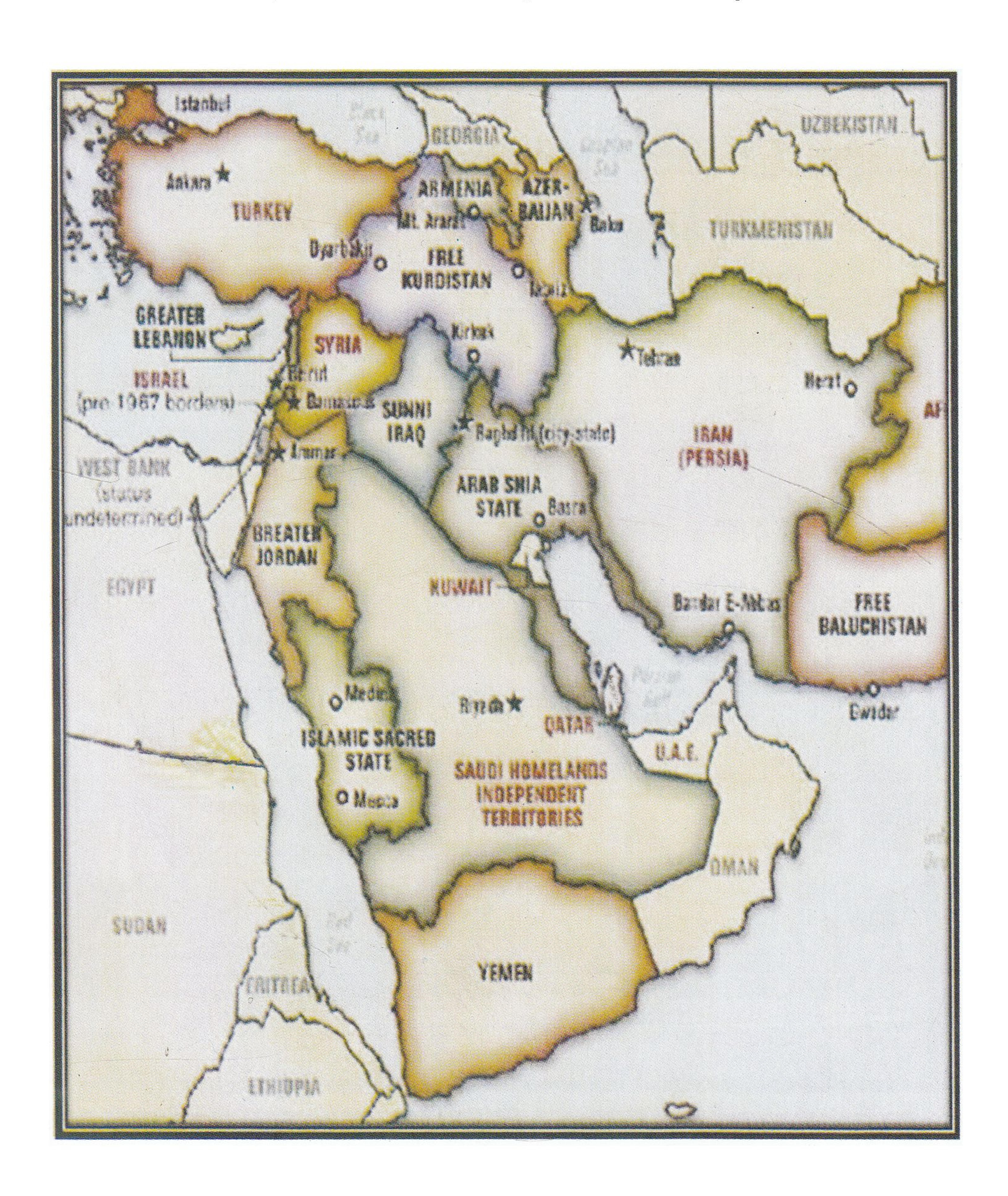
٧- معركة ستالنجراد.

٨- معركة كورسك.

٩ - حدود المناطق حسب المعاهدة فى سيناء.

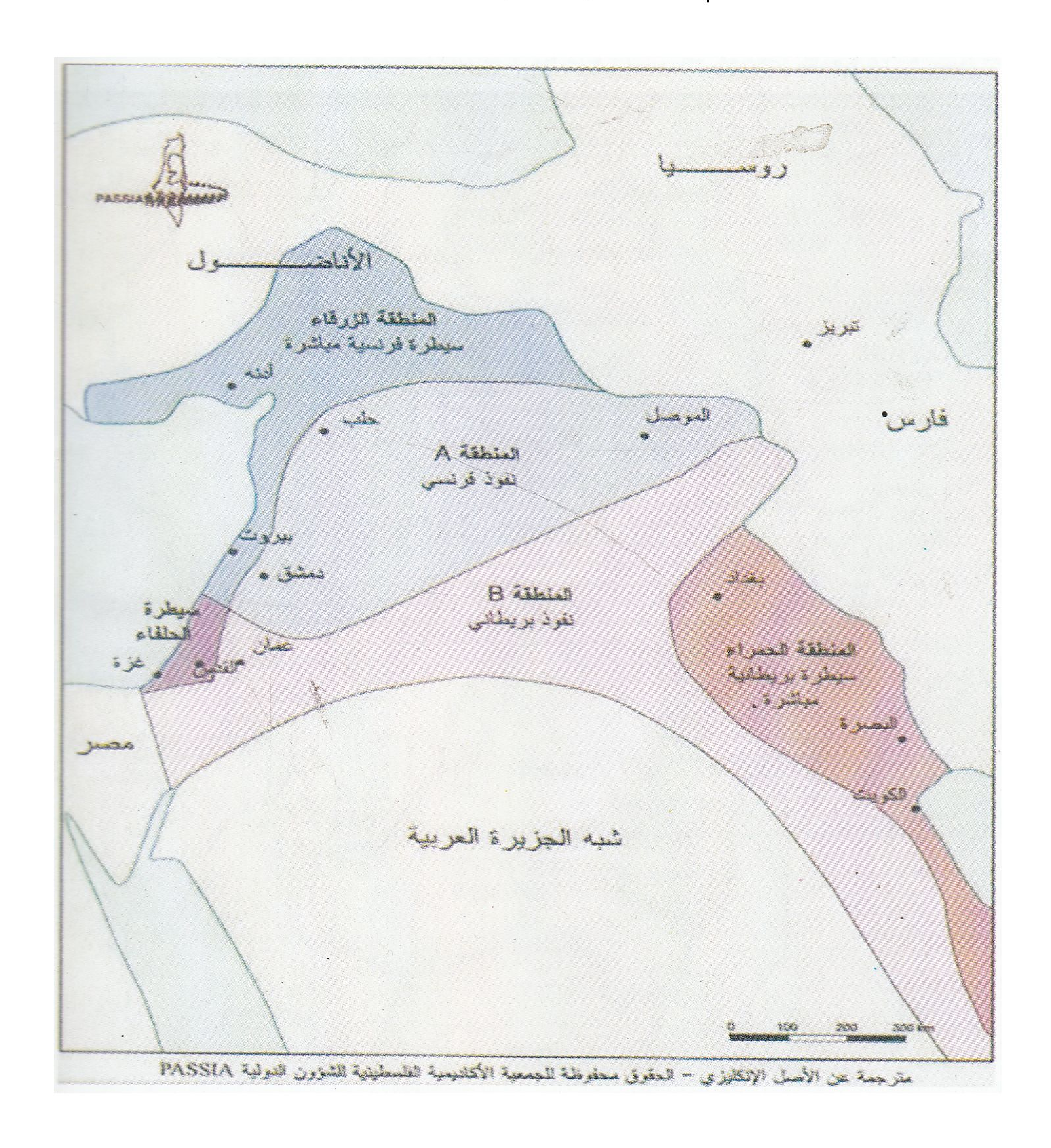
خريطة رقم (١)

الشرق الأوسط الجديد حسب رؤية الولايات المتحدة الأمريكية



خريطة رقم (٢)

تقسيم سوريا والعراق حسب اتفاقية (سايس بيكو)



مترجمة عن الأصل الإنكليزي – الحقوق محفوظة للجمعية الأكاديمية الفلسطينية للشؤون الدولية PASSIA

خريطة رقم (٣ أ)

مشروع الأمم المتحدة للتقسيم عام ١٩٤٧)



خريطة رقم (٣ ب)

محصلة الجولة العربيةالإسرائيلية الأولى



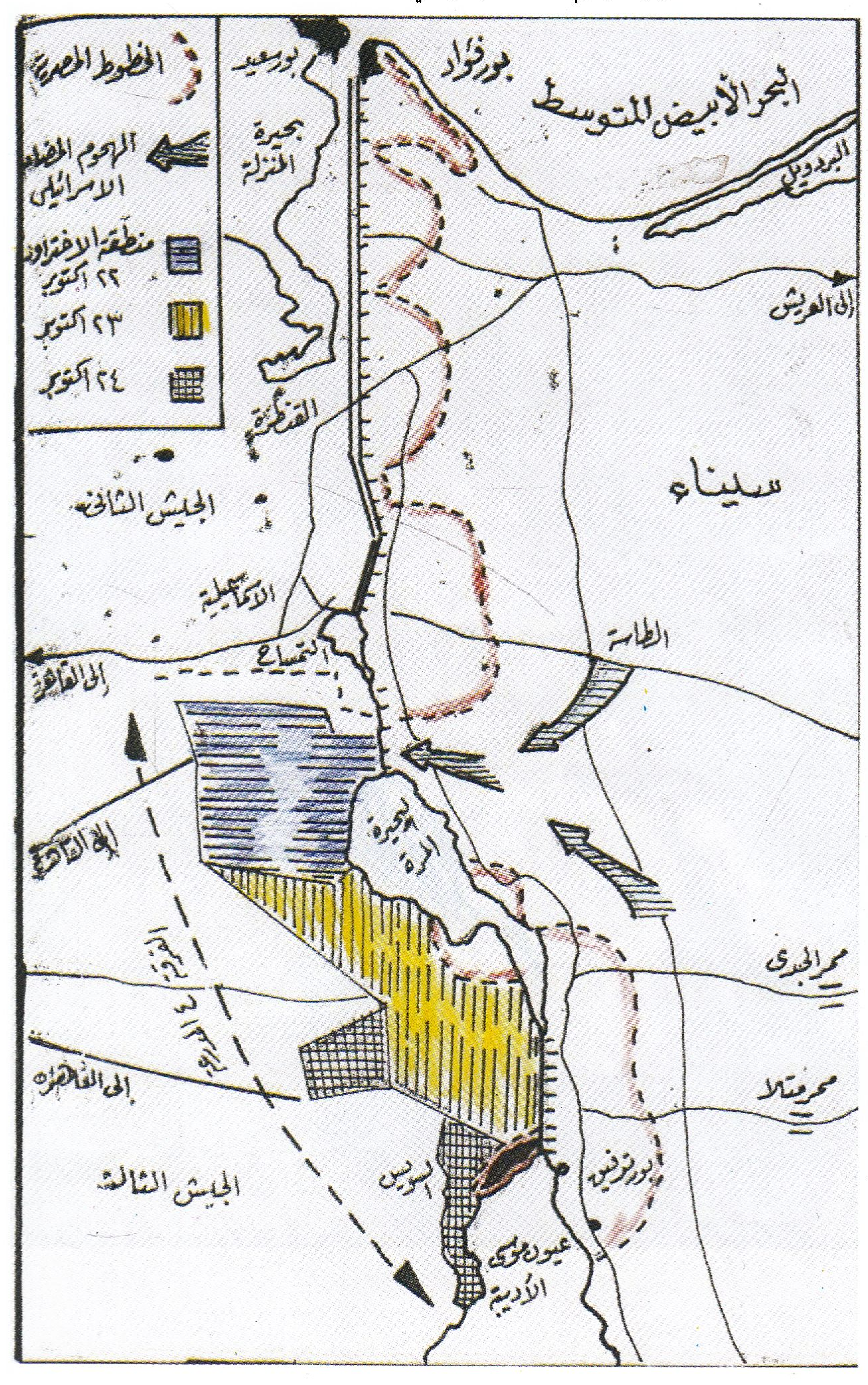
خريطة رقم (٤)

الأهداف المبدئية للقوات العربية ١٥ مايو ١٩٤٨



خريطة رقم (٥)

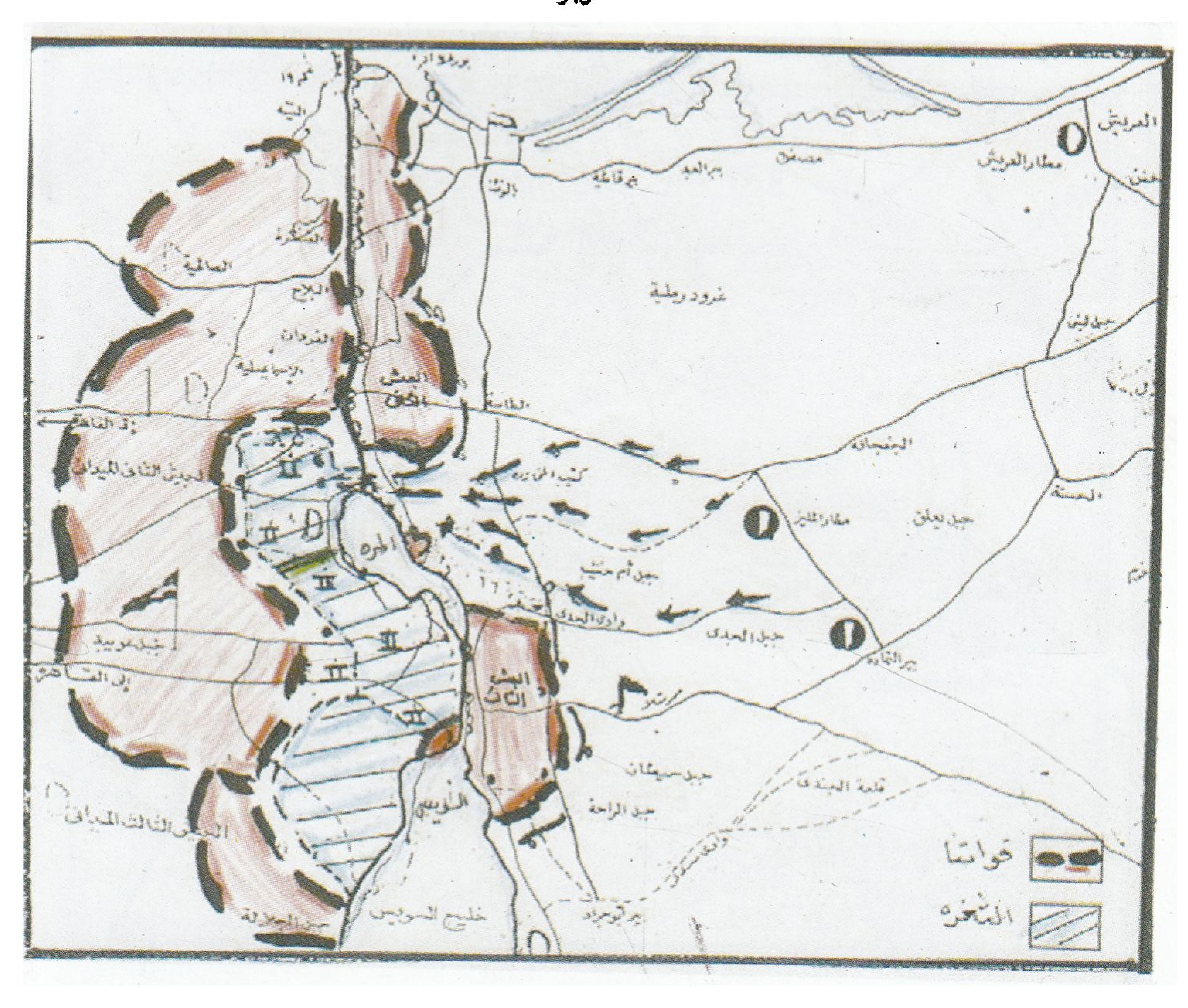
تطوير الهجوم المضاد الإسرائيلي ٢٢- ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣



خريطة رقم (٦)

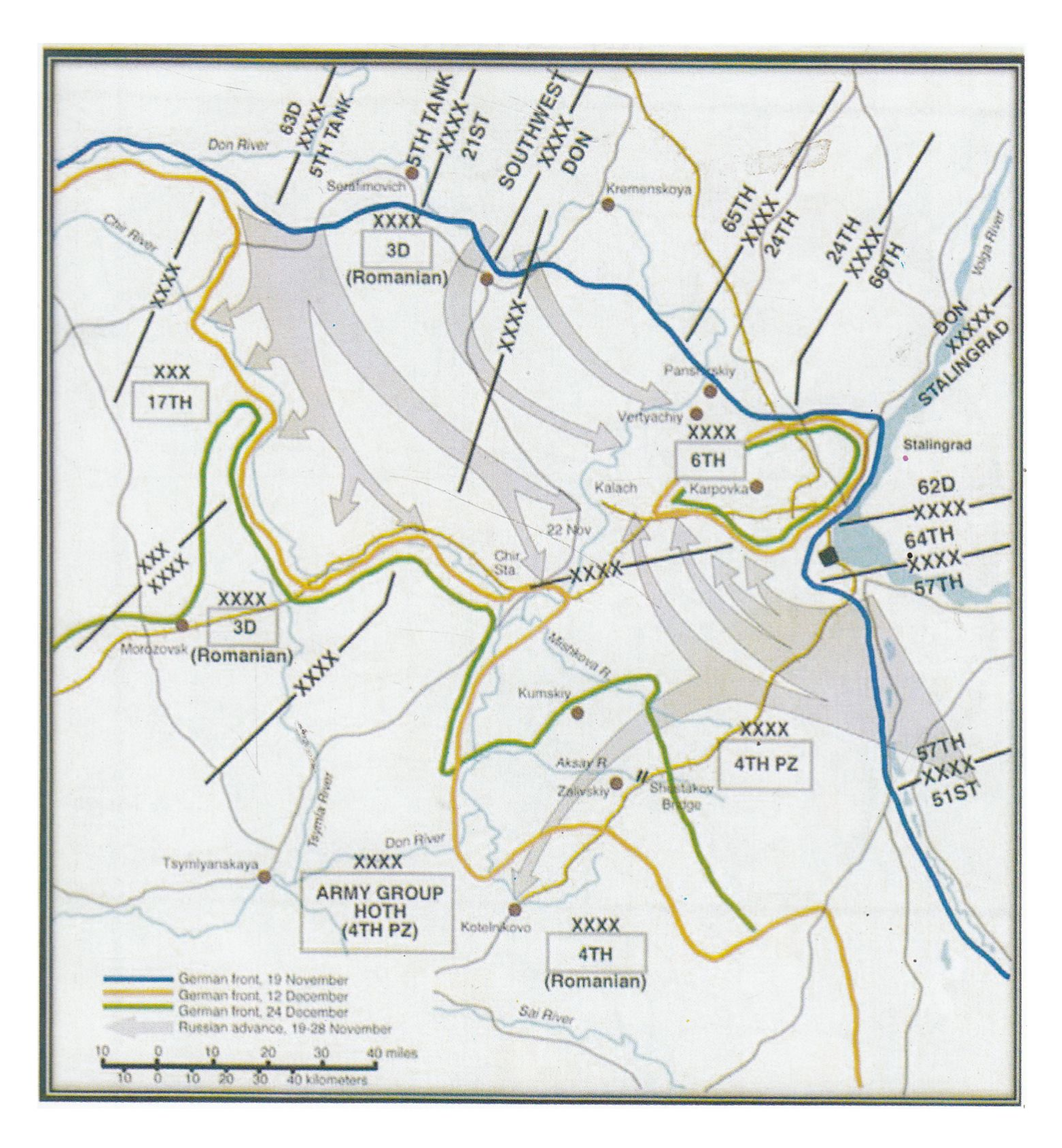
أوضاع القوات المصرية والإسرائيلية بعد وقف إطلاق النار

٢٢- ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣



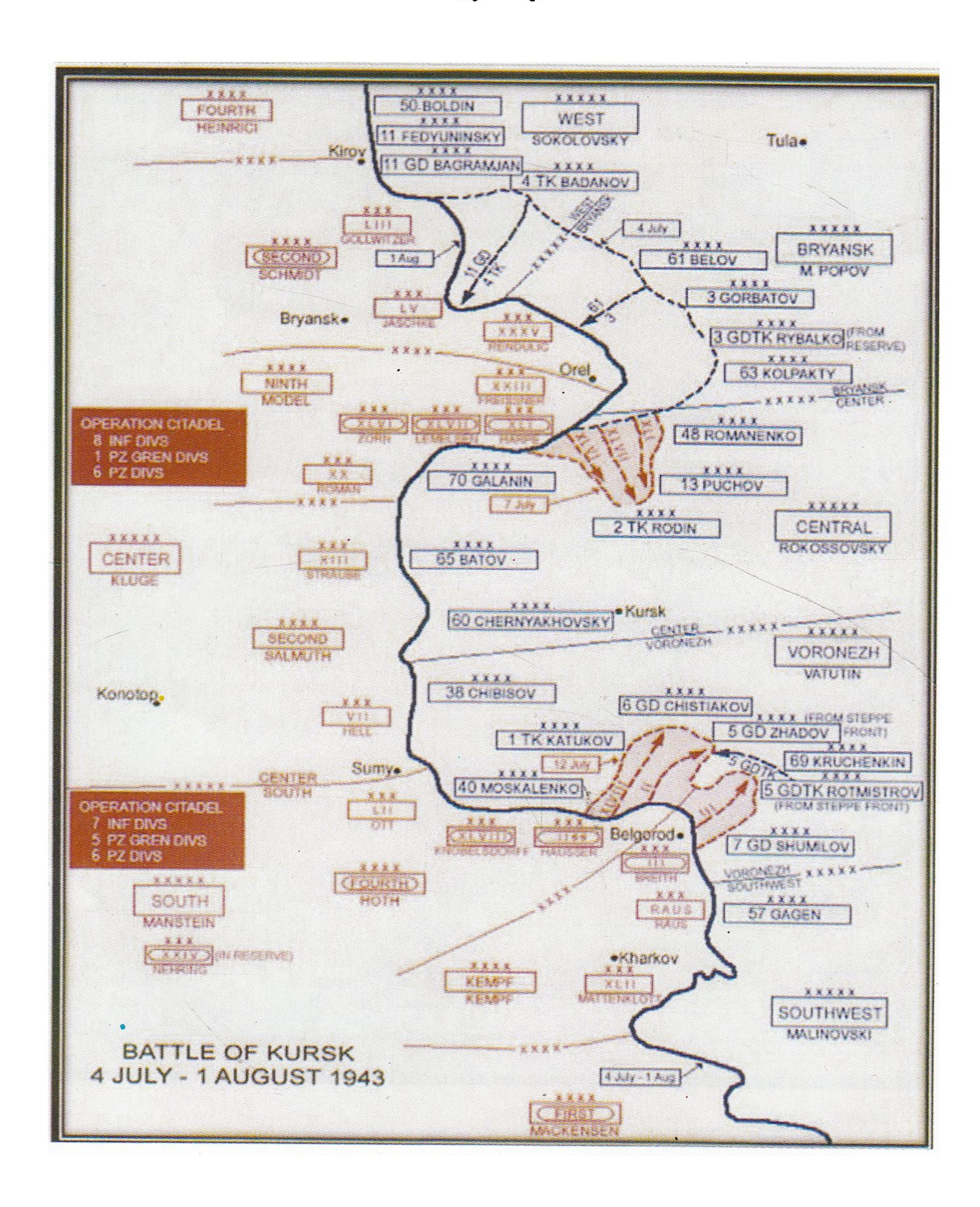
خريطة رقم (٧)

معركة ستالنجراد



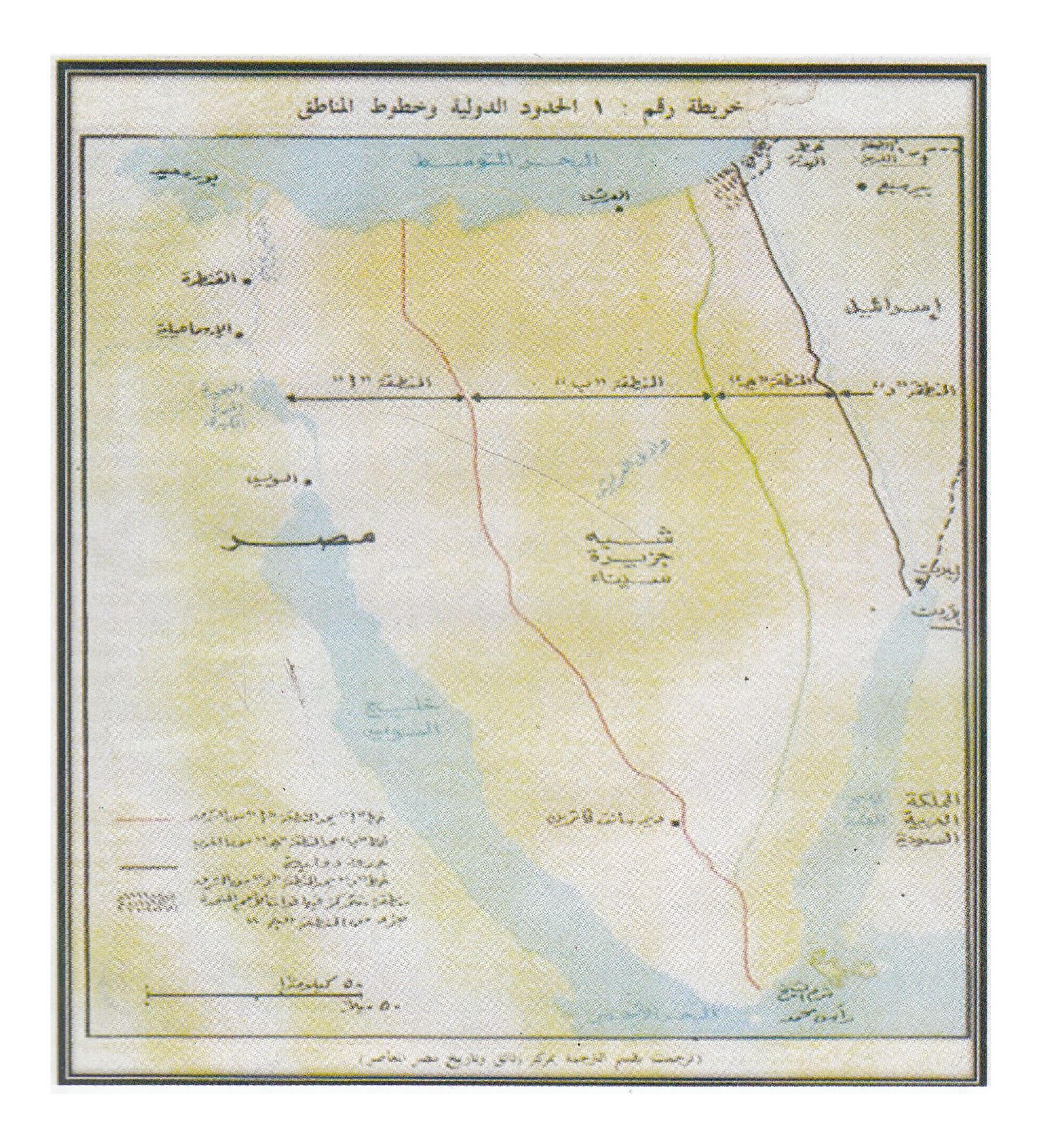
خريطة رقم (٨)

معركة كورسك



خريطة رقم (٩)

حدود المناطق حسب المعاهدة فى سيناء



المؤلف فى سطور

١ - الاسم : اللواء الدكتور / محمد فريد حجاج

٢ - التأهيل :

(أ) بكالوريوس علوم عسكرية .

(ب) ماجستير علوم عسكرية .

(جـ) ليسانس تاريخ من كلية آداب جامعة القاهرة .

(د) درجة الزمالة من كلية الحرب العليا .

(هـ) دكتوراه فى الفلسفة فى العلوم العسكرية والإستراتيجية .

٣ - الأوسمة والأنواط :

- حاصل على نوط الشجاعة من الدرجة الأولى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ - نوط الواجب - نوط الخدمة الطويلة - نوط الخدمة الممتازة - وسام الجمهورية من الطبقة الثانية - وسام الرياضة من الطبقة الأولى .

٤ - العمليات التى شارك فيها :

- عمليات اليمن عامى ١٩٦٢/ ١٩٦٣ - حرب ١٩٦٧ - حرب الاستنزاف - حرب ١٩٧٣ .

٥ - عضو المعهد الدولى للدراسات الإستراتيجية بلندن .

الفهــرس

الفرص الضائعة فى الصراع العربى الإسرائيلى

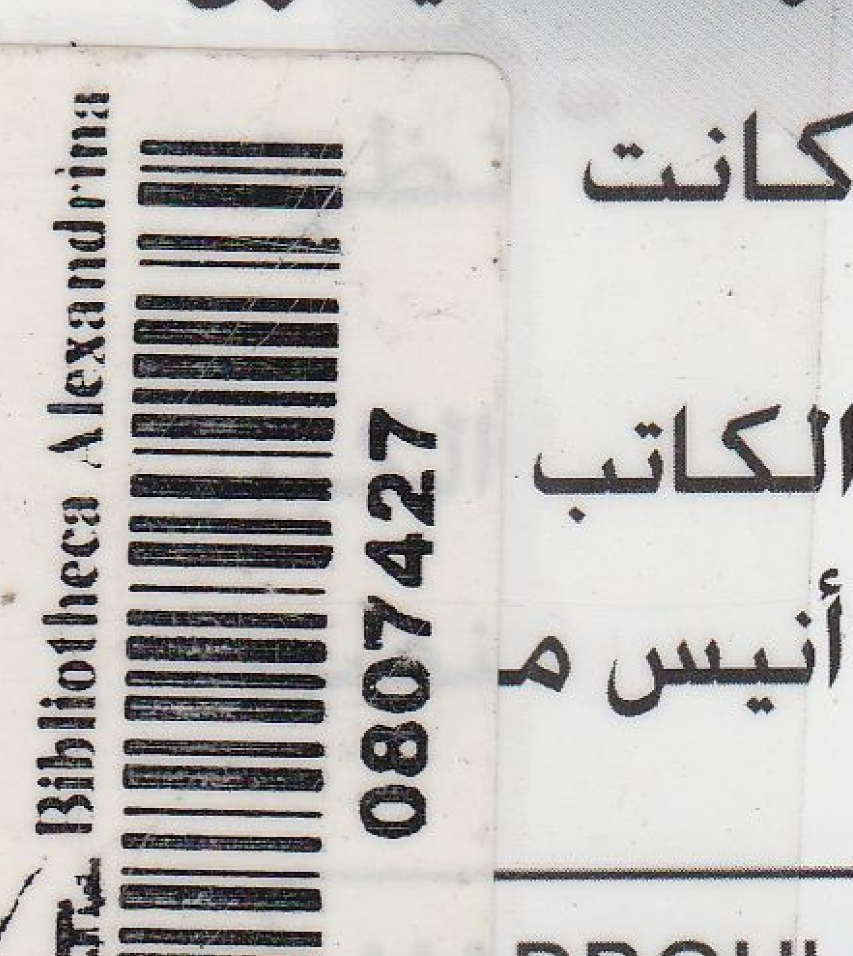
إعادة ترتيب أوراق الصراع

المقاتل الضابط محمد فريد حجاج مؤلف هذا الكتاب الهام والخطير، قد ارتاد مساحة هائلة من خريطة الشرق الأوسط ورغم المشكلات الكثيرة والمعقدة، إلا أنه أفلح فى ارتيادها بنجاح، ونجاحه كان بسبب فهمه العميق لما حدث، ولذلك فهذا الكتاب يعتبر وثيقة هامة .. فالمؤلف رجل عسكرى جامعى اشترك فى كل حروب مصر، وعرف ما لم نعرف وفهم ما لم نفهم ..

أما أسلوبه فهو جاد موجز بليغ. وما كتبه اللواء محمد فريد حجاج فى صفحة يحتاج من المحللين العسكريين إلى صفحات، ولكن لأنه يعرف ما يقول وأكثر، وأنه نظر إلى المواقع من بعيد، كانت أشمل وأعمق فى وقت واحد ..

الكاتب

أنيس م



MADBOULY BOOKSHOP مكتبة مدبولى

6 Talat harb SQ. Tel:25756421 ٦ ميدان طلعت حرب- القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com